الإشارات والتنبيهات

فى علم البلاغة

تصنيف

محمد بن على بن محمد الجرجانى
٧٢٩ هـ

تحقيق

الأستاذ الدكتور عبد القادر حسين
رئيس قسم البلاغة جامعة الأزهر

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - ت : ٣٩٠٠٨٦٨


منتدى سور الأزبكية



الإشارات و التنبيهات

فى علم البلاغة

تصنيف

محمد بن على بن محمد الجرجانى

٧٢٩ هـ

تحقيق

الدكتور عبد القادر حسين

رئيس قسم البلاغة جامعة الأزهر

الناشر

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - ت : ٣٩٠٠٨٦٨٠

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الناشر : مكتبة الآداب : على حسن

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة المحقق

ترجمة المؤلف [١] :

هو الشيخ محمد بن على بن محمد الجرجانى [٢] ، الاستراباذى [٣] منشأ ومولدا ، الحلّى [٤] الغروى مسكنا .

وقد كان عالما فاضلاً ، وأصوليا عظيما ، ومتكلما جليلا ، من تلاميذ العلامة الحلّى . قال صاحب رياض العلماء عن الجرجانى : إنه ترك مجموعة من مؤلفاته كانت كلها بخط يده ، وقد شرح لأستاذه الحلّى فى حياته مبادئ الأصول، وفرغ من شرحه سنة ٦٩٧ هـ .

قال الجرجانى فى خطبته للكتاب : « كما أن من حق الشيوخ إيصال المعانى المخصصة ، بالدلائل المقررة ، الموشحة بالألفاظ المحبرة إلى تلاميذهم بأدنى العبارة ، والكناية المحررة ، كذلك من حق تلاميذهم أن يقرروا ما استخرج شيوخهم من اللآلى فى بحار الليالى من أصداف أذهانهم ، ويوضحوا ما أخرجوه من الجواهر من معادن عقولهم وألحانهم ، ورأيت شيخنا المعظم ، وإمامنا الأعظم ... أبا منصور حسن بن يوسف المطهر الحلّى [٤] ، أدام الله ظلّه على المسلمين كافة قد وضع مقدمته فى أصول الفقه ، محكما أصولها ، مقلا فضولها ، قد تسترت معانيها الأبكار عن كثير من خاطبيها وطلابها ، عزمت أن أشرحها شرحاً كافلاً بإبراز محاسنها من مكامنها ، وإظهار دررها وجواهرها من أصدافها ومغابنها ... » [٥] .

كما كان الجرجانى متقنا للغة الفارسية بصيراً بأسرارها ، ينقل منها ، ويترجم عنها ، فترجم رسالة « الفصول فى الأصول » للنصير الطوسى ؛ لعظم

---

(١) أعيان الشيعة : ٢٩/٤٦ - ٣١ ط الانصاف بيروت ١٩٥٩ تأليف السيد محسن الأمين . ومعجم المؤلفين : ٤٦/١١ ط الترقى دمشق . تأليف عمر رضا كحاله .

(٢) جُرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان .

(٣) نسبة إلى أستَراباذ : بلدة كبيرة من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان .

(٤) نسبة إلى مدينة الحِلّة مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، ولد ٦٤٨ هـ وتوفى ٧٢٦ هـ من أئمة الشيعة .

(٥) أعيان الشيعة : ٢٩/٤٦ . المغابن : جمع مَغبِن : وهو ثنايا الشئ وأعطافه .

فائدتها وحسن معالجتها ، ولما كانت مؤلفة باللغة الفارسية ، ألفَّ بدرَها الأفول ، فلم تبزغ فى الآفاق ، ولم تطلع شمسها بالعراق ، واستمرت على ذلك برهة من الزمان ، إلى أن اتفق للعلامة ركن الملة والدين : محمد بن على الجرجانى الاستضاءة بأشعة أنوارها ، والاطلاع على فرائدها وأسرارها ، فكساها من لباس ريش العربية ما صارت به شمسها فى رائعة النهار ، وانجلى عن بدرها الآفل فى منازل السير عائق الاستتار .

ولم يكن الجرجانى مكتفيا بشرح كتب الأصول ، أو ترجمتها إلى اللغة العربية ، وإنما كان أيضاً مؤلفا فى الفقه ، فله كتاب « الدافع فى شرح النافع فى الفقه » ، وكتاب « الشافى فى الفقه » .

ولست فى حاجة إلى التأكيد بأن صاحبنا الجرجانى كان موسوعة كاملة فى علوم عصره من علم الكلام ، والنحو ، والفلك ، والتفسير ، والقراءات ، وعلم التربية والفلسفة والأخلاق ، يتبين ذلك من خلال مصنفاته التى تبلغ الثلاثين ، وهى :

مصنفاته :

١ - روضة المحققين فى تفسير الكتاب المبين (خمسة مجلدات) .

٢ - الإشارات فى علم البلاغة (المعانى والبيان والبديع) .

٣ - المباحث العربية فى شرح الكافية الحاجبية .

٤ - البديع فى النحو وشرحه المسمى بالرفيع .

٥ - سرائر العربية فى شرح الكافية الحاجبيه .

٦ - غاية البادى فى شرح المبادئ فى أصول الفقه .

٧ - الدافع فى شرح النافع فى الفقه .

٨ - الشافى فى الفقه .

٩ - الدرة البهية فى شرح الرسالة الشمسية فى الميزان .

١٠ - التجويد فى شرح التجريد فى علم الميزان .

١١ - وسيلة النفس إلى حظيرة القدس فى حقيقة الإنسان .

١٢ - إشراق اللاهوت فى شرح الياقوت فى علم الكلام .

١٣ - الدعامة فى الإمامة .

١٤ - الشافية عن أمراض القلوب القاسية .

١٥ - تحفة الأشراف فى درر الأصداف فى العلوم الثلاثة .

١٦ - غنية الطالب فى شرح المطالب فى العلوم الثلاثة .

١٧ - كلستان عربى بالفارسية فى التهجد .

١٨ - رسالة الرحمة فى اختلاف الأمة .

١٩ - رسالة الأبحاث فى تقويم الأحداث .

٢٠ - الدر الثمين فى السر الدفين فى اختلاف الأمة .

٢١ - الرسالة الشمسية فى الأركان الصيدية .

٢٢ - التبر المسبوك فى أوصاف الملوك .

٢٣ - عمدة الاملاك فى هيئة الأفلاك .

٢٤ - معيار الفضل فى مباحث العقل .

٢٥ - الإشراق فى علم الأخلاق من الحكمة العملية .

٢٦ - تعريب أساس الاقتباس فى الميزان .

٢٧ - الأخلاق النصيرية فى تعريب الأخلاق الناصرية .

٢٨ - تعريب أوصاف الأشراف .

٢٩ - تعريب الأصول للخاجة نصير الدين .

٣٠ - تعريب رسالة القضاء والقدر للمذكور .

ورغم أن المؤلف له باع طويل فى شتى المعارف والعلوم ، إلا أنه وجد كمالها وشرفها لا يتحقق إلا فى علم البلاغة ؛ فالبلاغة هى مرتقى العلوم وأشرفها كما

أن الإنسان هو أرقى المخلوقات وأعظم الموجودات . فالمرتبة الدنيا من الكلام هى التى تتعلق بوضع الواضع ، ثم ما يزال يتدرج من بنْية الكلمة إلى أواخرها حتى يصل فى كماله وارتقائه إلى البلاغة وعلومها من معان وبيان وبديع ، فكما أن الإنسان خلق ناقصاً وأعطى القدرة التى يرتقى بها إلى الكمال ، كذلك الكلام يبدأ بألفاظ وضعها علماء اللغة ؛ لتدل على معانيها المحددة ، ثم تتدرج من لغة إلى تصريف إلى نحو حتى تصل فى النهاية إلى السنام والذروة فتكون الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة ، ومن ثم يرتقى الكلام إلى رتبة الإعجاز ، ثم يربط أحكام الشرع بصدق القرآن والسنُّة ، فالقرآن صادق ؛ لأنه وحى من الرحمن ، وذلك معجز للبشر بسبب ما فيه من البلاغة والبيان « فعلم البلاغة علم شريف عظيم الشأن ؛ لكونها كمال الإنسان ، وأصل البيان ؛ لأن أحكام الشرع تتوقف على السّنة والقرآن ، وصدق القرآن يتوقف على أنه مُنزل من عند الرحمن ، وذلك يتوقف على غير مقدور للبشر بسبب ما فيه من البلاغة والبيان، وإلا لَوُجد مثله قبل التحدى به أو بعده ، فى بعض الأزمان » فالبلاغة عند الجرجانى ينبغى أن تدرس وأن يصنف فيها ؛ خدمة للعقيدة الدينية التى تتمثل فى فهم القرآن ، واجتلاء محاسنه ، التى عجز البلغاء عن مجاراتها والإتيان بمثلها .

وقد ذكر كثير من العلماء وجوها جمة لبيان إعجاز القرآن كالصرفة ، والتنبؤ بالمستقبل ، وذكر قصص السابقين وأحوالهم ، أو كالإشارات العلمية ، والدقة العددية ، إلا أن هذه الوجوه لم تستقر ، ولم يجمع على صحتها العلماء ، وإنما وجدوا فى كل وجه منها ثغرة تنفذ منها أقوال المعارضين فتفندها ، وتظهر جموحها وشططها . ولكن الوجه الأمثل فى سبب الإعجاز الذى لم يجد سبيلا إلى الطعن فيه أحد ، هو الإعجاز البلاغى للقرآن الذى يتمثل فى كل سور القرآن ، ولم تتخلف عنه سورة واحدة سواء أكانت طويلة أم قصيرة .

فالبلاغة - إذن - ليست تذوقا فنيا فقط ، بقدر ما هى مقصد دينى يخدم القرآن ، ويوضح أهدافه ، ويجلى صوره ، ويبرز سماته ، ومن يعرض للبلاغة ينبغى أن يكون متسلحا بزاد المفكر ، وشفافية الفنان ، فللفكر وسائله ، وللفن

أدواته ، فالبلاغة علم له قواعده ، وفن له أصوله ، ولكل منهما منهاج يتبع ، ومثال يحتذى .

وقد رأى مؤلفنا الجرجانى أن كثيرا من العلماء والأعيان خاضوا فى تقرير قواعد البلاغة ، وقلّبوها على وجوهها كافة ، ولم يتركوا منها مسألة إلا وقدحوا لها زناد الفكر ، وأشعلوا فيها وهج الشعور ، وأحاطوا بها قدر طاقتهم ، ووقفوا لها جلّ نشاطهم ، إلا أن كلامهم على حد تعبيره « لم يكن يخلو من الزيغ والسهو والنسيان » فصرف عنان عزمه إلى ميدان البلاغة وعلومها ، فأصدر كتابه « الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة » ؛ قاصدا إلى تقرير قواعد هذه الصناعة وتحقيقها ، ومنتقدا أقوال أهل البلاغة وفرسانها كالخفاجى وعبد القاهر الجرجانى والزمخشرى والسكاكى ومعاصره الخطيب القزوينى .

فنرى مثلا ابن سنان الخفاجى حين يُرجع فصاحة الكلمة إلى حسن وقعها فى الأذن ، نجد المؤلف لا يقبل هذا الحكم دون أن يرجعه إلى أسباب علمية تبين سلاسة الكلمة وجمالها ، ويوضح الأسباب التى تجعل الأذن تميل إلى بعض الكلمات ، وتنفر من بعضها الآخر .

كما نرى صاحب « الإشارات والتنبيهات » يذكر كثيرا من الأوهام التى يقع فيها أعلام البلاغة ويبين ما فيها من خطأ ، ولا يكتفى بهذا ، وإنما يعقب عليها بما يراه صواباً ، سالكا سبيل الحجاج المقنع ، حتى نرى رأيه الصائب فى النهاية بدهياً ، ونعجب كيف غفل عنه العلماء السابقون ، وكيف لم يدركوا الصواب كما أدركه الجرجانى ؟ فالصواب قاب قوسين أو أدنى منهم ، لا يحتاج إلى إعمال فكر أو قدح زند . فنراه مثلا يرد على المعاصر « الخطيب القزوينى » قوله : « إن من طرق القصر العطف بلا وبل ، مثل : زيد قائم لا عمرو ، أو ما عمرو قائم بل زيد » ، فيقول الجرجانى : « وهذا ليس بشئ ؛ لأن إثبات صفة لمعين ونفيها عن معين آخر ليس بقصر ؛ بل القصر هو إثباتها لمعين ونفيها عن غير ذلك المعين » كأنه بذلك يلغى العطف من طرق القصر ، وهو قول لم يبصره أحد من السابقين .

وفى موضع آخر نرى الجرجانى يلغى ما استقر عليه العلماء قديما وحديثا من أن القصر بإنما هو فى الأخير بخلاف إلا ، وذلك فاسد من وجهة نظره ؛ إذ لا

فرق بين « إلا وإنما » فى أن القصر فى الأول ، ويضرب المثل لذلك مفسرا وموضحا ، مما نجده فى صلب الكتاب .

وعندما يعرض للتشبيه والمجاز والكناية ويبين مزيتها عن الحقيقة لا يقول كما يقول غيره : إن سبب هذه المزية يرجع إلى ما فى هذه الأساليب من ذكر الشئ مع الدليل وهو ما يخلو منه أسلوب الحقيقة ، وإنما المزية ترجع إلى ما فى تلك الأساليب من ارتياح النفس وحسن موقع المعنى فيها ، فالمزية عنده فى الدلالة النفسية التى تنطوى عليها تلك الأساليب وليس فى الدلالة العقلية ، وما أحوجنا فى تفهم البلاغة إلى الكشف عن هذه الخوالج النفسية .

ونراه يرد رأى عبد القاهر الجرجانى حين يقرر أن الحسن والجمال فى المحسنات اللفظية تابع للمعانى وليس قائماً بذاته ، فيقول : « وليس الأمر كذلك ؛ لأن الشئ إذا كان حسنا ، يجب أن يكون جميع ما يتعلق به أيضاً حسناً ، وإلا لكان الحسن كالضائع ، والحق أن يقول - يقصد عبد القاهر - وجه الحسن فى المحسنات اللفظية هو وجه حسن الشعر ، وهو التناسب ، فإن الجنس ميال إلى الجنس ، والطبع ميال إلى إيقاع المناسبة بين الأشياء ، فإن التناسب من الاعتدال، والنفس الكاملة مفطورة على محبته » .

كما نراه يردّ وهم الزمخشرى فى مواضع كثيرة من الكتاب وينبه على وجه الصواب الذى ينبغى أن يحتذى .

وهكذا نجد الجرجانى يتعقب علماء البلاغة ويحيط بآرائهم ، فإذا وجدها مصيبة أخذ بها دون أن يعلق عليها أو يعترض سبيلها ، وإن وجد فيها أثارة من ميل أو انحراف أو شرود - وكثيرا ما يرى ذلك - يشد عليها عزمه ، ويفندها تفنيدا حتى يضع أصابعه عليها ، مشيرا إليها فى تؤده ويقين بعد أن يغوص إلى أغوارها ، ويحللها تحليلا علميا قبل أن يضع أمام أعيننا وجهة نظره الصائب .

والجرجانى عالم من علماء النحو يستعين به على البلاغة فى تقرير قواعدها ، وله فى النحو كتابه « المباحث العربية فى شرح الكافية الحاجبية » و « سرائر العربية فى شرح الكافية الحاجبية » ولذلك نراه يعرض لأحكام أئمة النحو التى

لها علاقة بالأسرار البلاغية ، فيناقشهم مناقشة العارف البصير النافذ إلى الأغوار ، فيفند هذه الأحكام النحوية التى استقرت فى أذهان الدارسين والمتعلمين كرأيه فى « لم » التى حكم النحاة بأنها تقلب المستقبل إلى الماضى ، و « إنْ » التى تحول الماضى إلى المستقبل ، فلا يأخذ بهذا الحكم ، وإنما ينحو نحواً آخر يخالف المتعارف عليه .

وفى كثير من الآراء البلاغية التى تستمد جذورها من كتب النحو نجد الجرجانى يقف لها بالمرصاد ، فلا يأخذ بها على علاَّتها ، سواء استقامت أم اعوجّت ، وسواء أكانت العلة التى ساقها العلماء مقبولة أم مرفوضة ، لا يكتفى بهذا أو ذاك ، وإنما يقرر ويذيل ويلقى الضوء الكاشف حتى يبدو الصواب أو الخطأ فى وضوح ويقين .

فمثلاً استقر علماء البلاغة على قولهم : إن الإخبار بالجملة الفعلية يفيد الحدوث ، والإخبار بالجملة الاسمية يفيد الثبوت ، فيقول الجرجانى : « وأشار المعاصر (يقصد الخطيب القزوينى) إلى هذا التعليل نقلا عن غيره ، إلا أنى قررته وذيلته كما ينبغى » ، ثم يقول : « والحمد لله الذى هدانى إلى هذا التحقيق الذى لا أظن أحدا سبقنى إليه » .

ومن ذلك ما نراه فى رده على السكاكى والخطيب حين يذكر كل منهما أن قوله تعالى : ﴿ هى عصاى أتوكّأ عليها وأهشّ بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى ﴾ من باب الإطناب ، فيقول : « وفى هذا القول نظر وبحث ؛ وذلك أنّا نمنع أن موسى أتى بالجواب فضلا عن زيادته عليه .. والحق أنه ليس ذكر المسند إليه فى الآية لكون المقام مقام إطناب ، بل لضعف القرينة ، فإن المذكور لم يتعين للجواب إلا بذكر المسند إليه ، إذ لو حذف لفظة (هى) واكتفى بالمسند لاشتبه وظن أن (عصاى) مبتدأ وما بعده خبره ، ولا يكون جوابا حينئذ ، فتعين بهذا أن الآية ليست من باب الإطناب ، ولا المقام مقامه ، فليطلب الإطناب فى موضع آخر .. »

وعندما يستحسن السكاكى والخطيب قول على بن عيسى الربعىّ فى اعتبار (إنما) موضوعة للقصر ؛ لأن (إنّ) موضوعة لتأكيد الإسناد ، و (ما)

المتصلة بها مؤكدة أيضا فناسب أن تضمّن معنى القصر ؛ لأن القصر ليس إلا تأكيدا على تأكيد . يعتبر الجرجانى هذا التعليل أضعف من بيت العنكبوت ؛ لأن هذه التعليلات التى استند إليها كل من السكاكى والخطيب ممنوعة ، ويفضل رأى الأصوليين الذين يقولون : إنّ للإثبات ، وما للنفى ، ومن المحال تواردهما على شئ واحد .

وكذلك لا يأخذ برأى الخطيب فى تقدير الشرط بعد أسلوب التمنى والاستفهام ، والأمر والنهى ، مثل أكرمْنى أكرمْك ، أى : إن تكرمْنى أكرمْك ، فيقول : إن ما ذكره المعاصر من تقدير الشرط ، وإن اشتهر بين الأدباء ، لكنّا بيّنا فى شرح الكافية خلافه ، وهو مذهب الخليل .

وينقل عن علماء البلاغة قولهم فى الفصل والوصل : « إنه أصعب أبواب البلاغة ؛ إذ لا يضع كل واحد منهما موضعه إلا من أوتىَ فى فهم كلام العرب طبعا سليما ، وأُعطى فى إدراك أسراره حظّا وافرا » .. وقد طوّل المعاصر الكلام فيها وإنى بتوفيق الله تعالى أعطيك ضابطا إن حققته سهل عليك تفاصيله » .

ونراه ينفى التشبيه المقلوب فى القرآن الكريم خلافا للخطيب وجمع من علماء البلاغة الذين توهموا وجوده فى القرآن ، فيقول : « إن قلب التشبيه وإن كان من محاسن الكلام ، لكن لا يوجد فى كلامه تعالى ؛ لأن كلامه على وجه التحقيق لا على وجه المبالغة التى تشبه الكذب » .

كما نراه يحبذ تقديم الكلام فى المجاز المفرد على الكلام فى التشبيه ؛ لأن المجاز يفيد التصور ، والتشبيه يفيد التصديق ، والتصور مقدم على التصديق بالطبع ، وإنما قدمت التشبيه تقليدا لمن سبقنى ، وغفولا عن هذا المعنى .

ومثل هذه الآراء التى تتميز بالجدة والطرافة كثيرة ، تراها حيثما قلبت صفحة من صحف الكتاب .

وصف الكتاب :

كتاب « الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة : المعانى والبيان والبديع » ألفه محمد بن على بن محمد الجرجانى فى اثنتين وثمانين لوحة كتبت بخط دقيق

غير منقوط ، وكل ورقة تحتوى على أربعة وأربعين سطرا ، وكل سطر يشمل اثنتى عشرة كلمة ، كتبت جميعها بالمداد الأسود ، لا فرق فى ذلك بين العنوانات والنصوص ، وقد فرغ من تصنيفه يوم الثلاثاء من صفر سنة تسع وعشرين وسبعمائه ٧٢٩ هـ فى المشهد الشريف الغرويّ .

والنسخة التى نقوم بتحقيقها من كتاب الإشارات والتنبيهات تتميز بأنها كتبت بخط يد المؤلف ، ولا شك أنها تغنى عن كثير من النسخ التى يقوم بكتابتها جمع من النساخ سواء فى عصر المؤلف أو بعد وفاته ، وتفتقر إلى المراجعة والموازنة بينها وبين غيرها حتى نخرج فى النهاية بنسخة دقيقة معتمدة .

فالنسخة التى بين أيدينا توحى إلينا بالثقة ، وتبعث لدينا شعورا مطمئنا بأن التغيير لم يلاحقها ، والتعديل لم يجر عليها ، كما هو الشأن فى بعض الكتب التى يقوم بنسخها تلامذة المؤلف ، فيغيرون كلمة أو يبدلون عبارة ، أو يحذفون جملة ، أو يضيفون نصا ، وعندئذ يصبح الكتاب شيئا آخر قد يكون قريبا أو بعيدا مما ترك المؤلف ، بحسب ما أقحم عليه من جمل ، أو ما أدخل عليه من تعديل قوةً أو ضعفا ، ومن ثم لا ينبئ الكتاب عن حقيقة أفكار المؤلف أو يعكس مشاعره ، وإنما يطمس المعالم الدقيقة للكتاب ، ويخفى الشخصية الحقيقية للمؤلف .

ولكن هذا الكتاب الذى بين أيدينا كتب فى حياة المؤلف وبخط يده فسلم من كل ما يمكن أن يعلق به من قصور أو تشويه .

والجرجانى يصدر كتابه ببعض أبيات من الشعر تدل على تقديره الكبير للعلم وأنه أفضل لديه من الأبناء ، فالعلم أخلد ذكرا وأبقى أثرا ، فالآباء ينجبون الأبناء ، ليذكرهم الناس بعد مماتهم ، ولكنه يرى البُقْيَا بعلم يخلفه صاحبه بعد وفاته ليفيد منه طلاب العلم ، ولذلك كان أصحاب العلم أحياء وإن فارقوا الحياة والعاطلون عن العلم أموات حتى يبصروا بأمور العلم وأسراره :

إذا كـان أقـوامٌ يـرون بقاءهم ... يتخليف أبنـاء كـرام ليذكَـروا

فإنـى أرى البقيـى بعلم مخلف ... لطلابـه ليستفيـدا ويشكـروا

ذوو العلم أحياء وإن فارقـوا الورى ... وذوو الجهل أموات إلى أن يُبْصروا

. . . .

منهاج المؤلف فى الكتاب

تميز الجرجانى بالاستقصاء فلم يترك شاردة أو واردة ، من مسائل البلاغة إلا عرضها عرضا مفصلا دقيقا ، وملما فيها بالآراء كافة ، سواء التى كانت فى عصره أو قبل عصره ، ممن عرض لها من علماء البلاغة الأفذاذ ، ولم يكتف بهذا العرض فى أسلوب شائق سهل ، وإنما ذيّل كل مسألة من مسائل البلاغة التى يجد فيها عوجاً أو خللاً ، فأبرز الوهم الذى وقع فيه غيره ، وناقشه مناقشة العارف البصير المتعمق فى فهم البلاغة بقواعدها وأهدافها ، ثم ينبه على الصواب ، وكثيرا ما كان الجرجانى يفعل ذلك ، فلا نكاد نخرج من مسألة يبين وهمها ، وينبه على ما ينبغى أن يكون عليه صوابها ، حتى ندخل فى مسألة أخرى ، فيعرض لها بمثل ما عرض لما قبلها ، وهكذا إذا قلبنا صحف الكتاب من أوله إلى آخره أدركنا مدى الجهد الذى بذله الجرجانى فى تصحيح المفاهيم البلاغية التى استمرت زمنا طويلاً أو قصيراً ونحن نأخذ بها ونعتقد صوابها . فإذا بها أمام الأضواء الكاشفة التى سلطها الجرجانى فأضاءت جوانبها شئ يحتاج إلى إعادة النظر ومراجعة الفكر ، وعدم التسليم بما رسخ عنها فى الأذهان . ولن يدعك الجرجانى طويلاً لكى تفكر فيما ينبغى أن تكون عليه المسألة البلاغية من صحة وصواب ، أو خطأ واعوجاج ، بل يضع أمام عينيك وبين يديك فكرته الجديدة المؤيدة بالفكر الثاقب ، والإدراك العميق : فهو أولا يعرض المسألة البلاغية تحت عنوان : إشارة ثم بناقشها ويبين خطأها ويردها إلى الصواب تحت عنوان : وهم وتنبيه ، وهكذا من أول الكتاب إلى آخره . فعل ذلك مع ابن سنان الخفاجى ، وعبد القاهر الجرجانى ، والزمخشرى ، والسكاكى والخطيب القزوينى ، دون أن يكل أو يملّ ، فهدفه الدقة والتمحيص ، وتغيير ما ينبغى أن يطرأ عليه من التغيير والتجديد .

والكتاب يعدّ من أمهات كتب البلاغة ؛ لما له من شأن عظيم فى تصحيح المفاهيم البلاغية ، وترسيخ قواعدها ، وتحليل أساليبها ، والمؤلف بارع فى قرع الحجة بالحجة ، ودحض البرهان بالبرهان ، يعينه على ذلك منطق سليم ، وفكر منظم ، وذهن وقاد ، وبديهة لماحة .

ونستطيع أن نقول : إن الشيخ محمد بن على الجرجانى لم يسبقه أحد من المؤلفين فى هذا الفن - على حد علمنا - فى إشاراته وتنبيهاته ، واستقصائه وشموله .

وبعد ، فقد استغرق منى العمل فى هذا الكتاب فترة طويلة تعد بالسنوات ، وافتقر إلى جهد كبير لقراءة عباراته الدقيقة التى لا تُرى بالعين المجردة ، خاصة وأننى كنت أصادف فى كثير من الصفحات هوامش جانبية من أعلى ومن أسفل ، وعن يمين وشمال تحتاج كل منها إلى وضعها فى مكانها الملائم من النص . عدا ما فيه من أبيات شعرية غزيرة تفتقر أيضا إلى تحقيقها والإشارة إلى أصحابها والترجمة لهم ، ونصوص بلاغية أوردها المؤلف نقلا عن المتقدمين لكى يعالجها ويدلى فيها بدلوه ، فكان لا بد من الرجوع إلى مؤلفات أصحابها وإثبات موقعها ، وغير ذلك من أعمال يتعرض لها كل من يقوم بتحقيق كتب التراث ، وما يتخللها من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأمثال نثرية أو شعرية ، وحسبى أن يقع أصل الكتاب فى اثنتين وثمانين ورقة ليخرج إلى القارئ أضعافا مضاعفة من الصفحات المحققة تحقيقا علميا دقيقا . والله أسأل أن ينفع به العلماء والدارسين وطلاب العلم .

أول سبتمبر ١٩٨١

المحقق

د . عبد القادر حسين

رئيس قسم البلاغة والنقد

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي عجزت في بحار الوهيته عقول الفلك واحترقت في انوار كبريائه
اجنحة افكار العلماء وتحيرت في مهامه نعوت جلاله الباب الفلك وخرست
في وصف كماله دعاه وصفاء تماثيله البلغاء ونصرت في شكر الائه محامد اهل
الشكر والثناء وتجلت بتجلية غيره ودام ذكره بقلوب الاولياء الذي لا
يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السماء ولا خرج عن ملكه وحكمه امر في
الابتداء ولا في الانتهاء حمدا يوازي كرمه بنعمه في حالتي السراء والضراء ويدوم
مع الزمان والمكان ولا يوصف بالانقضاء والصلاة على نبي الرحمة وامام
الائمة وكاشف الغماء محمد الذي تفخر الاملاك بشرفه بل وكان ادم بين الطين
والماء واله مصابيح الحكم والفخر ومنابع الفضل والهدى قدوة الاتقياء
واصحابه الذين التزموا ايمانهم وتمسكوا بانوارهم خصوصا الخلفاء اما
بعد فان علم الله به علم شريف عظيم الشأن لكونه كمال الانسان واصل
للبيان لان احكام الشرع موقوفة على صدق السنة والقرآن وصدق القرآن
موقوف على انه منزل من عند الرحمن وذلك موقوف على انه معجز للبلاغة
والبيان ولا يوجد مثله بل احد كيف ادعى في معرض الزمان لو صرفهم الله
عن المعارضة ليعتبروا من العجز بعد ما نهم بالاتيان وقد خاض في تقرير هذا المقصد
كثير من العلماء والاعيان لكن لم يخل كله من الالتباس عن الزيغ والسهو
والنسيان ولذلك صرفت عنان عزمي في مسالك الاشارات والتنبيهات الى هذا
الميدان وركبت متن جواد الفكر وسقته بسوط [illegible] الى تحرير
تحرير قواعد الصناعة وانتهاك ازالة الابله عنه والاذهان مع تلك البضاعة [illegible]
الشواغل المانعة لله مستعينا والحدثان فان اصبت فمن الله الهادي وان [illegible]
فمني ومن الشيطان وقد رتبت الكتاب على مقدمة وفنون [illegible] اما المقدمة

يعني المبادي وما يذكر كراها انما اشار الى حصر صور التراكيب العربية المركب
لفظا بعد نسبة معينة وتلك النسبة اما بين كلمتين او اكثر والمبادي اما ان يسبقها
علم المخاطب او لا والمبادي اما ان يكون ذات الثاني مقصودة او لا والثانية وصفية
والمبادي اضافية والتي لم يسبقها علم اما ان يفيد اولا والمبادي اسنادية ان كان
ركنا والا تعلقية والاسنادية اسمية ان لم يسبق الفعل والا فعلية والاسمية
خبرية غالبا والفعلية ان لم يكن معدولة للفظها فخبرية والا فانشائية والتي ليست
من كلمتين اما ان يكون من سببين او لا والمبادي اما ان يكون ركنا او لا والمبادي
شرطية والثانية تعليقية كالقسم من القسم وجوابه والتي لم يكن من سببين
لا بد ان يكون من كلمة ونسبة فان كانت ركنا فاسنادية مجازية والا تعليقية مجازية
وكل منتسب منها ان افتقر معنى في جانب حمل عليه والا فان العكس فهو مقول له
وذلك ما لم يطرأ عليها ثالث والا فهي [illegible] اشارة الى موضوعات
العلوم العربية وحدودها مفردات التراكيب المذكورة باعتبار صورها واحوالها
العارضة لصيغها واجزائها من التشكل الخفة هو موضوع علم التصريف فاحوالها
باعتبار اوزانها من الحركات والسكنات هو موضوع علم العروض وباعتبار احوالها
التي توجب معرفتها صحة التركيب من التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث والافراد
والتثنية والجمع والظهور والاضمار والذكر والحذف وما يقتضيه التركيب
الصحيح من الاعراب والبناء العارض هو موضوع علم النحو وباعتبار تطبيق احوالها
العارضة لها على احوال التركيب المطابق لمقتضى الوقت الحاضر هو موضوع علم المعاني وباعتبار
كونه دالا على المعنى المراد بشركة العقل [illegible] هو موضوع
علم البيان وباعتبار نسبة بعضها الى بعض لفظا او معنى بالتحسين والتقبيح
هو موضوع علم البديع فعلم المعاني علم يعرف منه كيفية تطبيق احوال الكلام العربي
على احوال المعنى بحسب مقتضى الوقت وعلم البيان علم يعرف منه وجوه التعبير

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذى غرقت فى بحار ألوهيته عقول العقلاء ، واحترقت فى أنوار كبريائه أجنحة أفكار العلماء ، وتحيرت فى مهامه (*) نعوت جلاله ألباب الفضلاء ، وخرِست فى وصف كمال ذاته وصفاته ألسنة البلغاء ، وقَصُرت فى شكر آلائه محامد أهل الشكر والثناء ، وتجلت بتخلية غيره ودوام ذكره قلوب الأولياء ، الذى لا يعزب (١) عن علمه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، ولا يخرج عن قدرته وحكمته أمر فى الابتداء ولا فى الانتهاء ، حمدا يوازى دِيَم نعمه فى حالتَىْ السراء والضراء ، ويدوم مع الزمان والمكان (٢) ، ولا يوصف بالانقضاء ، والصلاة على نبي الرحمة وإمام الأئمة وكاشف الغماء : محمد الذى قهر الأفلاك وشُرِّفَ بلولاك (٣) ، وآدم (٤) بين الطين والماء ، وآله معادن الحكمة والفتوى ، ومنابع الفضل والهدى ، قدوة الأتقياء ، وأصحابه الذين التزموا بآثاره ، وتمسكوا بأنواره ، وخُصُّوا بالاقتداء .

/٢ أ أما بعد ، / فإن علم البلاغة علم شريف عظيم الشأن ؛ لكونها كمالُ كمالِ الإنسان ، وأصل للبيان ؛ لأن أحكام الشرع تتوقف على صدق السّنة والقرآن ، وصدق القرآن يتوقف على أنه منزّل من عند الرحمن ، وذلك يتوقف على أنه غير مقدور للبشر ؛ للبلاغة والبيان (٥) ، وإلا لوجد مثله قبل التحدى به أو بعده ، فى بعض الأزمان ، ولو صرفهم الله عن المعارضة ، لتعجبوا من العجز بعد قدرتهم على الإتيان . وقد خاض فى تقرير قواعدها كثير من العلماء الأعيان ، لكن لم يخل كلامهم الذى بلغنى منه عن الزيغ والسهو والنسيان ، ولذلك صرفت عِنان عزمى فى هذه الإشارات والتنبيهات إلى هذا الميدان ، وركبت متن جواد الفكر ، وسقته بسوط توفيق الله المنان إلى تحقيق تقرير قواعد الصناعة ،

(*) جمع مهمه : المفازة البعيدة .

(١) لا يعزب : أى لا يبعد .

(٢) فى الأصل : مع الزمان والإمكان .

(٣) يشير إلى الحديث القدسى « لولاك لولاك ما خلقتُ الأفلاك » أى لولاك يا محمد ﷺ .

(٤) آدم بين الطين والماء : أى قبل خلق آدم عليه السلام .

(٥) المراد غير مقدور للبشر بسبب ما فيه من البلاغة والبيان .

وانتقاد أقوال أهل البلاغة والفرسان ، مع قلة البضاعة وكثرة الشواغل المنافية للاستطاعة والحدثان ، فإن أصبتُ فيها ، فمن الله الهادى ، وإلا فمنى ومن الشيطان .

وبنيت الكتاب على مقدمة ، وفنون ثلاثة ، وخاتمة .

/٢ ب / أما المقدمة ففى المبادئ وما يجرى مجراها .

إشارة إلى حصر صور التراكيب العربية :

المركب لفظ يفيد نسبة معينة ، وتلك النسبة إما بين كلمتين أوْ لا ، والأولى : إما أن يسبقها علم المخاطب أوْ لا ، والأولى : إما أن تكون ذات الثانى مقصوده أوْ لا ، والثانية وصفية والأولى إضافية ، والتى لم يسبقها علمه إما أن يفيده أوْ لا . والأولى إسنادية إن كانت ركنا ، وإلا فتعلقية ، والإسنادية : اسمية إن لم يسبق الفعل ، وإلا ففعلية ، والاسمية : خبرية غالبا ، والفعلية : إن لم تكن معلومة للفظها فخبرية ، وإلا فإنشائية .

والتى ليست بين كلمتين : إما أن تكون بين نسبتين أوْ لا : والأولى : إما أن تكون ركنا أوْ لا ، والأولى : شرطية ، والثانية : تعلقية ، كالنسبة بين القسم وجوابه ، والتى لم تكن بين نسبتين ، لا بد أن تكون بين كلمة ونسبة ، فإن كانت ركنا ، فإسنادية مجازية ، وإلا فتعلقية مجازية ، وكل منتسب منها إن اقتضى معنى فى صاحبه فهو عامل فيه ، وإلا فإن انعكس فهو معموله ، وذلك ما لم يطرأ عليهما ثالث ، وإلا فهو العامل فيهما .

إشارة : إلى موضوعات العلوم العربية :

وحدودها : مفردات التراكيب المذكورة باعتبار صوغها ، وأحوالها العارضة لصيغها وأجزائها من أنواع التغيرات بسبَبَىْ الثقل والخفة ، هى موضوع علم التصريف .

وتراكيبها باعتبار أوزانها من الحركات والسكنات ، هى موضوع علم العروض .

وباعتبار أحوالها التى توجب معرفتها صحة التركيب : من التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع ، والظهور والإضمار ، والذكر

والحذف ، وما يقتضيه التركيب الصحيح من الإعراب والبناء العارض ، هى موضوع علم النحو .

وباعتبار تطبيق أحوالها العارضة لها على أحوال المعانى بحسب اقتضاء الوقت الحاضر ، هى موضوع علم المعانى .

وباعتبار كون دلالتها على المعنى المراد بشركة العقل ، هى موضوع علم البيان .

وباعتبار نسبة بعضها إلى بعض لفظا أو معنى بالتحسين والتقبيح ، هى موضوع علم البديع .

فعلم المعانى : علم يعرف منه كيفية تطبيق أحوال الكلام العربى على أحوال المعنى بحسب مقتضى الوقت .

/ **وعلم البيان** : علم يعرف منه وجوه التعبير عن المعنى المراد بدلالتَىْ اللفظ الموضوع والعقل معاً . ٣/ أ

وعلم البديع : علم يعرف منه وجوه تحسين الكلام ، وباعتبار نسبة بعض أجزائه إلى بعض ، غير نسبتى الإسناد والتعلق .

إشارة : إلى نسبة العلوم العربية بعضها إلى بعض :

كما أن الإنسان خلق ناقصا ، وأعطى قدرة يرتقى بها إلى كماله اللائق به بحسب شخصه ، فمنهم من هو فى الرتبة الدنيا ، ومنهم من هو فى الرتبة العليا ومنهم من يتوسط بينهما بحسب استعداده واجتهاده ، كذلك كلامه له ارتقاء إلى الكمال باختياره أو طبعه ، حتى ينتهى إلى رتبة الإعجاز . والطبيعى مقدم على الاختيارى ومَعْلم له ، فالرتبة الدنيا تتعلق بالواضع ، والثانية بالتصريفى ، والثالثة بالنحوى ، والرابعة بصاحب علم المعانى ، والخامسة بصاحب علم البيان والسادسة بصاحب علم البديع . ويجب على صاحب كل علم منها أن لا يتسلم الكلام ممن تقدمه إلا بعد كمال صنعته ، ويوقع فيه صنعته ، وكذلك النساج بالنسبة إلى الغزال ، والغزال بالنسبة إلى الندّاف أو السلاّل ، فمسائل كل علم منها ما هو فى رتبته من أحوالها ومباديه مما هو قبله من العلوم . فعلم البديع أقل مسائلاً ، وأكثر مبادئ ، وعلم التصريف بالعكس ، وما بينهما بحسبهما .

إشارة : إلى فصاحة المفردات :

فصاحة المفرد أن يخلو عن أمور ستة :

(أ) أن يخلو عن اجتماع المثلين من غير إدغام ، كالأجلل فى قول الشاعر :

الحَمْدُ للّه العلىِّ الأجْلَلِ (١)

وعن اجتماع المتقاربين فى المخرج لا سيما حروف الحلق ، كهُعْخُعْ ، فى قول أعرابى لما سئل عن ناقته : أنها ترعى الهُعْخُع (٢) . والمستشزرات فى قول امرئ القيس :

غدائرُهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلَى العُلاَ (٣)

(ب) أن تخلو عن الغرابة : فإن المألوف محبوب ، وغيره مكروه ، كلفظة كهل فى شعر بعض الهذليين :

فلو كان سلمى جاره أو أجاره ريـاحُ بن سعد ردَّه طائر كهلُ (٤)

سئل الأصمعى (٥) عنه فلم يعرفه . وقيل : إنه الضخم .

/٣ ب ومن ذلك / ما يقال : إن عيسى بن عمر (٦) النحوى وقع عن حماره ، فاجتمع عليه الناس ، فقال : « ما لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ علىَّ تكأكُؤكُمْ على ذى جِنَّة ؟ افْرَنْقِعُوا عنّى » ، أى : اجتمعتم علىَّ ، تنحوا عنى .

---

(١) هو مطلع أرجوزة لأبى النجم الفضل بن قدامة العجلى وبعده :

الواهب الفضل الكريم المجزل أعطى فلم يبخل ولم يبخل معاهد التنصيص ١٨/١

(٢) الهعخع : نوع من النبات ترعاه الإبل .

(٣) مستشزرات : مرتفعات . والبيت لامرئ القيس من معلقته وتمامه :

تضل المدارى فى مثنى ومرسل . ديوانه ص ١٧

(٤) البيت لأبى خراش الهذلى ، والمراد بالطائر الكهل : الحظ السعيد . والبيت من قصيدة مطلعها :

كأن الغلام الحنظلى أجاره عمانية قد عمَّ مفرقها القمل

ديوان الهذليين ١٦٥ دار الكتب .

(٥) هو أبو سعيد : عبد الملك بن قريب الأصمعى الراوية اللغوى توفى سنة ٢١٣ هـ نزهة الألبا ٧٥ .

(٦) هو عيسى بن عمر الثقفى وكنيته أبو سليمان كان ثقة عالما بالعربية والنحو ، يميل إلى الوحشىّ والغريب فى الكلام توفى سنة ١٤٩ هـ نزهة الألبا فى طبقات الأدباء ص ١٣ - ١٥

ومن ذلك « الدردبيس » فى قول أبى تمام :

بنداك يوسى كل جرح يعتلى   رأب الأساة بدردبيس قنطرِ [1]

و « المرمريس » فى قول محمد بن منازر :

وَمنْ عاداك لاقَى المرمريسا [2]

روى أن أبا العتاهية قال له : إن كنت أردتَ بشعرك شعر العجاج [3] وابنه رؤبة [4] فما صنعت شيئا ، وإن كنت أردت أهل زمانك ، فما أخذت مأخذهم ، أى شئ المرمريس ؟

(جـ) أن لا تكون الكلمة عامِّية كتفرعن فى قول أبى تمام :

جليتَ والموت مبدٍ حُرَّ صفحته   وقد تَفرْعَن فى أفعاله الأجلُ [5]

وكقابرى فى قوله أيضاً :

قـــد قلـــتُ لمـا لجَّ فى صدِّهِ   اعطف علـى عبدك يا قابرى [6]

وكفطير فى قول عبد العزيز بن نباته :

أقـــام قِـــوامَ زيـــغُ قناتـه   وأنضج كىَّ القرح وهْو فطيرُ [7]

---

(١) الدردبيس والقنطر معناهما واحد وهو الداهية ، وقد ذكره الخفاجى فى سر الفصاحة كشاهد على الغرابة والوحشية ص ٧٠ ط صبيح . ولم أعثر عليه فى ديوان أبى تمام .

(٢) المرمريس : الداهية ، والبيت فى سر الفصاحة ص ٧٢ ، ومحمد بن منازر شاعر فصيح عالم باللغة توفى سنة ١٩٨ هـ بغية الوعاة ٢٤٩/١ ط عيسى الحلبى .

(٣) هو عبد اللّه بن رؤبة بن لبيد بن صخر التميمى وله ديوان مطبوع بتحقيق د . عزه حسن .

(٤) هو عبد اللّه بن رؤبة بن لبيد بن صخر ينتمى إلى تميم من أكبر قبائل العرب وهو وأبوه راجزان مشهوران ، وكل منهما له ديوان رجز .

(٥) من قصيدة يمدح فيها المعتصم باللّه مطلعها :

فحواك عين على نجواك يا مذل   حتام لا يتقضى قولك الخطل

ديوانه ١١٦/٣ دار المعارف

وتفرعن مشتق من اسم فرعون ، وهو من ألفاظ العامة ، وعادتهم أن يقولوا : تفرعن فلان : إذا وصفوه بالجبروت .

(٦) يقول ابن سنان الخفاجى إن هذا البيت غاية فى السخافة ؛ لأن (قابرى) من ألفاظ عوام النسـاء وأشباههن ص ٨٠

(٧) لفظة فطير عامية مبتذلة وقد هجنت البيت وأذهبت طلاوته .

وكسراويلاتها في قول المتنبى :

إنى على شغفى بما فى خُمرها   لأعفُّ عمّا فى سراويلاتها [١]

ويلحق بذلك كله ما حذف منها أو زيد على غير قياس . أما الحذف فكقول رؤبة :

قواطناً مكة من وُرْقِ الحما [٢]

أراد الحمام . أما الزيادة فكقول ابن هَرمة :

وأنت من الغواية حين تُرميَ   وعن عيب الرجال بِمُنْتَزاح [٣]

أراد منتزح

(د) أن تكون الكلمة معبرة عن غير ما عبرت به العرب ، كأيّم فى قول أبى عبادة :

تشق عليه الريحُ كلُّ عشية   جيوب الغمام بين بِكر وأيّم [٤]

---

(١) البيت من قصيدة يمدح فيها أبا أيوب أحمد بن عمران مطلعها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها   دانى الصفات بعيد موصوفاتها

ديوانه ٢٢٦/١ شرح العكبرى .

ولا شئ أقبح من ذكر السراويلات ، وهى كناية التصريح أجمل منها .

ديوانه ٢٢٦/١ شرح العكبرى .

(٢) نسبه المؤلف إلى رؤبة بن العجاج ، ونسبه سيبويه إلى العجاج ٨/١ ، ٥٦ ، ١١٢/٢ وانظر ديوان العجاج ص ٥٨ - ٦٢ ، وفى اللسان :« أوالفا مكة من ورق الحما » منسوب إلى العجاج مادة ألف والبيت ليس فى ديوان رؤبة ط . برلين .

(٣) البيت لابن هرمة فى مدح عبد الواحد بن سليمان وفى اللسان مادة نزح ورد البيت هكذا ، كما ورد فى الديوان :

فأنت من الغوائل حين ترمى   ومن ذم الرجال بمنتزاح

ومنتزاح بمعنى بعيد .

ديوانه ص ٩٢ ط دمشق .

(٤) من قصيدة يرثى فيها حميدا الطوسى وأولاده مطلعها :

أ « قصر حميد » لا عزاء لمغرم   ولا قصر عن دمع وإن كان من دم

ديوانه ١٩٤٥/٣

أراد بالأيّم : الثيب ، وإنما هو المرأة التى لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، قال تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾ (١) . وكقسط فى قول أبى عبادة :

شَرطى الإنصاف إن قيل اشترط وصديقى مَن إذا صافى قسطْ (٢)

أراد بقسط : عدل ، وليس كذلك ، وإنما هو بمعنى جار ، وأقسط بمعنى : عدل ، والهمزة للإزالة ، كقولهم : شكى فلان فاشتكيته ، أى أزلت شكايته ، قال تعالى : / ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴾ (٣) . ٤/ أ

(هـ) أن لا يكون للكلمة المستعملة معنى آخر يكره ذكره ، كقول عروة بن الورد :

قلت لقوم فى الكنيف تروحوا عشية بتنا عند ماوان رزّح (٤)

والكنيف أصله الساتر ، إلا أنه يطلق على بئر الغائط ، ولعل هذا العرف حدث بعد عروة ، فيعذر ، ولا يعذر من استعمله بعد العرف .

وكذلك قول عمرو :

وكم من غائطٍ من دون سلمى قليـل الأُنس ليس به كَتيع (٥)

أراد بالغائط : البطن من الأرض وكبده ، لصيرورته مجازا فى العرف ، وحقيقة لحدث الإنسان ، وسبق الذهن إلى الحقيقة .

(و) أن تكون الكلمة غير خارجة عن حد الاعتدال كثيرا ، كمغناطيس فى قول ابن نباته :

---

(١) سورة النور آية ٣٢

(٢) البيت للبحترى وهو مستهل قصيدة يعاتب فيها العلاء بن صاعد وقد ورد هكذا :

شرطى الانصاف لو قيل : اشترط وعـدوى مـن إذا قيـل قسط

ديوانه ١٢٢٧/٢

(٣) سورة الجن آية ١٥

(٤) تروحوا : ساروا بالرواح : أى العشى ، ماوان : واد فيه ماء ، رزح : سقطوا من الاعياء والبيت مطلع قصيدة يذكر فيها عروة شدة أهل الكنيف وقيامه بأمرهم حتى صلحوا .

ديوان عروة ص ٢٣ ط بيروت

(٥) ليس به كتيع : ليس به أحد ، والبيت لعمرو بن معديكرب . ديوانه ١٣٣

فإياكم أن تكشفوا عن رؤوسكم ألاَ إن مغناطيسهن الذوائب

وكأذربيجان فى قول ابن نباته :

فلأ ذربيجان اختيال بعد ما كانت معرّس عبرةٍ ونكالِ [١]

وقول المتنبى :

إن الكريم بلا كرامٍ منهمُ مثل القلوب بلا سويداواتها [٢]

وهم وتنبيه :

زاد أبو محمد الخفاجى [٣] لفصاحة المفرد سببا آخر : وهو أن يكون له فى السمع حسن ومزية ، كتأليف عَذْب وعُذَيب ، فإن له مزية لا ينكرها سامع ، ولو غيرت ترتيب حروفه لم تكن له تلك المزية ، وكذلك تأليف الغصن والفنن ، فإن كل سامع يدرك بالضرورة تفرقة بين أغصان البان وبين عساليج الشوحط [٤] فإن أنكر منكر ذلك ، ثم غنى بأحدهما مغن ، وبالآخر الآخر ، لا بد أن يعترف السامع بطربه بالأول ، دون الثانى ، وإلا لخرج عن جملة العقلاء وحينئذ نسأله : ما السبب فى ذلك ؟ فإنه لا يجد له سبباً غير ما ذكرناه ، وكذلك كلمة « تفاوح » فى قول المتنبى :

إذا سارتِ الأحداجُ فوق نَباته تفاوحَ مسكُ الغانيات وَرندهٌ [٥]

فإن لها فى السمع مزية لا ينكرها ذو طبع سليم . وضده قوله أيضاً :

---

(١) أذربيجان : كلمة غير عربية ورديئة لطولها وكثرة حروفها ، البيت لم أعثر عليه بالديوان .

(٢) من قصيدة يمدح فيها أبا أيوب أحمد بن عمران ، مطلعها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

وسويداواتها جمع سويداء ومعناها : حبة القلب وهى قبيحة فى ذاتها .

ديوانه ١/ ٢٣٠

(٣) هو ابن سنان الخفاجى المتوفى سنة ٤٤٦ هـ وانظر سر الفصاحة ص ٦٧

(٤) عساليج الشوحط : شجر كثير الشوك يتخذ منه القسى .

(٥) الأحداج : جمع حدج وهو مركب النساء ، والرند : نبت طيب الرائحة من قصيدة يمدح فيها كافوراً مطلعها :

أودُّ من الأيام ما لا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

ديوانه ٢/ ٢٠

مبـــاركُ الاســـم أغرُّ اللقبْ　　　كريم الجِرِشيِّ شريف النسبْ [1]

/ فإن لتأليف الجرشى كراهة فى السمع ، ونبواً عنه .　　　/٤ ب

ولقائل أن يقول : ما ادعيتَ لبعض الألفاظ مزية فى السمع لا نزاع فيه ، لكن ما السبب فى تلك المزية ؟ فإن عللتها بالمزية فى السمع ، فهو تعليل الشئ بنفسه ، وإن عللتها بالطرب ، فهو الدوْر ، لأن الطرب معلل بالمزية .

والتحقيق : أن المزية فى نحو : عذب وغصن وفوح ، معللة بعلتين :

إحديهما : أن كل واحد مركب أعدل تركيب ، وهو الثلاثى ساكن الأوسط ، حرف للابتداء به ، وحرف للإعراب والوقف عليه ، وحرف للفصل بينهما ، ولا يحتاج الفاصل إلى حركة .

ثانيتهما : أن كل واحد مركب من حروف متباعدة فى المخرَج ، مرتبة فيه على سمت واحد ، وحركة واحدة للآلة ، فإن العين من أسفل المخارج وهو الحلق، والذال من أوسطها ، والباء من أعلاها . وكذلك الغصن . وأما فوح : فترتيب حروفه في المخرَج بالعكس ، فإن الفاء من أعلى المخارج ، والواو من أوسطها ، والحاء من أسفلها ، ولو قدم الذال على العين فى عذب ، وقيل : ذعب ، احتاجت الآلة إلى حركتين : حركة من أوسط المخارج إلى أسفلها ، وحركة من أسفلها إلى أعلاها ، ولذلك تثقل ، ولا يكون له ذلك القبول فى السمع . وكذلك القول فى غصن وفوح .

وأما نحو « عساليج الشوحط » و « الجرشى » فكراهة السمع له للغرابة ، لا لما ذكره الخفاجى ، وقد ذكرت الغرابة فلا تجعل كراهة السمع سبباً للغرابة .

إشارة : إلى فصاحة الكلام .

الذى يخل بفصاحته أمران :

أحدهما : أن لا يكون ترتيب مواده على ما ينبغى من التقديم والتأخير ، وهو على ضربين :

---

(١) كريم الجرشى : أى كريم النفس ، والبيت لأبى الطيب المتنبى من قصيدة يخاطب فيها سيف الدولة ويجيبه على كتابه الذى أرسله إليه ومطلعها :

فهمت الكتاب أبر الكتب　　　فسمعاً لأمر أمير العرب

ديوانه ٩٩/١ سر الفصاحة ٦٩ ط صبيح

أحدهما : أن لا يخل بالفهم كثيرا كقول الشاعر :

جـــزى ربُّـــه عنـــى عدىَّ بنَ حاتم　　　جزاءَ الكلابِ العاويات وقد فعلْ [1]

كان ينبغى أن يقول : جزى عدىَّ بن حاتم ربُّه ؛ ليعود الضمير فى ربه إلى مذكور بعد أن عاد الضمير إلى عدى ، وأما إن عاد إلى الجزاء ، أى : رب الجزاء ، فلا يخل بالفصاحة ؛ لأنه كقوله تعالى : ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [2] وما فيهما لا يخل بالفهم كثيرا ، بحيث ينبو عنه الذوق ، بل ذكر أكثر الناس ، قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك :

٥/ أ　/ وما مثلُه فـى الناس إلا مُمَلَّكاً　　　أبو أمـــه حـــىٌّ أبوه يقاربهْ [3]

والتقدير : وما مثله فى الناس حىٌّ يقاربه الا مُمَلَّكٌ أبو أمه أبوه .

وثانيهما : أن يحصل بسبب اجتماع حروف متماثلة ثقيلة زيادة الثقل كبيت أنشده الجاحظ :

وقبـــرُ حـــربٍ بمكـــان قَفْـــرُ　　　وليس قُـــربَ قَبرِ حربٍ قَبْرُ [4]

فإن تكرار القاف الثقيل فى هذه المفردات ، أوجب الثقل القوى المخل بالفصاحة . ومنه قول أبى تمام :

كريم متـى أمدحْهُ أمدحْهُ والورى　　　معى ، وإذا ما لُمْتُهُ لُمْتُه وحْدى [5]

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى وقد ورد فى الديوان هكذا :

جـــزى الله عبســـاً آل بغيـــض　　　جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ديوان النابغة الذبيانى ص ١٢٧ ط بيروت

(٢) سورة المائدة آية ٨

(٣) البيت من شواهد التعقيد اللفظى . والذى عليه الرواة أن قائل هذا البيت أبو الأسود الدؤلى يهجو عدى بن حاتم ، ديوانه ١٠٨ وديوان الفرزدق

(٤) أنشده الجاحظ فى البيان والتبيين ٦٥/١ والحيوان ٢٠٧/٦ ، وسر الفصاحة ١٠٨ . ولتنافر لفظه نسبوه إلى بعض الجن .

(٥) البيت من قصيدة يمدح فيها أبا الغيث الرافقى ويعتذر إليه ، مطلعها :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى　　　ومحّت كما محّـــت وشائع من برد

وفى الديوان « ومتى ما لمته »　　　ديوانه ١١٦/٢ وسر الفصاحة ١١٣

لكونه مخلا بالفصاحة ، لا لاجتماع حرفى حلق فقط فى « أمدحه » كما قال المعاصر [١] ؛ لأنه جاء فى القرآن مثله : ﴿ وسَبِّحْهُ لَيلاً طويلاً ﴾ [٢] ولا لمجرد تكرار الكلمة : وإلا لأخل أيضا تكرار « لمته » ، بل لهما معا .

وهم وتنبيه : قال المعاصر : مما يخل بفصاحه الكلام ما يرجع إلى المعنى : وهو أن لا يكون انتقال الذهن من معنى اللفظ إلى المعنى المراد ظاهرا ، كقول العباس بن الأحنف :

سأطلبُ بُعدَ الدارِ عنكم لِتقربُوا وتسكبُ عيناىَ الدموع لِتَجْمُدا [٣]

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن ، وأصاب فيه ، ثم طرد ذلك فى نقيضه ، وكنى عما يوجبه دوام السرور بالجمود ولم يصب ؛ لأن الجمود يكنى به عن خلو العين عن البكاء فى حال إرادة البكاء ، لا مطلقا ، فلا يكون كناية عن المسرة ، بل عن البخل ، كما قال الشاعر :

ألا إنّ عَيْنًا لم تَجُدْ يومَ واسطِ عليك بجارى دَمْعِها لَجَمُودُ [٤]

قلت : هذا صحيح ، لكنه لا يخلّ بفصاحة الكلام ، بل بفصاحة المفرد ، وداخل فى القسم الرابع ، فإنه استعمل « لتجمدا » لغير ما ينبغى أن يستعمل .

وقال الصاحب بن عباد [٥] : « إياك والإضافات المتداخلة ، فإنها لا تحسن فى غير الهجاء » ، كقول الشاعر :

يا علىّ بنُ حمزة بن عمارهْ أنت - واللهِ - ثلجةٌ فى خيارهْ [٦]

---

(١) نص كلام الخطيب تعليقاً على هذا البيت : « فإن فى قوله (أمدحه) ثقلاً ما ، لما بين الحاء والهاء من تنافر » وهذا مردود ؛ لأن الحديث فى فصاحة الكلام لا فصاحة الكلمة .

(٢) سورة الإنسان آية ٢٦

(٣) البيت مذكور فى الديوان منفرداً ص ١٠٦ ط دار الكتب . والصناعتين ٢٢٥

(٤) البيت لأفلح بن يسار المعروف بأبى عطاء الخراسانى قاله فى رثاء ابن هبيرة بعد ما قتل فى معركة بواسط ، والبيت فى بغية الإيضاح غير منسوب ٢٢/١

(٥) هو إسماعيل بن عباد ولقب بالصاحب لصحبته ابن العميد .

(٦) ذكر الإمام عبد القاهر هذا البيت وقال : إن تتابع الإضافات يستعمل فى الهجاء ، ولا شك فى ثقل ذلك ، لكنه إذا سلم من الاستكراه ملح وظرف . دلائل الإعجاز ص ٨٢ ط ٥ وفى البغية غير منسوب ٢٤/١

قلت : ينبغى أن يخصص هذا الكلام بوجه ، ويعمم بوجه آخر ، أما التخصيص : فبصورة تزيد الإضافات ذما ، بأن يكون فى آبائه منك مغمز ، لا مطلقا ، لكونه تطويلا بغير فائدة .

وأما التعميم : فهو أن يقال فى المدح والذم ، ويخص المدح بصورة تزيد بالإضافة مدحا ، وإلا / كان تطويلا من غير فائدة ، كقول النبى ﷺ : « الكريمُ ابنُ الكريم بن الكريم بن الكريم : يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم » [1] . /٥ ب

وقيل يجب الاحتراز عن كثرة التكرار وتتابع الإضافات مطلقا ، كقول المتنبى :

سَـــبُوحٌ لها مِنْهَا عَلَيهَا شـــواهدُ [2]

وكقول ابن بابك :

حمامةَ جرعى حومةِ الجندلِ اسجَعِى [3] .

قلت : وهذا أيضا ينبغى أن يخصص ، بأن يقال : إن كانت الإضافة موجبة للثقل اللفظى ، كقول المتنبى ، أو خالية عن الفائدة ، كقول ابن بابك ، فهى مما يجب الاحتراز عنه منه . وأما إذا خلت عن الثقل ولم تخْلُ عن الفائدة ، فلا تخلّ بالفصاحة .

إشارة - إلى بلاغة الكلام :

البلاغة تختص بالكلام باعتبار دلالته على المعنى ، ولا يوصف بها المفرد ، ولا الكلام ، مع قطع النظر عن المعنى ، ولا المعنى مع قطع النظر عن اللفظ .

---

(١) عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى أنه قال : « الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام » أخرجه البخارى ، فتح البارى ٢٢٨/٧ ط مصطفى الحلبى .

(٢) الشطرة الأولى من البيت : وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة .

والسبوح : السريعة ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة مطلعها :

عواذل ذات الخال فى حواسد   وإن ضجيج الخود منى لماجد

ديوانه ١/ ٢٧٠

(٣) جرعى : المكان الذى يختلط فيه الرمل بالحجارة . حومة الشئ : معظمه ، الجندل : الصخر ، وسجع الحمام : هديره . وابن بابك هو : عبد الصمد بن منصور البغدادى . وتمام البيت: فأنت بمرأى من سعاد ومسمع ، البغية ٢٤/١

فبلاغة الكلام : كون اللفظ الفصيح معبًّرا به عن المعنى بحسب اقتضاء الوقت الحاضر ، وبحسب حالة متعلق الكلام من الممدوح والمذموم وغيرهما .

واقتضاء الوقت الحاضر مختلف : فإنّ مقام التنكير ، أو الاطلاق ، أو التقديم ، أو الذكر ، أو قصر الحكم ، أو الفصل ، أو الايجاز ، وخطاب الذكى غير مقام التعريف ، أو التقييد ، أو التأخير ، أو الحذف ، أو عدم القصر ، أو الوصل ، أو الإطناب ، أو خطاب البليد ، فإذا عبر المتكلم عن المعنى المناسب لمتعلق كلامه ، وبحسب اقتضاء وقته من الأشياء المذكورة بلفظ فصيح ، فكلامه بليغ فصيح [١] ، فكل بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا ، لأن المفرد كما تقدم يوصف بالفصاحة ، دون البلاغة ؛ لأن البلاغة تأليف المعانى على وجه مخصوص بالألفاظ المخصوصة ، أو تطبيق الألفاظ المخصوصة على المعانى المخصوصة ، والكلمة لا تأليف فيها .

أوهام وتنبيهات :

قال الشيخ عبد القاهر فى دلائل الإعجاز : « إن الفصاحة والبلاغة راجعتان إلى المعنى ، بهذه العبارة علمت أن الفصاحة والبلاغة ، وسائر ما يجرى فى طريقهما أوصاف راجعة إلى المعانى ، وإلى ما يدل عليه بالألفاظ ، دون الألفاظ نفسها ، » وحكى عمن تقدمه :

إنك لا تقدّم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة أو أدبا ، أو استعمل على تشبيه غريب ومعنى نادر .

وقال فى موضع آخر : / « إن الذى عليه المحصلون ، هو ضد هذا الرأى » ، ‎٦/ أ
وحكى عن الجاحظ [٢] هذه العبارة : المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى ، والقروى والبدوى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك .

---

(١) وصف الكلام بأنه فصيح بعد وصفه بأنه بليغ لا معنى له ، وتعبير غير سليم ؛ لأن الكلام إذا كان بليغاً وجب أن يكون فصيحاً ، لأن البلاغة أخص ، وتحقيق العبارة : فكلامه فصيح بليغ .

(٢) الحيوان ١٣١/٣ ، ١٣٢ ط الحلبى ودلائل الإعجاز ١٩٨

وكذلك اختلفوا فى أن الشئ الذى يقع فيه صفة البلاغة ما هو ؟

فقال أبو محمد الخفاجى : إنه الألفاظ [١] .

وقال الشيخ : هو المعانى ، وهذه عبارته : « معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذى يعبر عنه سبيل الشئ الذى يقع فيه التصوير ، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار ، وكما أنه محال إذا أردت النظر فى صوغ الخاتم ، وجودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة ، أو الذهب الذى وقع فيه ذلك العمل ، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية فى الكلام ، أن تنظر فى مجرد معناه ، كما فضلنا خاتما على خاتم ، بأن تكون فضة هذا أجود ، أو فضة ذاك أنفس [٢] ، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغى إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه ، ألا يكون ذلك تفضيلا له من حيث إنه شعر وكلام »، انتهى كلامه [٣] .

قلت : أما القول برجوع الفصاحة إلى المعنى ، فلا شك فى سقوطه ؛ لما تقدم من رجوعها إلى الألفاظ مفردة ومركبة .

وأما البلاغة : فإن أرادوا أنها ترجع إلى المعانى ، لا باعتبار أنها مدلولات الألفاظ ، فساقط أيضاً ؛ لما قاله الجاحظ : « وإن أرادوا أنها ترجع إليها باعتبار أنها مدلولات الألفاظ ، هو الذى أردناه ؛ لأنها فى الحقيقة تنظيم ألفاظ مخصوصة بمعانى مخصوصة ، وينعكس بأن يقال : تنظيم معانى مخصوصة بألفاظ مخصوصة ، ولذلك تارة يوصف الكلام بالبلاغة فيقال : هذا كلام بليغ ، وأخرى يوصف المعنى بها فيقال : معنى بليغ » .

وأما الموضوع ، فلم يصب القائلان فيه :

« أما أبو محمد ، فلأن الألفاظ هى موضوعات العلوم العربية كلها ، حتى اللغة كما تقدم ، ولم يميز موضوع بعضها على بعض على وجه تقدم .

---

(١) عبارة الخفاجى : الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعانى . سر الفصاحة ص ٦٠

(٢) فى الأصل : أو فضة أنفس .

(٣) دلائل الإعجاز ص ١٩٦ ، ١٩٧ ط دار المنار الطبعة الخامسة .

وأما الشيخ ، فلأن موضوع كل علم ، ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ، وليس أحوال اللفظ المبحوث عنها فى علم البلاغة عوارض ذاتية للمعانى ، بل للكلام ، فإن صاحب هذه الصناعة يبحث عن أحوال تجعل الكلام فصيحا بليغا ، كما أن النحوى يبحث عن أحوال تجعله صحيحا . فالكلام هو موضوع العلوم العربية باعتبارات تقدّم ذكرها ، ما عدا علم التصريف ، فإن موضوعه الكلمات المفردة كما تقدم .

إشارة - إلى فصاحة المتكلم وبلاغته :

فصاحة المتكلم : / هى هيئة راسخة فى نفسه يقدر بها على تعبيره ٦/ ب عن مقصوده بحسب مقتضى الحال بلفظ فصيح .

فالهيئة جنس دخل فيه غير الفصاحة من الهيئات النفسية .

وقلنا : راسخة ؛ لتخرج الهيئة غير الراسخة ، لأنها لا تكونُ فصاحة .

وقلنا : فى نفسه ، لتخرج الهيئات غير النفسانية .

وقلنا : يقدر ، ولم نقل : يعبر ؛ ليشمل حالتى النطق والسكوت ، فإن الفصيح فصيح وإن لم يتكلم .

وقلنا : بلفظ فصيح ؛ ليدخل فيه المفرد والمركب ؛ لعدم اختصاص الفصاحة بالكلام .

وبلاغة المتكلم : هى هيئة راسخة فى نفسه يقدر بها على تأليف كلام بليغ .

وإنما قلنا : كلام ولم نقل : لفظ ؛ لاختصاص البلاغة بالكلام كما تقدَّم ، ونظير الفصيح والبليغ فى اشتراكهما بين الكلام والمتكلم ، الصادق والكاذب ، إلا أن الأولَين بينهما عموم وخصوص مطلق كما تقدم ، وبين الأخيرين مقابلة التناقض ؛ لأن الصدق [1] : هو الخبر المطابق للواقع . والكذب هو الخبر غير المطابق ، ولا واسطة بينهما على الصحيح المجمع عليه اليوم .

---

(١) فى الأصل : لأن الصادق ...... والكاذب . وهذا غير مستقيم .

وقال الجاحظ : الصدق : هو الاعتقاد مع المطابقة ، والكذب : هو الاعتقاد مع عدمها ، فيكون المطابق مع عدم الاعتقاد ، وغير المطابق مع عدم الاعتقاد ، لا يكون صادقاً ولا كاذباً . واحتج بأن الله تعالى أثبت كذب من قال من المنافقين: ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُه ﴾ [1] مع أنه مطابق بقوله : ﴿ والله يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكاذِبُون ﴾ [2] وأن عائشة نفت الكذب عمن أخبر بخبر غير مطابق ؛ لعدم اعتقاده ، فقالت :

« إنه ما كذب ولكنه وهَم » .

وبأن الكفار جعلوا الجنة قسيمة لافتراء الكذب ، فقالوا : ﴿ أَفْتَرى على اللهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّة ﴾ [1] وقسيم الشئ لا يكون منه .

والجواب عن الأول : بأن الله إنما كذبهم لعدم جريهم على مقتضى الخبر الصادق ، وهو الاعتقاد وما يتبعه . كما يكذب سماع من ادّعى سماع حكم السلطان / ولم يعمل بمقتضاه . ‎/٧ أ

وعن الثانى : أنها أرادت نفى تعمد الكذب ، لا نفى مطلق الكذب .

وعن الثالث : أنهم لم يجعلوا الجنة قسيمة لمطلق الكذب ، بل لتعمده ، فيكون القسيمان كاذبين على زعمهم .

* * *

---

(١) المنافقون آية ١ (٢) المنافقون آية ١ (٣) سورة سبأ آية ٨

الفن الأول
فى علم المعانى

يشتمل على مقدمة ، وأركان ثمانية .

المقدمة : علم المعانى : علم مستخرج من تتبع خواص تراكيب البلغاء بالطبع، كما أن النحو : علم مستخرج من الأعراب المتكلمين كلاماً صحيحاً بالطبع ، ولذلك صار العلماء الذين تناولت موضوعات علومهم بحث الطبيعة تلامذة للطبع .

وتساهل السكاكى فى قوله :

علم المعانى : هو تتبع خواص تراكيب الكلام [(١)] .

والمقصود منحصر فى ثمانية أشياء :

(أ) أحوال الإسناد الخبرى . (ب) أحوال المسند إليه .

(جـ) أحوال المسند . (د) أحوال متعلقات الفعل .

(هـ) القصر . (و) الإنشاء .

(ز) الفصل والوصل . (ح) الإيجاز والإطناب .

وإنما لم يذكر أحوال المركب الإضافى والوصفى ؛ لأن موضوع هذا العلم : الكلام ، وليسا كذلك ، وأيضا لا يتوارد عليهما أحوال يتغير المعنى بها . وأما أحوالهما ، لا بحسب المعنى من الإعراب والبناء ، والتعريف والتنكير ، والإضمار والإظهار ، والذكر والحذف ، فيبحث عنهما النحوى .

* * *

---

(١) قال السكاكى : علم المعانى هو تتبع خواص تراكيب الكلام فى الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره المفتاح ص ٨٦ المطبعة الأدبية .

الركن الأول : فى الإسناد وما يعرض له

إشارة : إلى الإسناد :

هو نسبة مقومة للمركب يفاد بها المخاطب .

فالنسبة جنس يدخل تحتها نسب التراكيب اللفظية كلها .

وقيد التقويم ؛ ليخرج النسبة التعلقية ، فإنها أيضا يفاد بها المخاطب ، لكنها غير مقومة ، وإلا لزم أن تكون لكلام واحد صورتان فى نحو : ضرب زيد عمرا ، وليس كذلك ؛ لأن الكلام يتعدد بتعدد صوره ، وصورة النسب المقومة .

وقيد الإفادة ؛ ليخرج المركب الإضافى والوصفى ، فإنهما للتميز بهما للإفادة ، لسبق علم المخاطب بهذين .

ونسبة تخصيصه بالخبرى ، قلنا : ولا تكون معلولة للفظ ؛ ليخرج الإسناد الإنشائى ؛ فإن نسبته معلولة للفظ ، ولذلك لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه بالزمان .

٧/ب وإنما قلنا : يفاد بها المخاطب ، / ولم نقل : يفاد بها علم المخاطب [١] ؛ ليدخل فيه نحو قولك لعمرو العالم بكون زيد عنده : « زيد عندك » ليعلم أنك تعلم بكونه عنده .

وقد ينزل العالم بالخبر منزلة الجاهل به ، إذا لم يأت بمقتضى الخبر ، كما يقال لمن يعلم بمجئ الأمير ولم يتهيأ لملاقاته : « جاء الأمير » ، والسر فيه أن لكل شئ كمال ، وكمال العلم بمضمون الخبر حصول مقتضاه ، فإذا لم يحصل ، لم يحصل كمال العلم ، فيلقى عليه الخبر ، وإن كان عالما علما ناقصاً ؛ طلبا لكمال العلم ومقتضاه .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وما رَمَيْتَ إذْ رَمْيتَ ولكنَّ اللّه رمىَ ﴾ [٢] فإن كمال الرمى الإصابة ، ولم تكن الإصابة من رسول اللّه ؛ بل من اللّه ، فنفى عنه كمال الرمى بعد إسناد الرمى الناقص إليه ، والكمال إلى نفسه .

---

(١) فى الأصل : يفاد بها علم المخاطب بها .

(٢) سورة الأنفال آية ١٧

أوهام وتنبيهات :

ذهب كثير من علماء العربية إلى أن استفادة الإسناد وغيره من معانى المركبات ، من المركبات بالعقل لا بالوضع . قالوا : وإلا لتوقف فهمه على العلم بالوضع ، وليس ، فليس [1] .

بيان بطلان اللازم : أن الأعجمى الذى لم يعرف شيئا من الأوضاع العربية إذا عرّفناه معانى المفردات ثم ألّفناها ، فإنه يعرف معنى صورة التركيب من غير أن نعرّفه .

وهذا وهم ؛ لأنا نمنع قوله أنه يعرف الإسناد أو غيره من غير التعريف ، وذلك أنّ مفردات معينة ولتكن « غلام ، خياط ، عالم » يمكن أن تركب ثلاثة أنواع من التركيب :

الأول : الإضافى ، بأن يضيف غلام إلى الخياط ، وخياط إلى العالم .

الثانى : الوصفى ، بأن نصف الغلام بالخياط والعالم .

الثالث : الإسنادى ، بأن يضيف غلام إلى الخياط ويجعله مبتدأ وعالم خبره ، وكل واحد من هذه المركبات له هيئة يمتاز بها عن صاحبيه ، وتلك الهيئة تدل على معناه المختص به . فالأعجمى إن عرّفناه تلك الهيئات ، فقد عرفناه الوضع وإلا امتنع فهمه لمعانيها ، فتكون هيئة التركيب الإسنادى موضوعة لمعنى الإسناد ، وكذلك الهيئتان الأخريان موضوعتان لمعناهما .

وقال المعاصر : « بهذه العبارة سمى الإسناد عقليا ؛ لاستناده إلى العقل دون الوضع ؛ لأن إسناد الكلمة إلى الكلمة شئ يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة ، فلا يصير « ضرب » خبرا عن « زيد » بواضع اللغة ، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلاً له ، وإنما الذى يعود إلى واضع اللغة ، أن « ضرب » لإثبات الضرب ، لا لإثبات الخروج : / وأنه فى زمان ماضى ، وليس لإثباته فى زمان مستقبل ، وأما تعيين من يثبت له فإنه يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين ، ‎/٨ أ

---

(١) أى أن الإسناد لا يتوقف فهمه على العلم بالوضع ، فلا يستفاد بالوضع ولكن يستفاد بالعقل ؛ لأنه لا يعرف معنى الكلمات إلا مجتمعة ، ولا يكون ذلك إلا بالعقل .

ولو كان لغويا لكان حكمنا بأنه مجاز فى مثل قولنا « خط أحسن مما وشّى الربيع » من جهة أن الفعل لا يصح إلا من الحى القادر ، حكماً بأن اللغة هى التى أوجبت أن يختص الفعل بالحى القادر دون الجماد ، وذلك مما لا يشك فى بطلانه[1].

وهذا أيضا وهم ؛ لأنه يجب أن يقاس كل واحد من الهيئات التركيبية فى كل واحد من مفردات الأجناس ؛ ليزول الاشتباه ، فإن الواضع كما وضع كل واحد من ألفاظ الأجناس لحقيقة كلية ، ولم يتعرض للجزئيات المندرجة فى تلك الحقيقة كذلك وضع كل واحد من الهيئات التركيبية الكلية لمعناها الكلى ، من غير أن يتعرض لجزئيات تلك الهيئة . فكما أن إطلاق أسماء الأجناس على الجزئيات المندرجة تحتها لم يخرج عن وضع الواضع ولا يستند إلى العقل ، ويقال : إن إطلاق - رجل - مثلا على - زيد وعمرو - بالوضع لا بالعقل ، كذلك يقال : إن إطلاق الهيئة الإسنادية على إسناد - ضرب - إلى - زيد - بالوضع لا بالعقل، كيف ولو كان بالعقل لجاز أن يستفاد معنى الإسناد من هيئة التركيب الإضافى والوصفى وبالعكس ، ولكنه ليس فليس.

قوله : لو كان لغويا لكان حكمنا ... إلى آخره .

قلنا : الواضع لم يضع الهيئة الإسنادية مثلا لإسناد أى شئ كان إلى أى شئ كان ، بل الإسناد صفة شئ فى نفس الأمر أو بحسب اعتقاد المتكلم إلى ذلك الشئ وإذا أسند إلى غيره كان مجازاً ، فالوشى ليس صفة للربيع ، لا فى نفس الأمر ولا فى اعتقاد المتكلم ، حتى يكون حقيقة ؛ بل لغيره ، إلا أنه يقع فيه فيكون مجازاً من باب إسناد الفعل إلى ظرفه ، وما المانع أن تكون اللغة أوجبت أن لا يكون الفعل إلا من الحى القادر ؟ وما الدليل على بطلانه ؟ إذ ليس الحكم ضرورياً حتى يكتفى بقوله مما لا يشك فى بطلانه .

إشارة :

يعرض للإسناد باعتبار المطابقة وعدمها أربعة أقسام :

---

(١) الإيضاح ص ١٧ ط صبيح ، وبغية الإيضاح ٥٩/١ ط النموذجية .

(أ) أن يطابق الواقعَ واعتقادَ المتكلم ، / كقول المحقّ : أنبت اللّه البقل . ٨/ ب

(ب) أن يطابق الواقع دون اعتقادَه ، كقول الأشعرى : فعل زيد كذا .

(جـ) أن يطابق اعتقاده دون الواقع ، كقول الأشعرى أيضاً : اللّه خالق الأفعال كلها .

(د) أن لا يطابق شيئاً منهما ، كالأقوال الكاذبة العريّة عن الاعتقاد .

ويعرض له أيضاً باعتبار الوضع وعدمه ، كونه حقيقياً ومجازياً :

فالحقيقى : إسناد صفة شئ فى نفس الأمر أو بحسب اعتقاد المتكلم إلى ذلك الشئ ، وينقسم إلى الأقسام الأربعة المذكورة .

والمجازى : إسنادها إلى غير ذلك الشئ لعلاقة بينهما .

فإسناد الفعل أو ما يضاهيه إلى فاعله أو مفعوله نحو : ضَرب زيد . وضُرب عمرو ، حقيقة .

وإلى المتعلق مجاز ، كقولهم فى المفعول ﴿ عِيشةٌ راضية ﴾ [1] و ﴿ ماء دافق ﴾ [2] .

وفى الفاعل : سيل مُفعَم .

وفى المصدر : شعرٌ شاعر .

وفى الزمان : نهارهُ صائم ، وليلهُ قائم .

وفى المكان : طريقٌ سائر ، ونهرٌ جار .

وفى السبب : بنى السلطان مدينة .

وفى المحل : كقوله تعالى : ﴿ أَخْرَجَت الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [3] وجميع الأفعال المسندة إلى الإنسان فى القرآن الكريم من هذا القبيل عند الأشعرى .

---

(١) الآية ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ سورة الحاقة آية ٢١

(٢) الآية ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ سورة الطارق آية ٦

(٣) سورة الزلزلة آية ٢

ولصيرورة الإسناد بسبب الاعتقاد حقيقة وإن لم يطابق الواقع ، جاز أن يكون إسناد واحد حقيقة ومجازاً بالنسبة إلى قابلين . يقول الحماسى [(١)] :

أشـــاب الصغيـــرَ وأفْنى الكـــ ـــبيرَ كَــرُّ الغَــداةِ ومَـرُّ العَشِيِّ

إن كان من الدهرى ، فهو حقيقة ؛ لاعتقاده أن الإشابة والإفناء من الدهر ، وإن كان من المحقّ [(*)] ، فهو مجاز ؛ لعدم مطابقته الواقع ، ولا اعتقاده .

وأما قول أبى النجم [(٢)] :

قــد أصبحتْ أمُ الخيــار تَدَّعِــى علــىَّ ذنباً كلُّـــه لــم أصْنَــعِ

مِنَ أنْ رأتْ رأسى كرأس الأصلعِ ميَّـــز عنـــه قُنزعــاً عــن قُنْزُعِ

جَذْبُ الليالى : أبطئى ، أو أسرعى

فلا شك أنه مجاز ، لقوله بعد ذلك :

أفنـــاه قِيـــل الله للشمسِ أطلُعى حتــى إذا وَاراك أفْــقٌ فارجعى

ولاعتقاد السكاكى والمعاصر أن دلالة المركب على معناه عقلى قسّما الإسناد أو الكلام [(٣)] إلى حقيقة عقلية ومجاز عقلى ، وقد عرفتَ فساده .

إشارة : يعرض للإسناد المجازى باعتبار طرفيه أربعة أقسام :

(أ) أن يكون طرفاه حقيقة كقولك أنبت الربيع العشب . قال الشاعر [(٤)] :

فَنام ليلِى وتَجلَّى هَمِّى

---

(١) البيت لقثم بن خبية بن عبد القيس المعروف بالصلتان العبدى من شعراء الدولة الأموية . ديوان الحماسة ص ٥٣٦ ونسبه الجاحظ فى الحيوان إلى الصلتان السعدى ؛ الشعر والشعراء ٣٣٣ بيروت ، والكامل ٥٤٠ . (*) أى المؤمن المعتقد فى الحق تعالى .

(٢) القنزع : ما يجمع من الشعر فى نواحى الرأس ، وأبو النجم سبقت ترجمته ص ٤ ، والأمالى الشجرية ٨٨/١ والأغانى ١٥٩/١٠ والدلائل ١٥١

(٣) حاشية للمؤلف : قال : « عند السكاكى الحقيقة والمجاز صفتا الكلام ، وعند المعاصر صفتا الإسناد ، ولذلك قال الإسناد أو الكلام » .

(٤) البيت لرؤبة بن العجاج من قصيدة يمدح فيها الحارث بن سليم من آل عمرو . وتمام البيت :

فنام ليلى وتجلى همى وقد تجلى كرب المتن

ديوان رؤبة ص ١٤٢ ط برلين .

وقال آخر [١] : /   /٩ أ

شَيَّب أيامُ الفراقِ مفارقى

وقال آخر [٢] :

ونِمتُ وما ليلُ المَطىِّ بنائمِ

(ب) أن يكونا مجازين ، كقولك : أحيانى اكتحالى بطلعتك ، وأحيا الأرضَ شبابُ الزمان .

(جـ) أن يكون المسند إليه مجازاً دون المسند ، كقولك : أنبت العشبَ شبابُ الزمان .

(د) أن يكون المسند مجازاً دون المسند إليه ، كقولك : أحيا الأرضَ الربيع وأحيتنى رؤيتك . ومنه قولُ المتنبى [٣] :

وتُحْيِى له المالَ الصوارمُ والقَنا   ويقتل ما يحيى التَّبسُّمُ والجَدَا

ولا بد للإسناد المجازى من قرينة وهى :

إما عقلية : وهى استحالة صدور المسند من المسند إليه ، كقولك : محبتك جاءت بى إليك .

أو عادية ، نحو : بنى الخليفة المدينة ، وكسا الوزير الكعبة .

أو اعتقادية ، كقول الحماسى [٤] :

أشاب الصغيرَ وأفنى الكبيرَ   كـــرُّ الغداة ومـــرُّ العَشِىِّ

إذا كان القائل موحِّداً .

---

(١) البيت لجميل بن معمر وتمام البيت :

* وأنشزن نفسى فويق حيث تكون *   { ديوانه ١٢٧ }

(٢) البيت لجرير ديوانه ٤٥٤ بيروت .

وأول البيت : لقد لمتنى يا أم غيلان فى السرى

(٣) الجدا : العطاء . والبيت من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة مطلعها :

لكـــل امـــرئ مـــن دهره ما تعودا   وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا

ديوانه ١/٢٨٢

(٤) سبق ذكر البيت ص ٢٢ من هذا الكتاب .

أوهام وتنبيهات :

قال السكاكى [1] : الحقيقة العقلية : هى الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكْم ، قال : وإنما قلت : ما عند المتكلم دون أن أقول : ما عند العقل [2] ليتناول كلام الجاهل إذا قال : شفى الطبيبُ المريض ، رائيا شفاء المريض من الطبيب ؛ لأنه غير مفيد لما فى العقل .

قال : « والمجاز : هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأول إفادة للخلاف ، لا بواسطة وضع ، كقولك : أنبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض ، قال : وإنما لم أقل خلاف ما عند العقل ؛ لئلا يمتنع طرده بما إذا قال الدهرى عن اعتقاد جهل ، أو جاهلٌ غيره : أنبت الربيع البقل ، رائيا إنباته من الربيع ، فإنه لا يسمى كلامه ذلك مجازاً وإن كان بخلاف العقل ولئلا يمتنع عكسه مثل : كسا الخليفة الكعبة ، وهزم الأمير الجند ، وليس فى العقل امتناع أن يكسو الخليفة نفسه الكعبة ، ولا أن يهزم الأمير وحده الجند .

وإنما قلت : لضرب من التأول ؛ ليخرج الكذب ، فإنه لا يسمى مجازاً مع كونه مفيداً خلاف ما عند المتكلم .

/٩ ب وإنما قلت : إفادة للخلاف لا بواسطة وضع ؛ ليخرج المجاز اللغوى فى صورة/ وهى إذا ادّعى أن (أنبت) موضوع لاستعماله فى القادر المختار [3] .

وأورد المعاصر على طرد حد الحقيقة بنحو : الإنسان حيوان ؛ لصدق الحد عليه وليس بحقيقة ولا مجاز ، وعلى عكسه بكلام يطابق الواقع دون اعتقاد المتكلم ، وما لا يطابق سببا منها ، وهى الأقوال الكاذبة مع كونهما حقيقتين عقليتين .

وعلى حد المجاز بالمنع من بطلان طرده بما ذكر ؛ لخروجه بقوله لضرب من التأول ومن بطلان عكسه بما ذكر ؛ إذ المراد بخلاف ما عند العقل خلاف ما فى نفس الأمر ، ولذلك قال عبد القاهر [4] :

---

(١) الإيضاح ١٧ والبغية ١/ ٦٠ ومفتاح العلوم للسكاكى ٢١١ .

(٢) كما ذهب عبد القاهر فى أسرار البلاغة ص ٤٢٩

(٣) المفتاح ١٨٦ ط الحلبى ، ٢٠٨ ط الأدبية .

(٤) أسرار البلاغة ص ٤٢٩ ط الاستقامة الطبعة الأولى .

« الحقيقة العقلية : كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه فى العقل واقعٌ موقعه » . فقوله - فى العقل - تفسير لقوله : على ما هو عليه .

قلت : كلامه صحيح ، لكن نقضه بنحو « الإنسان حيوان » ليس بشئ ؛ لأن الكلام لا يخلو من كونه حقيقة أو مجازاً ، ولصدق ما ذكرناه من حد الحقيقة عليه ، نعم كان ينبغى للسكاكى أن يقول فى حد المجاز : بدل الكلام المفاد به ، على تقدير أن يكون الموصوف بالمجاز هو اللفظ الدال على الإسناد بالعقل المفاد به ، ليكون حسنا قريباً ؛ لأن الاستقراء دل على أن الإسناد المجازى ليس إلا فى الأفعال ، وهذه كثيرة جداً ، وخصوصاً على رأى الأشعرى ، فإن جميع الأفعال المذكورة فى القرآن المسندة إلى الإنسان عنده من هذا القبيل ؛ لأنه لا فاعل عنده سوى الله . وأما أمثلته على رأى المعتزلى فى القرآن فكثيرة أيضاً كقوله تعالى : ﴿ وإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُه زادَتْهمْ إيماناً ﴾ [1] نسب الزيادة ، والتى هى فعله تعالى إلى الآيات لكونها سبباً .

وقوله تعالى : ﴿ وذلكمْ ظَنّكمُ الذى ظَنَنْتُم بِرَبِكُم أرْدَاكُمْ ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ يوماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيباً ﴾ [3] نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه .

وقوله تعالى : ﴿ وأخْرَجَتِ الأرْضُ أثْقَالَهَا ﴾ [4] فإنه أسند الفعل إلى محله لا إلى فاعله . هذا فى الأخبار .

وأما الإنشاء فقوله تعالى : ﴿ يا أرضُ ابْلَعِى ماءَكِ ويا سماءُ أقْلِعِى ﴾ [5] .

وقوله تعالى : ﴿ وقال فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابنِ لِى صَرْحاً ﴾ [6] .

وقوله : ﴿ فأوقِدْ لِى يا هَامَانُ عَلَى الطِينِ فاجْعَلْ لِى صَرْحاً ﴾ [7] .

وللسكاكى هنا سهو آخر ، وذلك أنه نفى المجاز العقلى فى الكلام رأساً [8] وزعم أن ما ورد منه فهو فى سلك الاستعارة بالكناية ، وجعل الربيع فى (أنبت

---

(١) سورة الأنفال آية ٢

(٢) سورة فصلت آية ٢٣ ، أرداكم : أهلككم

(٣) سورة المزمل آية ١٧

(٤) سورة الزلزلة آية ٢

(٥) سورة هود آية ٤٤

(٦) سورة غافر آية ٣٦

(٧) سورة القصص آية ٣٨

(٨) المفتاح ٢١٢

/١٠ أ الربيع البقل) استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقى / بواسطة المبالغة فى التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة . وجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم ، وليس بشئ ؛ لأن قولهم : زيد نهاره صائم ، وليله قائم ، من الإسناد المجازى ، ولو كان المراد من نهاره وليله هو زيدا ، لزم إضافة الشئ إلى نفسه ، وهو محال . وأيضاً يلزم ألا يكون الأمر فى قوله : ﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَا هَامَانُ على الطِّين ﴾ و ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحاً ﴾ متوجها إلى هامان ، وهو محال ؛ لأن النداء مختص به . ويلزم أيضاً أن يكون هذا التركيب فى « أنبت الربيع البقل » وسرتنى رؤيتك » متوقفاً على الإذن الشرعى ؛ لأن الربيع والرؤية حينئذ كنايتان عن الله تعالى ، وأسماؤه تعالى توقيفية .

وأما ما أورده عليه المعاصر [١] ، ما معناه : أنه جعل الكلام فى الحقيقة والمجاز العقليين من علم البيان ، وليس منه ؛ لأن الحقيقة والمجاز فى الإسناد من عوارضه ، ويتغير المعنى بتغيرهما ، فيكون من مسائل علم المعانى ، ففيه نظر يُعلم فى معرفة موضوع علم البيان .

إشارة : إلى توكيد الإسناد :

من عوارض الإسناد أن يؤكد إذا عَرض للمخاطب الترددُ فيه أو الإنكار ، أو عرض للإسناد قوة العلم به فيقتصر على « زيد عالم » إذا خلا الإسناد عن هذه العوارض ، ويسمى هذا الخبر ابتدائيا .

وإن كان متردداً فيه يقول : « لزيد عالم » ويسمى خبراً طلبياً .

وإن تجاوز عن التردد إلى ظن خلافه يقول : « إنّ زيداً عالم » .

وإن تجاوز إلى الجزم فى الإنكار يقول : « إن زيداً لعالم » .

وإن بالغ فى الإنكار يقول : ﴿ واللهِ إن زيداً لعالم ﴾ ويسمى خبراً إنكارياً . وهذا هو مقتضى اللغة العربية ، ومصداقه قوله تعالى [٢] :

---

(١) ونص العبارة « إنما لم نورد الكلام فى الحقيقة والمجاز العقليين فى علم البيان كما فعل السكاكى ومن تتبعه ، لدخوله فى تعريف علم المعانى دون تعريف علم البيان » الخطيب القزوينى انظر الإيضاح ٢١ ، وبغية الإيضاح ٧١/١

(٢) سورة يس آية ١٣ - ١٧

﴿ واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أصحابَ القرية إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنا إليهم إثنين فكذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إنَّا إليكمْ مُرْسَلُون ، قَالُوا ما أنتمْ إلا بشرٌ مِثْلُنَا وما أنزلَ الرحمنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أنتمْ إلاَّ تَكْذِبون ، قالوا رَبُّنا يعلمُ إنا إليكم لَمُرْسَلُون ﴾ ؛ لأنهم قالوا فى المرة الأولى عند مطلق الإنكار : إنا إليكم مرسلون . وفى الثانية عند مبالغة الإنكار : « إنا إليكم لمرسلون » ، فزاد فى التأكيد، والإنكار الفعلى كالقولى فى ذلك ، ولذلك قال تعالى :

﴿ ثم إنكم لميتون ثُمَّ إنكمْ يومَ القيامة تُبْعَثُون ﴾ [1] فإنَّ / أعمالهم الطالحة الضارة فيما بعد الموت ، إنكارٌ بالفعل للموت ، وإنما لم يؤكد البعث بغير تأكيد واحد وإن اختُلف فيه ، بخلاف الموت ؛ لعدم إنكار المخاطبين إياه ، أو لأن الأمر والنهى والوعد والوعيد بعد تأكيد الإخبار بالموت يستلزم البعث ، فاستغنى عن زيادة التأكيد . ولذلك قال أيضاً (تُبعثون) ولم يقل (مبعوثون) ؛ لأن دلالة الفعل على حدوث المصدر ، ودلالة الاسم على ثبوته ، والثبوت أقوى من الحدوث . ولذلك أيضاً قال : (لميتون) ولم يقل : (لتموتون) . ١٠/ ب

وقد يُجعل توهم الإنكار ، أو العلم به مقام الإنكار القولى :

أما الأول فكقول بشار :

بَكّـرا صاحبـيَّ قبلَ الهجيرِ إنَّ ذاكَ النجاحَ فى التبكيرِ [2]

فإنه لما قال : بكرا ، توهم أن قائلاً أنكر ترجيح التبكير على عدمه ، فعلله وأكّدْه بقوله : إن ذاك النجاح فى التبكير ، وروى أن خلف الأحمر [3] قال له : لو قلت : بكرا فالنجاح فى التبكير ، لكان أحسن ، فقال : « إنى بنيتها أعرابية ولو قلتُ بكرا فالنجاح لكان من جنس كلام المولّدين » فقام خلف وقبل ما بين عينيه .

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٦

(٢) الهجير : الحر الشديد والبيت استهل به بشار قصيدة يهنئ فيها سلم بن قتيبة الباهلى حين تولى الإمارة على البصرة سنة ١٤٥ هـ فى خلافة المنصور . ديوانه ص ١٧٠ ط بيروت .

(٣) هو أبو محرز خلف بن حيان المعروف بخلف الأحمر معلم الأصمعى ومعلم أهل البصرة (نزهة الألبا فى طبقات الأدباء، ص ٣٧ ط جمعية إحياء مآثر علماء العرب) .

وكذلك قول بعض العرب :

فغنِّها وهْيَ لكَ الفِداءُ   إنَّ غناءَ الإِبل الحُدَاءُ [1]

وأما الثانى ، فكقوله تعالى :

﴿ ولا تخاطبْنى فى الذين ظَلموا إنَّهمْ مُغْرَقُون ﴾ [2] وقوله :

﴿ وما أبَرِّىءُ نفْسِى إنّ النفسَ لأمَّارةٌ بالسُّوءِ ﴾ [3] .

والأوْلى أن يجعل هذا النوع من التأكيد قسماً آخر ، وهو أن يكون الخبر صادراً عن العلم اليقينى المانع من النقيض ، لا باعتبار تردد المخاطب أو إنكاره . وهذا فى الإثبات .

وأما النفى ، فيقول فى الخبر الابتدائى : (ليس زيد منطلقاً)

وفى السؤالى : ليس زيد بمنطلق ؟

وفى الإنكارى : (والله ليس زيد منطلقاً أو بمنطلق) .

وكذلك حكم « ما » التى بمعنى ليس .

وأما حكم الخبر الفعلى :

فنقول فى الابتدائى : (ما ينطلق زيد) .

وفى السؤالى : (ما إن ينطلق زيد ؟) .

وفى الإنكارى : (والله ما إن ينطلق زيد)

والله أعلم بالصواب

* * *

---

(١) الحداء : الغناء للإبل حتى تستسهل المسير ، والبيت لا يعلم قائله .

(٢) سورة هود آية ٢٦   (٣) سورة يوسف آية ٥٣

الركن الثانى
فى أحوال المسند إليه

إشارة :

مما يعرض للمسند إليه : الحذف لداعى الاختصار وعدم مانع الالتباس بوجود قرينة لفظية أو معنوية ، / ثم الداعى يقوَى لأسباب : ١١/ أ

منها : أنه إذا أبهم المسند إليه بالحذف ، حصل للنفس ألم لجهلها به ، وإذا التفتت إلى القرينة تفطنت له ، فيحصل لها اللذة بالعلم به ، واللذة الحاصلة بعد الألم أقوى من اللذة الحاصلة ابتداء .

ومنها : أنه لو ذكر المسند إليه مع المسند ، انتقل الذهن من اللفظ إلى معناه من غير تجشم كسب ، فلا تحصل للنفس لذة ولا ذوق بإدراك معناه . وأما إذا حصل لها شعور ما بمعناه بواسطة ذكر المسند ثم نهل [١] شعورها به بشعور الخصوصية بالقرينة ، حصل لها نوع اكتساب شبيه باكتساب التصور بالقول الشارح ، فيزداد الكلام حسناً ، والنفس لذة .

ومنها : أن الشئ - المسند إليه - إذا بلغ نهايته فى أوصافه المحمودة أو المذمومة ، تُرك ذكره ، واقتصر على ذكر تلك الصفة أو الأوصاف ، إيماء إلى أنه لا يشاركه فيها أحد فيذكر لامتيازه عنه ، فإذا اجتمعت هذه الأسباب فى شئ واحد ، ازداد الكلام حسناً وبلاغة ، والنفس لذة وذوقا ، وإن لم يهتد إلى سببه إلا ذو طبع سليم ، وعقل مستقيم . ومن ذلك قول الشاعر [٢] :

أضاءتْ لهمْ أحسابُهُمْ ووجوهُهم ... دُجَى الليلِ حتّى نظَّم الجزعَ ثاقبهْ

نجومُ سماءٍ كلما انقضّ كوكب ... بدا كوكبٌ تأوِى إليه كواكبُهْ

---

(١) نهل شعورها به : قوى واشتد .

(٢) دجى الليل : ظلمته ، الجزع : الخرز . والبيتان للقيط بن زرارة وينسبان لأبى الطمحان القينى الشاعر الجاهلى .

وقول الآخر [1] :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي ... أيادي لم تُمنن وإنْ هي جلّتِ
فَتىً غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقهِ ... ولا مظْهِرُ الشكوى إذا النّعلُ زلّتِ

وقول الآخر [2] :

قال لي : كيف أنت ؟ قلتُ : عليلُ ... سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلُ

ومنه قول رجل من العرب فقير طلب من ابن عمه شيئاً فمنعه ، وقال : لِمَ أعطيك مالى وأنت تنفقه فيما لا يعنيك ؟ . والله لا أعطيتك ، فلما اجتمع قومه فى ناديهم شكاه إليهم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه ولطمه ، فأنشأ يقول [3] :

سَريعٌ إلى ابن العَمّ يَلْطِمُ وجَهَهُ ... وليس إلى داعِى النّدَى بسريع
حريصٌ على الدنيا مضيّعٌ لدينه ... / وليس لِمَا فى بيتِه بمضيعِ

/١١ ب

وفى القرآن : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [4] .

وقوله : ﴿ وما أدْراك ماهِيَهْ ، نارٌ حَامِيَة ﴾ [5] .

إشارة : إلى ذكر المسند إليه :

ذكره إما لعدم القرينة الدالة عليه مع أصالته ، كقول الشاعر [6] :

اللّهُ أنجحُ ما طلبتَ بهِ ... والبِرّ خيرُ حقيبةِ الرحْلِ

وقول الآخر [7] :

والنفسُ راغبَةٌ إذا رغّبْتَهَا ... وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

---

(١) البيتان لعبد الله بن الزبيرى فى مدح عمرو بن عثمان بن عفان . ديوان الحماسه ١٥٨٩/٤ شعره ١٤٢ ، وينسبان لأبى الأسود الدؤلى ديوانه ١٥١ ، معجم الشعراء ٤٢١

تراخت منيتى : امتد بى العمر ، زلت النعل : لحق به الضنك .

(٢) البيت غير منسوب فى معاهد التنصيص ١/ ١٠٠ . ولا يعلم قائله .

(٣) البيتان للأقيشر الأسدى : المغيرة بن عبد الله . تحرير التحبير ١١٦/١ ، الدر النفيس ١٨/١

(٤) سورة البقرة آية ١٨ (٥) سورة القارعة آية ١٠ ، ١١

(٦) البيت منسوب لامرئ القيس ، وليس فى ديوانه ولعله لامرئ القيس بن عابس كما ذكر فى الأغانى .

(٧) البيت لأبى ذؤيب الهذلى يرثى فيها أبناءه وقد هلكوا جميعاً بالطاعون . من قصيدة مطلعها:

أمن المنون وريبها تتوجع ؟ ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

ديوان الهذليين ص ٣

أو لضعف القرينة كما سيأتى ، أو لغباوة المخاطب ، أو لزيادة الإيضاح والتقرير ، أو لزيادة المدح أو الذم ، كما فى الأسامى المحمودة أو المذمومة ، أو لكون المقام مقام الإطناب والبسط .

قال السكاكىّ والمعاصر [1] : ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى :

﴿ هِىَ عَصَاىَ أتوكَّأُ عَلَيها وأهُشُّ بِهَا عَلى غَنَمِى وَلِىَ فيهَا مآربُ أخرى ﴾ [2] قالا : ويدل على أنه مقام الإطناب : أن موسى عليه السلام زاد على الجواب - لأن السائل إنما يطلب الماهية ، فيكفيه أن يقول : هى عصاى ؛ لأنها هى التى تقع فى جواب ما هو دون غيرها من الأوصاف المذكورة .

وفيه نظر وبحث ؛ وذلك أنّا نمنع أن موسى أتى بالجواب ، فضلا عن زيادته عليه ؛ لأن السؤال وقع عن العصا المشخصة ، ولذلك قال : وما تلك بيمينك ؟ فشخصها بيمينك ، وتلك العصا نوعها منحصر فى شخصها ؛ لأنها كانت لها روحانية فتتشكل بأشكال مختلفة تتميز بها عن غيرها من العصى ، وموسى عليه السلام لم يأت فى الجواب بهذا المميز ، فما أجاب بتمام الماهية ، بل ببعضها ، فيجرى مجرى من يسأل عن الشمس ، فيجاب بالكوكب ، ولم يذكر القدر المميز ؛ وذلك لعدم علمه بالمميز ، ولما كان غرض البارى تعالى بهذا السؤال إفادته حقيقة ما فى يده ، أفاده ذلك بالمشاهدة ، فقال : ﴿ ألْقِهَا يَا موسى ، فأَلْقاهَا فإذا هَى حيَّةٌ تسْعَى ﴾ [3] ويدل على أن الغرض إفادته ذلك ، ما أعطاه من الآيات : أنه عطف عليه قوله : ﴿ واضْمُمْ يَدكَ إلىَ جنَاحِكَ تَخرَجْ بيْضَاء مِنْ غيرِ سُوءٍ آيةً أخْرىَ ﴾ [4] .

إن قالا : فرضنا أن موسى لم يعرف حقيقة ما فى يده ، واعتقد أن حقيقتها هى الصورة المشاهدة دون الروحانية المعقولة ، فلم لم يكتف بقوله (عصاى) وزاد على الجواب ؟

قلنا : إنه عليه السلام بنى على ظاهر السؤال ، / فإن من يسأل عن الشخص ١٢/ أ لا بد أن يسأل أيضا عن النوع إذا أجيب به ؛ لأن النوع عند الحس أخفى من

---

(١) المفتاح ٩٥ ، والإيضاح ٢٣ وبغية الإيضاح ٧٩/١

(٢) سورة طه آية ١٨

(٣) سورة طه آية ١٩ ، ٢٠

(٤) سورة طه آية ٢٢

الشخص ، فأجاب عن الشخص بقوله (عصاى) وعرَّف النوع ، أى : العصا بقوله : أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ، فعرفها بعوارضها الظاهرة .

والحق أنه ليس ذكر المسند إليه فى الآية لكون المقام مقام الاطناب ، بل لضعف القرينة ، فإن المذكور لم يتعين للجواب إلا بذكر المسند إليه ، إذ لو حذف لفظة (هى) واكتفى بالمسند لاشتبه ، وظن أن عصاى مبتدأ ، وما بعده خبره ، ولا يكون جوابا حينئذ . فتبين بهذا البيان أن الآية ليست من باب الإطناب ، ولا المقام مقامه ، فليطلب الإطناب فى موضع آخر .

إشارة : إلى تعريف المسند إليه :

فائدة تعريفه إجمالا : أن المعرفة أخص من النكرة ، وكلما كانت أخص ، كانت أتم دلالة على المراد ؛ لكونه أقل احتمالا لغير المراد من النكرة .

وأما التفصيل ؛ فإن كان بالإضمار ، فلعين الفائدة الإجمالية ؛ لكون المضمرات أعرف المعارف ، ولكون المقام مقام الإضمار .

أما التكلم ، فكقول بشار [(١)] :

أنا المرعَّثُ لا أخفـــى على أحدٍ ... ذَرَّتْ بى الشمسُ للقاصي وللدَّانى

سمى بالمرعث ؛ لقرط كانت فى أذنه فى صغره .

وأما الخطاب فكقول الحماسية [(٢)] :

وأنتَ الذى أخلفْتنى ما وعَدْتَنِى ... وأشْـــمتَّ بى مَنْ كان فيك يَلومُ

وأما الغيبة فكقول الآخر [(٣)] :

مِـــنَ البِيضِ الوجـــوهِ بنى سِنَان ... لَوَ انَك تستضـــئُ بهِـم أضاءوا

هُـــمُ حَلُّـــوا من الشرفِ المُعَلَّى ... ومن حسب العشيرةِ حيثُ شاءوا

---

(١) المرعث : الذى يلبس الرعثة أى القرط فى أذنه ، والقاصى والدانى : البعيد والقريب . قال المرزوقى فى شرح الحماسة عند قول الأحوص الأنصارى :

إنى إذا خفى الرجال رأيتنى ... كالشمس لا أخفى بأى مكان

إن بشارا أخذه من هذا البيت ... مقدمة ديوان بشار ١/ ٧٥

(٢) البيت لإمامة الخثعمية تخاطب به ابن الدمينة الشاعر .

(٣) البيتان لأبى البرج القاسم بن حنبل وهو شاعر إسلامى ، البغية ١/ ٨٣

وإن كان (*) بالعَلَمية ، فلتعظيمه بأن يكون كنية محمودة .

أو إهانته ، بأن تكون مذمومة ، كقوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يدَا أبى لَهَبٍ ﴾ (١) (أى جهنمى) .

أو لكونه معظما فى نفس الأمر ، أو فى اعتقاد المتكلم ، أو المخاطب ، كقول الحماسى (٢) :

اللّه يعلمُ ما تركْتُ قتَالُهمْ حتى عَلواْ فرسى بأشقَر مُزبدِ

وإن كان (*) بالموصولية ؛ فلكونه غير معلوم إلا بالصلة ، كقولك : الذى كان معك بالأمس رجل عاقل .

أو لاستهجان التصريح به ، أو لزيادة التقرير ، كقوله تعالى :

﴿ وَراودتَهْ التى هُوَ فى بَيْتِهَا عنْ نَفْسه ﴾ (٣) فإنه أدل على تنزيه يوسف من امرأة العزيز ومن زليخا / على ما لا يخفى . ١٢/ ب

أو للتفخيم ، كقوله تعالى : ﴿ فَغشيَهُمْ من الْيَمِّ ما غَشيَهُمْ ﴾ (٤) .

وإما لبناء الخبر ، بأن تكون الصلة سببا للخبر ، كقوله تعالى :

﴿ إنّ الذين يسْتَكبرون عَنْ عِبَادَتي سَيَدْخلُونَ جَهْنَمَ داخِرِين ﴾ (٥) .

أو لتعظيم شأن الخبر ، نحو قول الشاعر (٦) :

إنَّ الذى سَمَكَ السماءَ بنَى لنا بيتــاً دَعائمهُ أعَــزُّ وأطــولُ

قال السكاكى : وربما يُجعل (٧) ذريعةً لتحقيق الخبر (٨) ، كقوله (٩) :

إنّ التــى ضربتْ بيتًا مهاجرةً بكوفةَ الجُنْدِ غَالتْ وُدُّها غولُ

(*) أى إن كان تعريف المسند إليه . (١) سورة المسد آية ١

(٢) الأشقر : لون أحمر مشرب بالصفار ، مزبد ، ما يعلوه من الزبد .

والبيت للحارث بن هشام أخى أبى جهل يعتذر فيه حين فر من معركة بدر دون أن يؤازر أخاه . الحماسه ١٨٨/١ (٣) سورة يوسف آية ٢٣

(٤) سورة طه آية ٧٨ (٥) سورة غافر آية ٦ ، وداخرين : صاغرين أذلاء .

(٦) سمك : بنى ، دعائمه : أركانه ، والبيت للفرزدق همام بن غالب ديوانه ٧١٤ ، والبيت فى الكامل منسوبا للفرزدق ٣٠٨/٢

(٧) تعريف المسند إليه بالموصولية . (٨) المفتاح ٩٧

(٩) ضربت بيتاً : أقامته . غالت ودها : أغالته ، كوفة الجند : مدينة الكوفة وغالت : اغتالت ، والغول : حيوان خرافى والبيت لعبدة بن الطبيب .

وقال المعاصر [١] : أو لشأن آخر كقوله تعالى : ﴿ الذين كذّبوا شُعَيْباً كأنْ لمْ يَغْنَوا فيها ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ والذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين ﴾ .

والحق أن هذين داخلان فى وجه بناء الخبر ؛ لأن الصلة فيهما سبب للخبر .

وإن كان [*] بالإشارة ؛ فلكونه أكمل تمييزا بسبب الإشارة ، كقوله [٣] :

هــذا أبو الصقرِ فردٌ فى محاسنهِ ... مِن نَسْلِ شيبانَ بين الضَّالِّ والسلَمِ

أو لغباوة السامع حيث لا يتميز الشئ عنده إلا بالحس ، كقول الفرزدق [٤] :

أولئــك آبائــى ، فجئنْــى بمثلهم ... إذا جمعَتنــا يا جريــرُ المجامعُ

أو لبيان القرب والبعد والتوسط : نحو : هذا زيد ، وذاك عمرو ، وذلك بشْر .

أو لبيان التحقير ، كقوله تعالى : ﴿ أهذا الذى يَذْكُرُ آلهتَكُمْ ﴾ [٥] .

﴿ أهذا الذى بعثَ اللّهُ رسولاً ؟ ﴾ [٦] .

وقول الشاعر [٧] :

تقولُ ودقّتْ نحْرها بيمينِها ... أبعْلِــىَ هذا بالرّحَا المتقاعس

أو للتعظيم ، فيؤتى بلفظ البعيد ، كقوله تعالى : ﴿ ألم ذلك الكتابُ ﴾ [٨] أراد بعد المنزلة .

وقوله تعالى : ﴿ فذلكنّ الذى لُمْتُنَّنِى فيه ﴾ [٩] ولم يقل : هذا الذى ، مع حضوره ، لبعد منزلته فى الحسن .

---

(١) فى الإيضاح : أو لشأن غيره ص ٢٥ ... (٢) سورة الأعراف آية ٩٢

(*) أى تعريف المسند إليه .

(٣) فى الأصل : هذا أبو الصقر فرد ، وذكْره منصوباً على المدح أو الحال ، وشيبان : قبيلتان تحملان هذا الاسم ، الضال : شجر يرى أشبه بالنبق ، والسلم : شجر له شوك ، والبيت لابن الرومى ديوانه ٤١٨/٢

(٤) من قصيدة مطلعها :

منا الذى اختير الرجال سماحة ... وخيراً إذا هب الرياح الزعازع

ديوانه ٤١٨/٢ ط بيروت ١٩٦٠

(٥) سورة الأنبياء آية ٣٦ ... (٦) سورة الفرقان آية ٤١

(٧) البعل : الزوج ، المتقاعس : الذى يبرز صدره ، والبيت للهذلول العنبرى . شرح ديوان الحماسة ٦٩٦/٢ بغية الإيضاح ٩٢/١

(٨) سورة البقرة آية ١ ، ٢ ... (٩) سورة يوسف آية ٣٢

وإن كان باللام ، يقال للام تعريفه (*) :

إنها إما للعهد ، كقوله تعالى : ﴿ وليَس الذكرُ كالأنثى ﴾ (١) أي الذكر الذى طلبتِ ، ليس كالأنثى التى وُهبتِ .

وأما للجنس ، نحو : الرجل خير من المرأة . ومنه قول المعرى (٢) :

والخِلُّ كالماء يُبدى لى ضمائرهُ   مع الصفاء ، ويُخفيها مع الكدرِ

وإما لاستغراق الجنس ، بحسب الحقيقة ، كقوله تعالى :

﴿ إنَّ الإنسان لَفِى خُسْر إلا الذين آمنوا ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ عالمُ الغيبِ والشَّهادَةِ ﴾ (٤) .

وإما بحسب العرف ، نحو : / جمع الوالى الصاغة أى صاغة أهل بلده .   ١٣/ أ

وقال المعاصر (٥) : ويجئ للعهد الذهنى ، كقولك : أدخلُ السوق ، إذا لم يكن سوق معهود منك و من مخاطبك . وعليه قول الشاعر (٦) :

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى   فمضيتُ ثمتَ قُلتُ لا يَعْنِينى

قال : وهذا يقرب من النكرة ، ولذلك يقدر يسبنى وصفاً للئيم لا حالا .

قلت : التحقيق أن اللام موضوعة للدلالة على تعين المسمى ، كما أن التنوين موضوع للدلالة على عدم تعينه ، وأما كونه جنسا ، أو استغراق جنس ، أو عهدا ، فإنما يستفاد من قرائن الأحوال ، فإذا لم تكن القرينة ، لم تخرج اللام عن دلالتها على تعين المسمى ، نحو : ادخل السوق ، واشتر اللحم ، ومنه البيت المذكور ؛ لأن المراد لئيم معين لا غير معين ؛ لاستحالة مروره بغير معين ، ولذلك عرَّفه .

إن قلتَ : إذا كان المراد فرداً معيناً من أفراد الجنس ، فهو مسلَّم . وأما إذا كان المراد جنسا معينا فغير مسلم ، لأن دلالة الاسم عليه بالوضع كاف ولا حاجة إلى اللام ؟

(*) فى الأصل « علما لتعريفه » فصوبناه   (١) سورة آل عمران آية ٣٦

(٢) أبو العلاء المعرى الشاعر المعروف توفى سنة ٤٤٩ هـ ، والخل : الصديق ، الكدر : ما يشوب المرء من متاعب الحياة .   (٣) سورة العصر آية ٢ ، ٣

(٤) سورة الرعد آية ٩   (٥) الإيضاح ٢٧ وبغية الإيضاح ١/ ٩٥

(٦) البيت لشمر بن عمرو الحنفى ، الأصمعيات ٣٨ . لا يعنينى : لا يهمنى .

قلنا : الجنس : أى الحقيقة من حيث هو هو شئ غير مستلزم للتعيين ولا لعدمه ، ولذلك يصدق على الفرد المعين ، وغير المعين ، فلو كان مستلزما لأحدهما ، لاستحال حمله على الآخر ؛ لئلا يلزم اجتماع النقيضين ، فاسم الجنس موضوع للقدر المشترك بين المعين وغير المعين ، فإذا أطلق على المعيّن ، فلا بد من شئ يدل عليه ، وهو اللام ، ثم الذى يدل على بطلان القول بالاشتراك فى لام التعريف بين المعانى المذكورة ، أن الاشتراك على خلاف الأصل ، فلا يصار إليه إلا لدليل ، وليس فليس .

إشارة : إلى تنكير المسند إليه :

قال المعاصر [1] : تنكيره إما للإفراد ، كقوله تعالى : ﴿ وجاء رجلٌ مِنْ أقْصى المدينةِ يَسْعَى ﴾ [2] أى فرد من الأفراد .

أو للنوعية ، كقوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارِهِمْ غِشَاوةٌ ﴾ [3] أى نوع منها : وهو غطاء التعامى عن آياته تعالى .

ويحتملهما معاً قوله : ﴿ واللّه خَلق كلَّ دَابَّةٍ من ماء ﴾ [4] يريد : إما كل فرد من أفرادها ، أو كل نوع من أنواعها .

أو للتعظيم ، كقول ابن أبى السمط [5] :

له حاجبٌ فى كل أمر يَشينه   وليس له عن طالب العُرف حاجبُ

أى له حاجب أىّ حاجب ، وليس له حاجب ما .

/١٣ ب أو للتكثير ، كقولهم : إن له لإبلا ، وإن له لغنما ، / أى : كثيرا منهما .

أو للتقليل ، كقوله تعالى : ﴿ وعَدَ اللّهُ المؤمنينَ والمؤمنات جنات تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فى جَنَّاتِ عَدْنٍ ورِضْوانٌ من اللّهِ أكبرُ ﴾ [6] أى : شئ ما من رضوانه أكبر من ذلك كله .

---

(١) الإيضاح ٢٩ وبغية الإيضاح ١٠١/١   (٢) سورة القصص آية ٢٠

(٣) سورة البقرة آية ٧   (٤) سورة النور آية ٤٥

(٥) ابن أبى السمط حفيد مروان بن أبى حفصة ، زهر الآداب ، والعرف : العطاء .

(٦) سورة التوبة آية ٧٢

وجاء للتعظيم والتكثير معاً ، كقوله تعالى : ﴿ وإنْ يكذّبوكَ فقد كُذّبَتْ رُسُلٌ من قَبْلِك ﴾ [1] أى : رسل ذَوو عدد كثير .

وزاد السكاكى : أو لخلاف التعظيم [2] كقوله تعالى : ﴿ ولئن مسَّتْهمُ نَفْحَةٌ مِن عذابِ رَبّكَ ﴾ [3] .

وردَّ المعاصر عليه : بأنه مستفاد من البناء للمرة ، ومن نفس الكلمة [4] .

ومن أمثلة خلاف التعظيم قوله تعالى حكاية عن إبراهيم :

﴿ يا أبت إنّى أخافُ أنْ يمسَّكَ عذابٌ مِن الرحمن ﴾ [5] .

قال الزمخشرى [6] : إنما قال عذاب بالتنكير ، دون عذاب الرحمن ؛ تأدبا مع أبيه حيث لم يصرح بوقوع العذاب ولا بتكثيره .

﴿ ولَكُمْ فى القِصَاصِ حياةٌ ﴾ [7] يحتمل النوعية والتعظيم ، أى نوعا من الحياة ، أو حياة عظيمة .

قلت : التحقيق أن النكرة بالوضع لا تدل أنها على فرد غير معين ، أو جنس غير معين ، كما أن المعرّف باللام يدل بالوضع على فرد معين ، أو جنس معين .

وأما غير ذلك من المعانى المذكورة من قرائن الأحوال ، هو باللفظ عن الاشتراك المنافى للأصل .

ثم قوله : إن خلاف التعظيم مستفاد من البناء للمرة ، فيه نظر ؛ لأن البناء للمرة باعتبار الكمية ، وخلاف التعظيم باعتبار الكيفية ، وأين أحدهما من الآخر ؟ ولذلك يوصف الاسم المبنى للمرة بالعظمة ، فيقال : نفخة عظيمة ، كما يقال : ضربة عظيمة ، ولو كان خلاف التعظيم مستفاداً من البناء ، لفهم التناقض .

وقوله : إن (حياة) فى ﴿ ولكمْ فى القِصاص حياةٌ ﴾ يحتمل النوعية والتعظيم ، فيه أيضا نظر ؛ لأن شرع القصاص يستلزم تكثير الحياة : ببقاء

---

(١) سورة فاطر آية ٤ — (٢) المفتاح ص ١٠٣ — (٣) سورة الأنبياء آية ٤٦

(٤) الإيضاح ص ٣٠ وبغية الإيضاح ١٠٤/١ — (٥) سورة مريم آية ٤٥

(٦) الكشاف ١٥/٣ الطبعة الثانية . — (٧) سورة البقرة آية ١٧٩

المقدرين القتل ، ولا يستلزم [*] تنويعه ولا تعظيمه ، فيكون من باب التكثير ، كما ذكره من المثال .

إشارة :

يوصف المسند إليه ، لكون المسند إنما يسند إليه باعتبار ذلك الوصف ، تعميماً وتخصيصاً .

والتعميم نحو قوله تعالى : ﴿ ومَا منْ دابّةٍ فِي الأرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [1] .

والتخَصيص : كقوله تعالى : ﴿ ولَعَبْدٌ مؤمنٌ خيْرٌ من مُشْرِكٍ ﴾ [2] وذلك أن النكرة قابلة للعموم والخصوص ، / فعمت فى الآية الأولى ، لوقوعها فى سياق النفى وأكد عمومها بالوصف العام ، وخصت فى الثانية بوصفها الخاص ، وهو الإيمان . ١٤/ أ

أو للتوضيح ، نحو : الجسم الطويل العريض العميق حادث .

أو للمدح ، نحو : زيد العالم الزاهد بالباب .

أو للذم ، نحو : جاء عمرو الفاسق اللئيم .

أو للتأكيد ، نحو : مضى أمس الدابر . وقوله تعالى : ﴿ لا تتَّخذُوا إلهَيْن اثنين إنما هو إلهٌ واحدٌ ﴾ [3] فإنه لولا الوصف ، لاحتمل أن يكون المراد النهى عن اتخاذ الإله ، لا عن تعدده ، وإثبات الآلهة ، لا وحدتها ، فأزال هذا الاحتمال بتأكيد الإلهين بالاثنينية ، والإله بالوحدة .

وهم وتنبيه :

قال السكاكى [4] : توصف النكرة بالجملة الخبرية لا الإنشائية ، لأن الوصف للتمييز ، والتمييز يستدعى علم المتكلم ثبوت الوصف لموصوفه دون غيره ، فما لا يكون معلوما له ، لا يصح أن يكون مميزا بحكم ، عكس النقيض ، والجملة الطلبية لا يعلم المتكلم فيها حصول الوصف لموصوفه ، فلا تكون مميزة .

(*) كلمة غير واضحة فى الأصل فأثبتنا ما يتفق والسياق .
(١) سورة الأنعام آية ٣٨
(٢) سورة البقرة آية ٢٢١
(٣) سورة النحل آية ٥١
(٤) المفتاح ١٠١

وقال المعاصر [1] : هذا مختص بالطلب ، والإنشاء أعم منه ، فيجب أن يعلل بأعم ، وهكذا الوصف حكم على الموصوف ، والإنشاء لا حكم فيه ، فلا يقع صفة .

قلت : كان يجب على السكاكى أن يحلل الحكم هكذا : إن النسبة الوصفية يجب أن تكون سابقة على كلام المتكلم فى علم المخاطب ؛ ليصح أن تكون مميزه . والنسبة الإنشائية ، طلبية كانت أو غيرها ، لا يصح أن تكون سابقة عليه ؛ لأنها معلولة له ، والمعلول لا يصح تقدمه على علته ، فلا يصح أن يوصف بالإنشاء .

وتعليل المعاصر ليس بشئ ؛ لأنّا نمنع أن الوصف حكم على الموصوف ؛ لأن الحكم يرادف الخبر ، والخبر ليس بالوصف ، فالحكم ليس بالوصف ، وينعكس إلى أن الوصف ليس بحكم ، وهو المطلوب .

إشارة : يعرض للمسند إليه أحوال :

أن يكون واقعا موقع غيره تجوزا : إما بأن يكون ذلك الغير متعلقاً له ، فيؤكد بإعادة معناه :

إما بلفظه : نحو زيد زيد قد ركب .

أو بمرادفه : نحو زيد نفسه أو عينه جاء .

أو يكون بعضاً منه ، فيؤكد بألفاظ الشمول ، وهى : كلاً وكلّ وما تتبعه ، نحو : جاء الزيدان كلاهما ، والزيدون كلهم ، وشرطه : أَنه لو لم يؤكد به ، لأفاد الشمول ، فلا يكون « كل » فى نحو قوله تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بما لديهم فَرِحُون ﴾ [2] تأكيدا خلافا للسكاكى [3] .

/ ويعرض له إيهام بسبب شمول اللفظ أو اشتراكه ، فيبين بعطف البيان ، ١٤/ ب نحو: أقسم بالله أبو حفص عمر ، وجاء محمد أبو عبد الله .

ويعرض له زيادة الاعتناء ، فيسند المسند إلى غيره ثم يجعل بدلا عنه لحكمة

---

(١) الإيضاح ٣١ ، والبغية ١/١١١ (٢) سورة الروم آية ٣٢ (٣) المفتاح ١٠١

تقدمت فى حذف المسند إليه ، ثم ذلك الغير : إما أن يكون عين معناه بغير لفظه ، أو بعضه ، أو خارجا عنه متعلقا به ، وهى : الأبدال الثلاثة نحو :

جاء زيد أخوك ، وسُلب عمرو ثوبه ، وذهب القوم أكثرهم ، وأما بدل الغلط ، فلا يجئ فى كلام الفصحاء .

اشارة : يعرض للمسند إليه التقدم ؛ لأصالته ، وكونه أهم من الخبر ، أو لكونه مشوقا إلى الخبر ، فيقدم ليتمكن الخبر فى ذهن السامع ، كقول الشاعر [١] :

والذى حارت البرّيةُ فيه　　　حيوانٌ مستحدَثٌ مِن جَمادِ

أو للتفاؤل به ، نحو : سعْدٌ فى دارك .

أو لتخصيصه بالخبر إذا كان ضميرا بعد نفى ، والخبر فعل ، نحو : ما أنا فعلت هذا ، أفاد نفيه عن المتكلم ، وإثباته لغيره ، قال الشاعر [٢] :

ومـــا أنا أسقمتُ جسمـى به　　　ولا أنا أضرمتُ فى القلب ناراً

ولأجل إفادته إثبات الفعل لغيره ، لم يجز : ما أنا قمت ولا أحد غيرى ؛ لمناقضة المنطوق المفهوم ، بل يقال إذا أريد مطلق النفى : ما قمت أنا ولا أحد غيرى .

وكذا لا يقال : ما أنا رأيت أحدا من الناس ؛ لاقتضائه من حيث المفهوم أن أحداً غير المتكلم قد رأى كل الناس ، وهو محال .

ولا يقال أيضاً : ما أنا ضربت إلا زيدا ؛ لاقتضاء المفهوم : أن إنسانا قد ضرب من عدا زيدا من الناس .

وعلّل عبد القاهر [٣] والسكاكى [٤] امتناعه بأن نقض النفى بإلاّ يقتضى

---

(١) البيت لأبى العلاء المعرى من قصيدة يرثى فيها فقيها حنفياً مطلعها :

غير مجد فى ملتى واعتقادى　　　نـــوح باك ، ولا ترنـــم شـــاد

سقط الزند ص ١٢ دار الفكر ببيروت سنة ١٩٦٥

(٢) البيت للمتنبى من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة بعد ما استبطأه ومطلعها :

أرى ذلك القرب صار ازورارا　　　وصار طويل السلام اختصاراً

وفى الديوان : وما أنا أضرمت ، ديوانه ٢/٩٥

(٣) الدلائل ص ٩٨　　　(٤) المفتاح ١٢٥

أن يكون القائل له قد ضرب زيدا ، وإيلاء الضمير حرف النفى يقتضى ألا يكون ضربه ، وهو تناقض .

ومنع المعاصر [١] قولهما : إن إيلاء الضمير حرف النفى يقتضى ألا يكون ضربه .

قلت : لا شك أن قولهما مغالطة ؛ لكن المنع ليس كما ينبغى ، بل ينبغى أن يمنع لديه التناقض ؛ لأن قولهما : نقض النفى بإلا يقتضى أن يكون القائل : قد ضرب زيدا . مبنى على أن المفهوم يرجع إلى النسبة السلبية فقط .

وقولهما : إن إيلاء الضمير حرف النفى يقتضى ألا يكون ضربه ، مبنى على أن المفهوم يرجع إلى النسبتين معاً : أى الذى سلب عنه ضرب غير زيد ، ونسب إليه ضرب زيد : لست أنا ، بل هو غيرى . والتناقض هو الذى يميز النسبتين فى كل شئ سوى النفى والإثبات .

وشَرط السكاكى [٢] لإفادة التخصيص أن يكون المسند إليه يقدر تأخيره ؛ لأنه لو قدر كونه مبتدأ ، لم يفد غير تقوّى الحكم .

وهم وتنبيه :

عمم السكاكى [٣] الحكم / المذكور ، وحكم بأن تقديمه يفيد التخصيص ١٥/ أ وإن لم يكن الخبر فعلا ، وهو قول الزمخشرى [٤] أيضا ، أو لم يكن المسند إليه ضميرا ، بل نكرة وإن لم تكن منفية .

ومثّل للأول بقوله تعالى حكاية : ﴿ وما أنتَ علينا بِعَزِيز ﴾ [٥] أى : العزيز علينا يا شعيب رهطك لا أنت ؛ لكونهم من أهل ديننا ، ولذلك قال لوط فى جوابهم : ﴿ أَرَهْطِي أعَزُّ عليكمْ من اللّه ﴾ [٦] .

ومثل للثانى بقولهم : (شَرٌّ أهرَّ ذا ناب) أى : (ما أهرَّ ذا ناب إلا شرٌّ) وفى الحكمين نظر :

---

(١) الإيضاح ٣٤ ، البغية ١٢٢ ، ١٢٣
(٢) المفتاح ١١٩
(٣) المفتاح ١١٩
(٤) الكشاف ٢/٣٣١ ، الإيضاح ٣٨
(٥) سورة هود آية ١
(٦) سورة هود آية ٩٢

الأول : فلأن الذى يدل على أن رهطه هم الأعزة قولهم : ولولا رهطك لرجمناك ، لا قولهم : وما أنت علينا بعزيز .

وأما الثانى : فلأن التخصيص مستفاد من إسناد الفعل إلى جنس الشر ، أى : المهرّ من جنس الشر لا من جنس الخير ، لا من تقديم المسند إليه ، وإنما قلد فى هذا الحكم أئمةَ النحو ، وقد زيفناه فى كتبنا النحوية .

وعمَّم المعاصر [1] الحكم أيضاً من وجه آخر ، وحكم بإفادة التقديم التخصيص وإن لم يكن نفى ، للرد على من زعم انفراد غيره به ، أو مشاركته فيه ، كقولك : أنا كتبت فى معنى فلان ، وأنا سعيت فى حاجته . قال : ولذلك إذا أكدت قلت : أنا كتبت فى معنى فلان لا غيرى ، أو وحدى . قال : [2] ومنه المثل (أتُعَلِّمُنِى بضبٍّ أنا حَرَشْتُهُ) [3] . وقوله تعالى : ﴿ ومِنْ أهلِ المدينةِ مَرَدُوا على النفاقِ لا تَعْلَمُهمُ نحن نَعْلَمُهُم ﴾ [4] . أى : لا يعلمهم إلا نحن .

وفيه أيضا نظر ؛ لأنه مجرد دعوى ؛ لأن الزاعم إن زعم انفراد غيره ، فقولك لا يفيد غير إسناد الفعل إلى نفسك ، والتقديم لتقوّى الحكم وتأكيده كما يأتى . وإن زعم المشاركة ، فقولك ، وحدى ، تأسيس لا تأكيد ، أو التأسيس هو الأصل ، فلا عدول عنه إلى التأكيد إلا لدليل ، وليس .

وأما التخصيص فى الآية فمستفاد من قوله : « لا تعلمهم » وإذا لم يعلمهم النبى ، فغيره على وجه الأوْلى لا يعلمهم .

وأما المثل ، فليس كما ظنه ؛ لأنه غير مسوق لبيان التخصيص ، بل لبيان الإنكار ، فإن قوله : (أنا حرّشته) أى : صدته ، جملة وقعت صفة لضب ، تقديره بضب مصيد لى ، والصفة لا تُساق للإفادة ، بل للتمييز . وشرطها علم المخاطب بها ؛ لتصلح للتمييز ، ومعناه الإنكار على من يعلم كون المتكلم صائدا للضب ، ويعلمه بأمور الضب ، فهو فى ذلك جامع بين النقيضين ، فالقول بأن تقديم المسند إليه للتخصيص ، والحكم بأن الجملة / صفة للضبّ ، لا يجتمعان /١٥ ب

---

(١) الإيضاح ٣٤ . وبغية الإيضاح ١٢٣ (٢) الإيضاح ٣٥

(٣) المثل يضرب لمن يحدثك عن شئ أنت أعرف به منه ، ومعنى حرشته : اصطدته .

(٤) سورة التوبة آية ١٠١

لأنه إذا كان التقديم للتخصيص ، وجب أن يكون المخاطب منكرا لنسبة الحرش إلى المتكلم أو مترددا فيه ، لكنه عالم به لوقوعه صفة ، فيكون تقديم المنسوب إليه من باب تقديم الأهم أو للتأكيد كما يأتى .

إشارة : من فوائد تقديم المسند إليه إذا كان المسند ذا ضمير له ، أن يقرر الحكم فى ذهن السامع ، ويؤكده بسبب تكراره سواء كان اسما ظاهرا نحو : زيد ركب ، فإنه كرر معناه ظاهرا ، ومضمرا مستترا . أو ضمير المتكلم نحو : أنا ركبت . كرر متصلا ومنفصلا ، أو ضمير المخاطب نحو : أنت ركبت ، كرر متصلا ومنفصلا ، وكذلك : هو ركب .

قال المعاصر [١] : « وجه تأكيده : أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعى أن يسند إليه شئ ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إليه ، صرفه إلى نفسه فينعقد بينهما حكم » .

وهذا ليس بشئ ؛ لأنه يمكن أن يقال مثله إذا قدّم المسند الفعلى نحو : ركب زيد ، ويؤيد ما قلناه من إفادة التقديم التأكيد ، أن مثل هذا الكلام إنما يساق فى مظانّ التوكيد بأن يكون فى موضع تكذيب ، أو مظنته ، أو تردد السامع .

أما الأول ، فكقولك : أنت تعلم ، لمن قال : أنا لا أعلم ما تقول ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ويقولون على اللّه الكَذبَ وهُمْ يَعْلَمون ﴾ [٢] ؛ لأن الكاذب لا يعترف بالعلم بأنه كاذب ، وكذا قولَه : ﴿ وإذا جاءوكمْ قالوا آمنّا وقد دخلوا بالكفرِ وهم قد خَرجُوا به ﴾ [٣] فإن قولهم : آمنا تكذيب لخروجهم بالكفر .

وأما الثانى ، فكقوله تعالى : ﴿ والذين يدعونَ من دون اللّه لا يَخْلقُون شيئاً وهم يُخْلَقون ﴾ [٤] فإن اعتقادهم إلهيّةَ دون اللّه مظنة تكذيبهم أنهم يخلقون . ومنه قول طرفة [٥] :

---

(١) الإيضاح ٣٥ ، بغية الإيضاح ١٢٤ (٢) سورة آل عمران آية ٧٥

(٣) سورة المائدة آية ٦١ (٤) سورة النحل آية ٢٠

(٥) هو طرفة بن العبد شاعر جاهلى من أصحاب المعلقات . وتمام البيت :

« لا ترى الآدب فينا ينتقر » الجفلى : الدعوة العامة ، والنقرى ضد الجفلى والبيت من قصيدة مطلعها:

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومـــن الحـــب جنـــون مستعر

ديوانه ص ٥٥ ط بيروت

نحن فى المشتاة ندعو الجفَلى

فإن الافتخار مظنّة وجود المعارض ، ووجود المعارض مظنة التكذيب .

وأما الثالث ، فكقول الحماسى فى المدح [(١)] :

همُ يفرشون اللِّبْد كلَّ طِمِرَّةٍ

وقوله [(٢)] :

هما يلبسان المجدَ أحسن لِبسة

ومن هذا الباب لفظتا : مثل وغير ، إذا أسند إليهما فعل بعدهما نحو : مثلك يفعل ذلك أو لا يفعل ، وغيرى يفعل ذلك أو لا يفعل ، فإنه يلزم بقولهما التأكد كما عرفت .

قال الشاعر [(٣)] :

مثُلك يثنى الحُزْن عن صَوْبِهِ ويستردُّ الدمْعَ عن غَرْبِه

١٦/ أ / ومنه قول القَبعْثَرى [(٤)] لما توعده الحجاج بقوله : لأحملنك على الأدهم : «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب » .

وقال أبو تمام [(٥)] :

وغيرى يأكل المعروف سُحْتاً ويشحُبُ عنده بيضُ الأيادى

وهل يفيد التخصيص حتى يلزم من قولك : مثلك يفعل ، أن غير مثلك لا يفعل ، ومن قولك : مثلك لا يفعل ، أن غير مثلك يفعل .

---

(١) الطمرة : الفرس الأصيل . والبيت للمعدّل بن عبد الله الليثى . وتمام البيت :

.... « وأجرد سباح يبذ المغاليا » ، اللبد : الصوف ، الطمرة : أنثى الفرس

(٢) البيت لعمرة الخثعمية فى رثاء ولديها وتمامه :

.... شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما . شرح الحماسة للتبريزى ٣ - ٦٠

(٣) المزن : السحاب ، صوبه : انصبابه ، غربه : سيله ، والبيت للمتنبى من قصيدة يعزى فيها أبا شجاع عضد الدولة فى وفاة عمته مطلعها :

آخر ما الملك معزى به هذا الذى أثر فى قلبه

ديوانه ٢١٦/١

(٤) هو : ابن القبعثرى الغضبان الشيبانى الذى خرج على الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٥) السحت : الحرام ، ويشحب : يتغير ويبهت . ديوانه ٧٣ ط أولى بيروت .

ومن غيرى يفعل ، أن المتكلم لا يفعل ، ومِن غيرك لا يفعل ، أن المتكلم يفعل .

الحق : نعم يفيد ذلك ، لكن لا من تقديم المسند إليه ، بل من جهة أنه لولا التخصيص ، لم يفد الكلام ما سيق له من المدح ، وتزكية النفس .

وهم وتنبيه :

بنى المعاصر [1] على تعليله المذكور ، ثبوت حكم توكيد المسند إليه عند تقديمه وإن خلا المسند عن الضمير ، نحو : زيد غلامك .

وليس بشئ لدلالة الاستقراء على أن التأكيد هو : إعادة المعنى إما بلفظه الأول ، أو بمرادفه ، وليس نحو : زيد غلامك هكذا ، وإنما قدم هنا ؛ لكونه هو المخبر عنه فى المعنى بكونه غلامك . ولو قدم غلامك ، لانعكس المعنى ، ولذلك قال أئمة النحو : إن المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين ، فالمقدم هو المبتدأ ، والسر فيه أن المخاطب إذا علم بأنه زيد ، وشكّ أو أنكر أنه غلامه ، خوطب بزيد غلامك . وإن كان عالما بأنه غلامك ، وشك أو أنكر أنه زيد ، خوطب بغلامك زيد ، وقس عليه جميع ما يرد عليك من المبتدأ وخبره .

وهم وتنبيه :

المشهور من علماء البلاغة أن نحو : كلٌّ إنسان لم يقم ، يفيد عموم الأفراد ، بخلاف : لم يقم كل إنسان ، واحتجوا بوجوه :

(أ) ما ذكره الشيخ عبد القاهر [2] : أن النفى فى الصورة الأولى مسلط على نفس الفعل ، فتكون كلمة (كل) مفيدة لشمول الأفراد ، وفى الثانية مسلط على شمول الفعل فينتفى الشمول .

(ب) ما قاله السكاكى [3] إن « إنسان لم يقم » مهملة فى قوة السالبة الجزئية ، فإذا قيل : « كل إنسان لم يقم » وجب أن تكون موجبة كلية معدولة

---

(١) نص كلام الخطيب : « سبب التقوية أن المبتدأ يستدعى أن يسند إليه شئ فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه إلى نفسه ، فينعقد بينهما حكم ، سواء كان خالياً عن ضميره نحو «زيد غلامك » أو متضمناً نحو « أنا عرفت ..... » الإيضاح ص ١٣٩ ط بيروت .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٢٠ الطبعة الخامسة دار المنار .

(٣) انظر الإيضاح ص ١٤٩ ط بيروت .

وانظر المصباح لبدر الدين بن مالك ص ١٣ المطبعة الخيرية .

المحمول ، مستلزمة للسالبة الكلية ، وإلا لكانت جزئية ، فتكون كلمة (كل) للتأكيد ، والتأكيد مرجوح بالنسبة إلى التأسيس .

وأما « لم يقم إنسان » فهى فى قوة السالبة الكلية ؛ لكون النكرة فى سياق النفى مفيدة للعموم ، فإذا قيل : لم يقم / كل إنسان ، أفاد نفى القيام عن الكل المجموعى المستلزم للسلب الجزئى ؛ لأنه لو أفاد السلب الكلى ، لكان كلمة (كل) للتأكيد ، والتأسيس خير من التأكيد .

١٦/ ب

(ج) ما قاله المعاصر [(١)] : وهو أن ذا اليدين [(٢)] لما قال : أَقَصُرَتِ الصلاة أم نسيتَ يا رسولَ الله ؟ قال رسول الله : « كلُّ ذلك لم يكن » [(٣)] .

والاحتجاج به من وجهين :

أحدهما : أن السؤال بأم عن أحد أمرين لطلب التعين بعد ثبوت أحدهما لا بعينه عند المتكلم ، وجوابه : إما بأحدهما بعينه أو بنفيهما معاً ، كما إذا قيل : أزيد فى الدار أم عمرو ؟ كان جوابه : إما زيد أو عمر ، أوْ لا واحد منهما ، وحيث إن رسول الله لم يُجب بتعيين أحدهما ، علم أنه أراد نفيهما معا ، وهو المطلوب .

وثانيهما : أن ذا اليدين ناقض رسول الله ﷺ بقوله : بعض ذلك قد كان ، وهى موجبة جزئية ، ولا تناقض الموجبة الجزئية إلا السالبة الكلية وهو المطلوب .

(د) ما قاله المعاصر [(٤)] أيضا ، والسكاكى ، وعبد القاهر ، وهو الاحتجاج بقول أبى النجم [(٥)] :

قد أصبحتْ أمُ الخيار تدَّعِى ... علَى ذنبا كلُّه لم أَصنعِ

---

(١) الإيضاح ٤١ ، وبغية الإيضاح ١٤٢/١

(٢) هو الخرباق أو العرباض بن عمرو الصحابى ، وسمى بذى اليدين لطول فى يديه .

(٣) انظر الدلائل ص ٢١٩ ، والحديث أخرجه البخارى ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ انصرف من اثنين : فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال الرسول : أصدق ذو اليدين ؟ فقال الناس : نعم ، فقال الرسول : فعلىّ ثنتين أخريين » فتح البارى لابن حجر ٣٤٧/٢

(٤) الإيضاح ٤١ ، والبغية ١٤٢

(٥) سبقت ترجمته ص ٢٥ من هذا الكتاب . والبيت فى التبيان لابن الزملكانى ص ٥٦ والدلائل ص ٢١٥ . سيبويه : ٤٤/١ ، ٦٩ ، الأغانى ١٥٩/١٠

ووجه الاحتجاج : أن المروى عنه هو رفع « كل » ، وقرائن الأحوال تدل على أنه أراد عموم الأفراد ، فلولا أن الرفع يفيد العموم ، والنصب لا يفيده ، لم يعدل عن النصب إلى الرفع ؛ لأن الفصيح فى مثله النصب . وفى الكل نظر ؛

أما الأول : فلأنا لا نسلم أن النفى إذا سلط على الفعل أفاد عموم الأفراد ، وإنما يلزم ذلك أن لو كانت لفظة (كل) نافية للعموم ، وليس إذا كانت هى مشتركة بينه وبين الكل المجموعى ، كما يقال : كل إنسان لا تسعهم دار واحدة .

ولا نسلم أن النفى فى الصورة الثانية مسلط على الشمول ، بل على الفعل المسند إلى مفيد الشمول ، فإن جعل الشمول شمول الأفراد فى الأولى دون الثانية ، كان ترجيحا من غير مرجح .

وأما الثانية : فلأنّا لا نسلم أن « كل إنسان لم يقم » إذا كانت جزئية كان (كل) يفيد التأكيد ، وإنما يفيد التأكيد أن لو أفاد غير ما أفاده الأول ، وليس كذلك ، لأن « إنسان لم يقم » يدل بالمطابقة على حمل عدم القيام على طبيعة الإنسان ، « وكل إنسان لم يقم » يدل بالمطابقة على حمله على مجموع الأفراد من حيث المجموع ، وأحدهما غير الآخر ، ودلالتهما بالالتزام على السلب الجزئى لا يوجب أن يكون أحدهما تأكيدا للآخر ، وإلا لكان الإنسان والفرس يؤكد أحدهما الآخر ، كدلالتهما على قابلية المسمى بالالتزام / لكن ليس فليس . /١٧ أ

سلمنا أنه يستلزم التأكيد ؛ لكن التأكيد ليس بمحل ، حتى يكون مستلزما لصدق عدمه ، بل هو مرجوح بالنسبة إلى التأسيس ، فلا يصلح أن يكون مقدمة فى المطلوب ، إلا أن يكون المطلوب أولوية الدلالة على العموم .

وأما الثالثة : فلأن النبى ﷺ استعمل اللفظ المشترك فى أحد معنييه : وهو عموم الأفراد ، ولا يستلزم ذلك ألا يكون مفيدا إلا له ، وكذا الجواب عن الوجه الآخر .

وأما الرابعة : فإن أبا النجم عدل من النصب إلى الرفع ؛ لكون العموم مرادا والنصب لا يدل عليه ، والرفع مشترك بين عموم الأفراد وغيره ، فاستعمل اللفظ المشترك واكتفى بقرائن العموم .

والحاصل : أن مدّعاهم إن كان النص على عموم الأفراد ، فقد عرفت ما فيه وإن كان مدّعاهم الدلالة على العموم بالقرائن فهو حق .

إشارة : يعرض للمسند إليه أن يقام المضمر مقام الظاهر ، لِحِكَمٍ سِيقت فى خلافه [1] وذلك نحو : نعم رجلا زيد ، وبئس رجلا عمرو .

ومنه ضمير الشأن والقصة ، نحو : هو زيد عالم ، أى : الشأن زيد عالم ، وهى عمرو شجاع » [*] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللّه أحد ﴾ [2] وقال : ﴿ فَإِنّها لا تَعْمَى الأَبْصارُ ﴾ [3] و ﴿ إنهُ لا يُصْلِحُ الكافرونَ ﴾ [4] .

وقد يعكس : فيقام الظاهر مقام المضمر :

إما للتعظيم ، نحو : ﴿ قُلْ هُوَ اللّه أحَد ، اللّهُ الصَّمد ﴾ [5] .

وقوله فى غير المسند إليه : ﴿ وبالحقِّ أنزلْناهُ وبالحقِّ نَزلَ ﴾ [6] .

وقوله : ﴿ فَبدَّل الذين ظَلَمُوا قولاً غير الذى قِيلَ لهمْ فأنزلْنا على الذينَ ظَلَمُوا ﴾ [7] .

وقول الشاعر [8] :

إن تسألوا الحقَ نُعْطِ الحقَّ سائلَه

وإما للروع ، لتقوِّى داعى ما سيق الكلام له ، كقول الشاعر [9] :

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شىءٌ ... نَغَّص الموتُ ذَا الغنى والفقيراً

ومنه قولهم : أمير المؤمنين يأمرك بكذا .

---

(١) أراد : أن إقامة الضمير مقام الظاهر من الأنواع التى تجرى على خلاف مقتضى الظاهر .

(*) أى : القصة زيد شجاع . (٢) سورة الإخلاص آية ١

(٣) سورة الحج آية ٤٦ (٤) سورة المؤمنون آية ١١٧

(٥) سورة الإخلاص آية ١ ، ٢ (٦) سورة الإسراء آية ١٠٥ (٧) سورة البقرة آية ٥٩

(٨) هو من قول الشاعر المخضرم عبد اللّه بن عنمة الضبى وتمامه :

.... والدرع محقبة ، والسيف مقروب ، البغية ١/ ١٥٠

(٩) قائل هذا البيت هو سواده بن عدىّ الكتاب ١/ ٣٠ وذكر المؤلف بعد ذلك أنه لعبد اللّه بن عنمه .

وإما للاستعطاف ، نحو : إلهى عبدُك العاصى أتاكا (١) .

الالتفات :

وقريب من ذلك العدول من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى الآخر ، ويسمى التفاتا ، وأقسامه ستة :

١ - من التكلم إلى الخطاب ، كقوله تعالى : ﴿ وما لىَ لا أعبدُ الذى فطَرنِى وإليه تُرجَعون ﴾ (٢) .

٢ - ومنه إلى الغيبة ، كقوله : ﴿ إنّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر ، فَصلِّ لرَبِّكَ وانحَرْ ، إنّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَر ﴾ (٣) .

٣ - ومن الخطاب إلى التكلم ، كقول علقمة بن عبدة : / ١٧/ ب

طَحَا بكَ قلبٌ فى الحِسانِ طروبُ ... بُعَيْد الشباب عصْرَ حانَ مَشِيبُ

يُكَلِّفنــــى ليلَــى وقد شطّ ولْيُها ... وعـادتْ عوادٍ بيننا وخُطُوبُ (٤)

٤ - ومن الخطاب إلى الغيبة ، نحو قوله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتمْ فى الفُلْكِ وجرَيْنَ بهم ﴾ (٥) .

٥ - ومن الغيبة إلى التكلم نحو قوله تعالى : ﴿ واللّه الذى أرسل الرياحَ فتثيرُ سَحاباً فسقناهُ إلى بَلدٍ ﴾ (٦) .

٦ - ومن الغيبة إلى الخطاب ، نحو قوله : ﴿ مالكِ يوم الدين ، إيّاكَ نَعْبد وإيّاك نسْتعين ﴾ (٧) . وقول عبد اللّه بن عنمة :

---

(١) قائله إبراهيم بن أدهم وصحة البيت وتمامه :

إلهى عبدك العاصى أتاكا ... مقراً بالذنوب وقد دعاكا

(٢) سورة يس آية ٢٢ ... (٣) سورة الكوثر آية ١ - ٣

(٤) هو علقمة الفحل شاعر جاهلى معاصر لامرئ القيس ، طحا بك قلب : تشعب ، شط وليها: بعد قربها ، عوادى الدهر : خطوبه ، والبيتان من قصيدة يمدح بها الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، الشعر والشعراء ٢٢١

(٥) سورة يونس آية ٢٢ ... (٦) سورة الروم آية ٤٨

(٧) سورة الفاتحة آية ٤ ، ٥

ما إن ترى السيد زيدا فى نفوسهمُ كما تــــراه بنـــو كُــوز ومــرهوب

إن تسألوا الحـــقَّ نُعـطِ الحقَّ سائله والدرعُ محقَبة والسيف مقروب [1]

إشارة : يلحق بهذا المقام أسلوب يسميه السكاكى بالأسلوب الحكيم [2] وعبد القاهر بالمغالطة [3] .

وهو : أن يتلقى المخاطب بغير ما يترقبه ، ويحمل كلامه على غير مراده ؛ صرفاً لرأيه إلى ما هو أولى به . أو يَلقى السائل بغير مطلوبه ، تنبيها على أنه أولى به .

فالأول : كما يحكى : أن الحجاج لما توعد القبعثرى بالقيد ، وقال : لأحملنك على الأدهم ، قال : ومثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب ، قال : إنه حديد ، قال : لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا . ومنه قول الشاعر :

أتتْ تشتكى عندى مزاولةَ القِرَى وقد رأت الضيفانَ يَنْحــون منــزلـــى

فقلتُ كأنــى ما سمعتُ كلامَها : هُمُ الضيفُ جِدِّى فى قِراهم وعَجِّلى [4]

والثانى : قيل هو كقوله تعالى : ﴿ يسألونكَ عن الأهلَّة قلْ هى مواقيتُ للناسِ والحجِّ ﴾ [5] لما قالوا : ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ، ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلئ ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ؟ فتلقاهم بغير مطلوبهم كما ترى .

وكقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلونَكَ ماذاَ يُنْفقُون ؟ قل ما أنفقتمْ مِن خيرٍ فللوالدين والأقربينِ واليتامَى والمساكينِ وابن السبيل ﴾ [6] سألوا عن بيان ما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصرف . ولى فى التمثيل بالآيتين نظر :

---

(١) الدرع : قميص من حديد تتقى به ضربات السلاح فى المعارك ، محقبة : محمولة خلفهم على الركاب ، والسيفُ مقروب : مغمد فى قرابه ، والسيد وزيدا وكوز ومرهوب : أحياء من خبتة قوم الشاعر ، الحماسة ٢/٥٨٥

(٢) المفتاح ١٧٥ (٣) دلائل الإعجاز ص ١٠٧

(٤) ينحون : يقصدون ، جدى : اجتهدى ، قراهم : ضيافتهم ، القائل مجهول ، والبيت بلا عزو فى المفتاح ٥٥٤ ، وأنوار الربيع ٢/ ٢٦٠

(٥) سورة البقرة آية ١٨٩ (٦) سورة البقرة آية ٢١٥

أما الأولى : فإنهم لما سألوا عن سبب اختلاف القمر ، والسبب كما يكون فاعليا ، كذا يكون غائياً .

فسببه الفاعلى : اختلاف أوضاعه بحسب قربه أو بعده من الشخص لكون/ ١٨/ أ نوره مستفاد منها .

وسببه الغائى : أن يكون مواقيت للناس ، إذ لو ثبت على شكل واحد فى المرأى لا يصلح لأن يكون مواقيت كباقى الكواكب ، اللهم إلا بالطلوع والغروب، لكنهما غير كافيين لتوقيت جميع الحوادث .

وإما أجابهم بالسبب الغائى : إما لعلمه تعالى بمرادهم ، أو لعلمه بأنهم لم يفهموا السبب الفاعلى ؛ فلا تكون الآية من هذا الباب .

وأما الثانية : فإن سؤالهم لم يكن عن مطلق الإنفاق ، بل عن إنفاق المال النافع فى الآخرة ، فالنافع هو فضل المسئول عنه ، فأجاب اللّه تعالى بملزوم الفضل ، وهو أن يكون الإنفاق على المذكورين ، وأراد بالخير : المال ، لقوله تعالى : ﴿ وإنه لحبِّ الخَيْرِ لشَدِيد ﴾ (١) .

ونظيره أن يقول لمن يسأل ، ما السكنجبين ؟ : هو أن يُركَّب الخَلُّ مع الفُلّ ، فإن تركيبهما ملزوم للمزاج الذى هو فضله ، وليس ذلك أيضا مما نحن فيه ؛ لأنه لم يعدل عن مطلوبهم إلى غيره ، ليكون أسلوبا حكيما ، أو مغالطة ، فليطلب المثال للسؤال من موضوع آخر .

وهم وتنبيه :

قد ظن جماعة منهم السكاكى (٢) أن مطلق القلب من مسائل هذا العلم ، وأنه مقبول . والحق أنه ليس كذلك ؛ لخلوه من البلاغة ، اللهم إلا أن يكون قلبَ تشبيهٍ للمبالغة ، كقول رؤبة (٣) :

ومهمهٍ مغبرةٍ أرجاؤه كأن لونَ أرضِه سماؤُهُ

(١) سورة العاديات آية ٨ (٢) المفتاح ١١٣

(٣) مهمه : مفازة ، مغبرة ، لونها لون الغبار ، أرجاؤه : أنحاؤه . ديوان رؤبة ص ١ ، وأمالى المرتضى ١/١٥٥ ، وتأويل مشكل القرآن ص ١٥١ ط عيسى الحلبى .

أراد أن يشبه لون سمائه بلون أرضه ، فعكس للمبالغة .

ومثل قول أبى تمام [(١)] :

لعابُ الأفاعى القاتلات لعابُهُ

أراد تشبيه مداد قلم الممدوح بلعاب الأفاعى، فعكس للمبالغة . وأما ما عدا ذلك فلا يدخل فى البلاغة ، ولا يوجد فى القرآن ، كقولهم : (عرضتْ الناقة على الحوض ، وأدخلت القلنسوة فى رأسى ، والخف فى رجلى) وقول عروة [(٢)] :

فديتُ بنفسه نفسى ومالى

وإن جاء فى القرآن ما يوهم القلب ، يجب تأويله ، كقوله تعالى : ﴿ وكمْ من قريةٍ أهلكْنَاها فجاءَها بأسُنا ﴾ [(٣)] وأراد : أردنا إهلاكها . وقوله : ﴿ دنا فتدلّى ﴾ [(٤)] أراد : دنا النبى دنوَّ الكمال فتصور كهيئة المتدلى ، لا فى العالم العلوى بكله ، ولا فى العالم السفلى بكله .

وكذا قول قطرى بن الفجاءة ، يوهم أنه من القلب ، وليس منه :

ثـم انصـرفتُ وقد أصبتُ ولم أُصَبْ   جـذْعَ البصيرة قـارحَ الأقدام [(٥)]

لأنه لم يرد بقوله : (ولم أصب) : لم أجرح ، / بل أراد : لم ألف بهذه الصفة بل ألقى جذع الأقدام ، قارح البصيرة ، ويدل على ذلك قوله : ١٨/ ب

فلقـد أُرانـى للرمـاح دَريئـةً   مِـن عـَنْ يمينـى مَرّةً وأمامى

حتـى خَضَبْتُ بما تحـدّرَ من دمـى   أكنافَ سَرجى أو عِنان لجـامى [(٦)]

* * *

(١) البيت من قصيدة لأبى تمام يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف حين خرج من عمورية إلى مكة مطلعها :

متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل   وقلبك منها مدة الدهر آهلُ

ديوانه ٣/١٢٣

وتمام البيت

..... ورأى الجنى اشتارته أيد عواسل

(٢) هو عروة بن الورد من شعراء الصعاليك فى الجاهلية

وتمام البيت .. وما آلوك إلاّ ما أطيق

والبيت ليس فى الديوان . بيروت - البستانى ، وليس فى الديوان قصائد على حرف القاف (شرح شواهد المغنى ٢/٨٣٩)   (٣) سورة الأعراف آية ٤   (٤) سورة النجم آية ٨

(٥) جذع البصيرة : غر قليل التجربة ، قارح الإقدام : الرجل المجرب للأمور

وقطرى بن الفجاءة شاعر من الخوارج توفى سنة ٧٩ هـ . الحماسة ٦١ وشرحه ١٣٨ ، وسر الفصاحة ١٠٨

(٦) دريئة : هدف كالحلقة وغيره يتعلم عليه الطعن ، أكناف : جوانب . عنان اللجام : سيره . وهذان البيتان قبل البيت السابق .

الركن الثالث
فى أحوال المسند

الحذف

إشارة : يعرض للمسند الحذف ، كما يعرض للمسند إليه ؛ لوجود داعى التخفيف ، وزوال مانع الالتباس بالقرينة ، ويقوَى الداعى لأسباب تقدمت فى المسند إليه . والقرينة إما حالية أو مَقالية .

والحالية كقول المتنبى [1] :

قالتْ وقد رأتِ اصفرارى : مَنْ به ؟ وتنهَّدتْ ، فأجبتُها : المتنهدُ

أرادت : من فعل به ؟، وأراد : فعل المتنهد ، فحذفت الفعل ، لدلالة حال الاصفرار عليه ، وحذف هو ، لدلالة علمها به ، ثم حذفهما هو فى البيت للحكاية .

وهكذا التقدير خير من تقدير : مَن المطالب به ؟ : والمطالب به : المتنهد ؛ لكثرة الحذف من الموصول وصلته ، وعدم القرينة الدالة عليه .

والقرينة المقالية على أقسام :

(أ) أن يُعطف على المبتدأ اسم ، خبرهما واحد ، فيكتفى بخبر المعطوف عليه ، ويحذف خبر المعطوف ، سواء عطف قبل الخبر ، كقوله [2] :

فإنى وقَيَّارٌ بِها لَغَريبُ

أى : إنى لغريب وقيار كذلك ، فيكون الكلام جملتين .

---

(١) ١/٣٢٨ شرح العكبرى .

(٢) عجز بيت لضابئ بن الحرث البرجمى ، قالها وهو محبوس فى المدينة المنورة فى زمن عثمان ابن عفان رضى الله عنه : وقيار اسم فرسه أو جمله . وصدر البيت :

* ومن يك أمسى بالمدينة رحله *

الأصمعيات ١٦ ، بغية الإيضاح ١/١٧١

ويجوز أن يكون في نحو قوله تعالى : ﴿ واللَّهُ ورسُوله أحقُّ أن يُرْضُوه ﴾ (١) جملة واحدة ؛ لاستلزام رضى أحدهما رضى الآخر ، وتوحيد الضمير لعدم التفاوت بين الرضائين ، كما يقال : إحسان زيد وإجماله نعشني وجبرني (٢) .

أو يعطف بعد الخبر ، كقوله تعالى : ﴿ واللائي يَئِسْن من المحيضِ من نسائِكُمْ إِن ارتَبْتُم فعدتُهُنَّ ثلاثةُ أشهرٍ ، واللائِي لمْ يَحِضْن ﴾ (٣) أي : واللائي لم يحضن مثلهن .

(ب) أن يتقدم المبتدأ اسمٌ أو حرف يدل على خصوصية الخبر نحو : لولا زيد لكان كذا ، أي : لولا زيد موجود لكان كذا ، وخرجت فإذا السبع ، أي : فإذا السبع موجود .

(جـ) أن يوصف المبتدأ بصفة تدل على الخبر ، كقوله تعالى :

﴿ بلْ سَوَّلَت لكمْ أنفسكمْ أمراً فصَبْرٌ جميلٌ ﴾ (٤) أي : صبر جميل أجمل لي .

وقوله : ﴿ وأقسموا باللَّه جَهْدَ أيْمانهم لئنْ أمَرْتَهُمْ ليَخْرجُنَّ قل لا تُقْسِمُوا طاعةٌ مَعْروفةٌ ﴾ (٥) أي : طاعة معروفة أدل على معرفة صدقكم من الأيمان ؛ لكون دلالة الفعل أقوى من دلالة / القول . ١٩/ أ

(د) أن يقع الكلام جواباً لسؤال فيه دلالة على الخبر ، كمن يسأل : هل لك أحد ؟ إنّ الناس إلْبٌ عليك ، فتقول : إن زيدا وإن عمرا ، أي : لي زيدا وعمرا .

ومنه ما يكون السؤال فيه مقدرا ، كقوله (٦) :

إنّ مَحـــــلاً ، وإنّ مُرْتَحَـــــلاَ وإنّ في السفْر إذ مضَوْا مَهَلاَ

(هـ) أن يقع جوابا لسؤال فيه دلالة على خصوصية الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ ولَئِنْ سألتَهُمْ من خلقَ السموات والأرض ليقولنُّ اللَّهُ ﴾ (٧) أي : خلق اللَّه .

---

(١) سورة التوبة آية ٦٢ (٢) أفرد الضمير ؛ لأن الإحسان والإجمال بمعنى واحد .

(٣) سورة الطلاق آية ٤ (٤) سورة يوسف آية ١٨ (٥) سورة النور آية ٥٤

(٦) البيت للأعشى : ميمون بن قيس مطلع قصيدة بعنوان الشعر يستنزل الكريم يمدح فيها سلامة ذا فائش ديوانه ص ١٧٠ ط بيروت

(٧) سورة لقمان آية ٢٥

وقوله : ﴿ ولئنْ سألتهمْ مَن نزّلَ من السماءِ ماءً فأحْيَا به الأرض بعد مَوْتِها ليقُولُنَّ اللّه ﴾ [1] أي : نزّل اللّه .

ومنه ما يكون لسؤال مقدر يدل على السؤال فعل مذكور ، كقوله تعالى : ﴿ يُسَبَّح له فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رجالٌ ﴾ [2] على قراءة : يُسَبَّحُ بفتح الباء ، تقديره : فسبحه رجال ، حذف لدلالة يسبح على سؤال من يسأل : من يسبحه ؟ وقوله تعالى : ﴿ كذلك يُوحِي إليك وإلى الذين من قَبْلكَ اللّهُ العزيز الحكيمُ ﴾ [3] على قراءة فتح الحاء في يوحى ، أي : يوحى اللّه إليك .

(و) أن يلي حرفَ الشرط اسمٌ بعده فعل ، نحو : ﴿ وإنْ أحدٌ مِن المشركين استجَارَك ﴾ [4] أصله : إن استجارك أحد ، كرر الفعل للتأكيد ، ثم حذف المؤكد ؛ لدلالة حرف الشرط على مطلق الفعل ، ودلالة التأكيد على خصوصيته .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لو أنتمْ تَملِكُون خزائنَ رحْمةِ ربى ﴾ [5] أصله : لو تملكون ، تملكون ، كرر للتأكيد ، ثم حذف المؤكد لما قلناه ، فصار الضمير المرفوع المتصل منفصلا ؛ لعدم ما يتصل به ، وإنما فعل ذلك ؛ ليدل على اختصاص الفعل بفاعله .

وهم وتنبيه :

توهم قوم أن قوله تعالى مخاطبا للنصارى : ﴿ ولا تَقُولُوا ثلاثةٌ ﴾ [6] من باب حذف الخبر ، أي : لا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ، قالوا : ولا يجوز أن يقدَّر المبتدأ ، أي : آلهتنا ثلاثة ؛ لأن الخبر لكونه محلاً للفائدة وجب أن يتوجه النهى إليه ، فيكون المنهى هو القول بالتثليث ، فلا يستلزم التوحيد ، إما لأن المفهوم منه تفرُّد المبتدأ مع تعدده ، أو لأن النهى عن الشئ إنما يستلزم الأمر بضده إذا كان له ضد واحد ، والتثليث له أضداد كثيرة ، منها التوحيد .

وهذا ليس بشئ ؛ لأنه غير مسوق لبيان التوحيد حتى يشترط إفادته له ، بل للنهى عن التثليث ، والنصارى كانوا يعتقدون ويقولون : إن آلهتنا ثلاثة ،

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٣ (٢) سورة النور آية ٣٦ ، ٣٧ (٣) سورة الشورى آية ٣
(٤) سورة التوبة آية ٦ (٥) سورة الإسراء آية ١٠٠ (٦) سورة النساء آية ١٧١

/١٩ ب فنهاهم اللّٰه أن يقولوا ذلك ، وليس عدم استلزام شئ لشئ استلزامٌ / لعدم ذلك الشئ حتى يكون التقدير محالا . نعم لو قال الموحِّد : ليس آلهتنا ثلاثة ، لكان قد أحال ؛ لأنه يفيد تقرير المبتدأ على حاله ، ونفيَ الخبر عنه فينافى التوحيد الذى يعتقده ، ولأجل عدم استلزام قوله « ولا تقولوا ثلاثة » ، للتوحيد ، ثنى الكلام بقوله : ﴿ إنما اللّٰه إله واحد ﴾ [١] ولو كان الأمر كما ذكروه ، لكان ذلك تأكيدا ، والأصل التأسيس .

ثم أن التقدير الذى ذكروه يلزم منه زيادة الحذف ، وهو حذف الخبر ومتعلقه ، وحذف المبتدأ أيضا مع عدم القرينة ، وليس له نظير فى كلام العرب ؛ فيجب طرحه .

ثم إن المعاصر [٢] نقل القول المذكور ولم يردّ عليه ، وكم من سكوت يدل على الرضا .

إشارة : ذكر المسند :

الداعى إلى ذكر المسند ، عدمٌ دواعى حذفه المذكورة ، وكون الذكر هو الأصل. ويقوى الداعى ، إما لقصور فهم السامع . أو لتعظيمه ، نحو : زيد خلع عليه الأمير ، أو للتعجب : نحوه : عمرو قاوم الأسد .

أو لكونه اسما ؛ إرادة ثبوته ، ولذلك قال الشاعر [٣] :

لا يَألفُ الدرهَمُ المضروبُ صرتُنا ... لكــنْ يَمُــرُّ عليها وهْوَ منطلِقُ

ولم يقل : ينطلق ؛ ليدل على ثبوت الانطلاق مطلقاً من غير تقييد بزمان .

وإلى كونه فعلاً ؛ إرادة حدوثه ، ولذلك قال الشاعر [٤] :

---

(١) سورة النساء آية ١٧١

(٢) الإيضاح ص ٥٠ ، وبغية الإيضاح ١٧٦/١

(٣) ورد بالأصل : « لا يألف الدرهم الصيّاح صرتنا » ، والدرهم المضروب : المتداول ، والصرة: ما يصر وتوضع فيه الدراهم ، والبيت للنضر بن جؤية بن النضر .
شرح الواحدى على ديوان المتنبى ١٥٧

(٤) عكاظ : سوق من أسواق العرب فى الجاهلية ، عريفهم : من يتولى شئونهم ، ويتوسم : يتطلع ويتفرس . والبيت لطريف بن تميم العنبرى .
(الأصمعيات ٣٩ واللسان مادة عرف) .

أوَ كُلّما وَرَدت عُكاظَ قبيلةٌ بعثوا إلـىّ عريفَهم يتوسَّمُ ؟

يدل (يتوسم) على حدوث التوسم للعريف هناك .

ولكونه ماضيا إرادة زمانه . وكذا كونه مستقبلا أو حالا .

وإلى كونه جملة شرطية تعلق المسند على سبب .

وإلى كونه جملة سببية لكونه مسندا إلى متعلق المسند إليه فى الحقيقة .

وإلى كونه جملة غير سببية تقرر المبتدأ وتؤكده بسبب تكراره ، نحو : أنا ضربت ، وأنت ضربت ، وهو ضرب ، أو زيد ضرب .

وإلى كونه مقيدا ببعض متعلقاته ، وزوال بعض الإبهام اللازم للفعل فى أصل وضعه . أو لكون الغرض من الكلام إفادة النسبة التعلقية لكون المخاطَب جاهلا بها أو متجاهلا .

....

إنْ وإذا

إشارة : يعرض للمسند تعليق على سبب ، فإن كان السبب راجح الوقوع فى اعتقاد المتكلم ، أتى بلفظة (إذا) نحو : إذا أتيتنى أكرمتك ، إذا كنت مرجحا لإتيانه .

وإن كان مشكوكا فيه ، أو مرجوحا ، أتى بلفظه (إنْ) نحو : إن أعطيتنى شكرتك ، إذا كنت شاكا فى عطائه ، أو مرجحا لعدمه ، ولذلك يقال : إذا طلعتْ الشمس فإننى ، ولا يقال : إن طلعت .

ولما قلناه من وضع (إذا) ، يستعمل معه / غالبا لفظ الماضى . /٢٠ أ

ولكون (إن) موضوعة لما قلناه ، تستعمل فى النادر ؛ لأن وقوع النادر غير راجح ، ولذلك قال تعالى : ﴿ فإذَا جاءَتْهُمُ الحَسنةُ قالُوا لنَا هَذه ، وإنْ تُصبْهُمْ سيئة يطَّيَّروا بموسى ومَنْ معه ﴾ [1] فإن وقوع الحسنة راجح ، ووقوع السيئة

(١) سورة الأعراف آية ١٣١

مرجوح ؛ لكونه نادرا ، وهذا يطابق قول الحكماء : إن الخير غالب فى عالم الكون ، والفساد والشر أقل منه .

وأما قوله تعالى : ﴿ وإذا مسَّهُ الشَّرُّ فذو دُعَاءٍ عَريض ﴾ (١) بعد قوله : ﴿ وإذا أنْعمْنا على الإنسان أعرضَ ونأىَ بجانبه ﴾ (٢) فلا ينافى ما ذكرناه ؛ لأن مسّ الشر ليس لنوع الإنسان ليلزم أن يكون غير راجح ، وينافى وضع إذا ، بل للانسان المعرِض المتكبر الذى تقدم ذكره ، المستحق للابتلاء بالشر ، فيكون راجح الوقوع .

وقد أصاب الزمخشرى (٣) فى تعليله ، وغلط عبد الرحمن بن حسان (٤) فى هجو مَن امتنع عن قضاء حاجاته (٥) بقوله :

ذُممتَ ولم تُحْمَدْ ، وأدركْتُ حاجتى	تولىَّ سِواكم أجْـرَهَا واصطناعَها
أبَـى لـى كسبَ الحمد رأىٌ مُقصِّرٌ	ونَفْسٌ أضاق اللّه بالخيــر باعَها
إذا هــى حثّتهُ علــى الخيــر مرةً	عصاها ، وإنْ همَّت بشر أطاعَها

وقد يتجاهل المتكلم فيستعمل (إنْ) فى مقام القطع :

إما لإنكار المخاطب القطع ، كقولك لمن ينكر عليك ركوب الأمير : إن لم يركب فأين فرسه وغلامه ؟

أو لعدم جريه على موجب عمله ، كقولك لمن يؤذى أباه : إن كان أباك فلا تؤذه .

....

(١) سورة فصلت آية ٥١ (٢) سورة فصلت آية ٥١

(٣) الكشاف ١٦١/٤

(٤) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وأمه أخت مارية أم إبراهيم ابن الرسول عليه السلام . (الشعر والشعراء ٣٠٧ ط دار المعارف) .

(٥) جاء فى الأصل : « وقد غلط وأصاب فى تعليله الزمخشرى عبد الرحمن بن حسان فى هجو من امتنع عن قضاء حاجاته » . واصطناع الحاجة : أداء المعروف بقضائها ، وضيق الباع كناية عن العجز والبخل ، والشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت كما فى أمالى القالى ٢٢١/٢

التغليب

إشارة : من عوارض المسند : التغليب : وهو إذا جُمع الشريف وغير الشريف فى حكم واحد ، جعلت العبارة للشريف .

كما إذا جمع المذكر والمؤنث فيه ، عبَّر بعبارة التذكير ، كأكثر أوامر القرآن ونواهيه مثل : ﴿ وأقيمُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ ﴾ [1] ﴿ ولا تُسْرِفُوا ﴾ [2] ﴿ فلا تُزكّوا ﴾ [3] وأمثاله ، وكقوله تعالى : ﴿ وكانتْ من القانتين ﴾ [4] ولم يقل : من القانتات .

وكما إذا جمع المخاطب والغائب فيه ، عبَّر بعبارة الخطاب ، كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناسُ اعبدُوا ربَّكمُ الذى خلقكمْ والذين من قبلكم لعلكمْ تَتَّقُون ﴾ [5] .

وإذا جمع بين العقلاء وغيرهم فيه ، عبَّر بعبارة العقلاء ، كقوله تعالى : ﴿ جَعل لكُمْ مِنْ أنفُسِكُمْ أزْوَاجًا ومنَ الأنْعَام أزواجا يَذْرَؤُكُمْ فيه ﴾ [6] قال : يذرؤكم ، أى يبثكم ، ولم يقل : يذرؤها .

وقد يُغَلَّبَ من وجهين ، كقوله : / ﴿ لنخرجنَّك يا شعيبُ والذين آمنوا معكَ من قريتنا أو لتعودُنَّ فى ملّتنا ﴾ [7] غلَّب جانب الخطاب بقوله : لتعودن بالتاء ، لجانب الكثرة بإطلاق العَوْد على شعيب ؛ لأنه عليه السلام لم يكن فى ملتهم قط حتى يعود إليها ، وإنما فعل ذلك ؛ لكون الذين آمنوا من قومهم أكثر من شعيب . ‏٢٠/ ب

وإطلاق اسم أكثر أجزاء الشئ على ذلك الشئ من باب التغليب ، كتسمية الثور أبيض ، وإن كان فيه شعرات سود .

وقد يُعتبر فى التغليب جانب اللفظ دون المعنى ، كقولهم : العُمَران ، لأبى بكر وعمر ، لكون عمر مفردا ، وهو أشرف من المركب ، وقولهم : القمران ، للشمس والقمر لكونه مذكراً فى اللفظ مع أنه أخف على اللسان .

* * *

---

(١) سورة البقرة آية ٤٣

(٢) ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ سورة الأعراف آية ٣١

(٣) ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ سورة النجم آية ٣٢

(٤) سورة التحريم آية ١٢

(٥) سورة البقرة آية ٢١

(٦) سورة الشورى آية ١١

(٧) سورة الأعراف آية ٨٨

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى

إشارة : من عوارض الفعل المسند أن يصرف عن زمانه :

إما بآلة : كحرف الشرط ، نحو : إن أعطيتنى شكرتك ؛ تعويلا على حرف الشرط ، وتنبيها على وجوب السبب عند وقوع سببه ، وأما السبب فللمجانسة.

وإما بغير آلة : كما عبر عن المستقبل بلفظ الماضى تنزيلا لما هو متحقق الوقوع كالواقع ، كقوله تعالى : ﴿ ونُفِخ فى الصور فَصعق مَنْ فى السموات ومَن فى الأرض ﴾ [1] وقوله : ﴿ ويومَ تُسَيَّر الجبالُ وترى الأرض بارزةً وحشرْناهم ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ ونادَى أصحابُ الأعراف ﴾ [3] ومنه ما روى أن عبد الرحمن بن حسان لسعه زنبور وهو طفل ، فجاء إلى أبيه يبكى ، فقال له : ما لك يا بنى ؟ قال : لسعنى طُويّر كأنه ملتفٌ فى بردَىْ حَبرة [4] ، فضمه إلى صدره ، وقال : يا بنى ، قد قلتَ الشعر ، أراد : تحقق عندى أنك ستشعر بكلامك هذا .

وكما يعبر عن الماضى بلفظ الحال ، استحضاراً للحال الماضية للمخاطب كقوله تعالى : ﴿ واللّهُ الذى أرسل الرياح فَتُثيرُ سحاباً فسقناه إلى بلدٍ ميّتٍ فأحْيَيْنا به الأرضَ بعدَ مَوْتها ﴾ [5] قال : فتثير ولم يقل : فأثارت ؛ استحضارا لتلك الصورة القاهرة . ومنه قول تأبط شرا [6] :

ألا مَــنْ مُبلــغٌ فِتيــان فَهْم ... بما لاقَيْتُ عنــد رحــا بِطانِ

بأنــى قـد لقيتُ الغُولَ تهوى ... بسَهْب كالصحيفة صَحْصحان

فقلت لها : كلانا نِضْوُ أرض ... أخــو سفـر فخلّى لى مكانى

---

(١) سورة الزمر آية ٦٨ (٢) سورة الكهف آية ٤٧ (٣) سورة الأعراف آية ٤٨

(٤) حسان بن ثابت شاعر الرسول ، طوير : طائر صغير ، البرد : الثوب المزركش ، والحبرة : ثوب يمنى . (٥) سورة فاطر آية ٩

(٦) من الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى اسمه ثابت بن جابر ، وفهم قبيلة الشاعر ، رحا بطان : اسم مكان ، السهب والصحصحان : ما استوى من الأرض ، النضو : الهزيل ، الجران : مقدم عنق البعير من المذبح إلى المنحر . ديوانه ٢٢٢ ط ١ .

فشدّتْ شدة نحوى ، فأهوتْ | لها كفـــى بمصقـــول يمانى
فـأضربُها بلا دهشٍ ، فخرَّتْ | صـــريعاً لليـــدين وللجـــرانِ

قال : أضربها بلفظ الحال ، ليصور لأصحابه الحال المهولة التى تشجع فيها

وهم وتنبيه :

حكم أئمة النحو بأن كلمة (لم) قالبة للمستقبل / إلى الماضى ، ٢١/ أ
عكس كلمة (إن) نحو : لم يضرب زيد .

وهو وَهْمٌ ؛ لأن المضارع مشترك بين الحال والاستقبال ، وهى دالة هنا بالوضع على زمان الحال ، ومعناه : لم يتجدد وجود الضرب فى الحال ، واستفادة عدمه فى الماضى بالعمل ، لا بالوضع ، وذكر الأزمنة المعينة معها ، نحو : لم يضرب أمس أو يوم الجمعة ، لتعين الزمان المطلق بالماضى الذى هو مدلول العقل .

تنكير المسند

إشارة : تنكير الخبر إما لعدم إرادة فائدة زائدة على الخبرية كالعهد والحصر نحو : زيد كاتب ، وعمرو شاعر .

ومنه ما كان البُعدُ سبباً له نحو : الصدق نجاء .

أو يكون المخاطب مأموراً بأن يصف المبتدأ به نحو : الخير عادة والشر لجاجة .

وإما لإرادة كماله ، لا أصل الخبر ، وذلك إذا عَلم المخاطبُ أصل الخبر دون كماله ، نحو : زيد كامل .

أو لقصد المبالغة إذا كثر صدوره من المبتدأ نحو : زيد عدل .

ويمكن أن يوجه قوله تعالى : ﴿ هُدًى للمتقينَ ﴾ [١] على أحد هذين الأمرين ، أي : هدى كامل ، أو هو نفس هدى ، لكثرته .

وتخصيصه بالإضافة أو الوصف لتكميل فائدته بالامتياز نحو : زيد غلام رجل ، أو غلام جيد .

* * *

(١) سورة البقرة آية ٢

تعريف المسند

وتعريفه بالإضافة ، لتكميل فائدته من جهة معينة .

وتعريفه باللام ، إما للعهد نحو : زيد المنطلق ، أو الأمير ، إذا كان المخاطب عالماً بوجود منطلق ، أو أمير غير معين ، ويريد إفادة معينة .

أو للقصر : إذا ظن المخاطب أو توهم أن المنطلق غير زيد وتريد الرد عليه ، تقول : زيد المنطلق أو الأمير ، أى : لا غير زيد .

ويجوز أن يراد بالقصر ، قصر الكمال ، لا أصل الخبر ، نحو : زيد الشجاع أى لا شجاع كاملا غيره .

ويجوز أن يكون قصر الخبر مقيّدا بزمان نحو : زيد الوفى حين لا تظن نفسٌ بنفس خيرا .

أو مقيدا بصفة نحو قول الشاعر (١) :

هو الواهبُ المائةَ المصطفا ةَ ، إما مخاضاً وإما عشارا

وعلى تقدير إرادة العهد أو القصر ، بتعيينه قصر الجنس وقصر الكمال لا يجوز العطف بالواو ، لا يقال : زيد المنطلق وعمرو ، ولا زيد الأمير وخالد ، ولا بكر الشجاع ومحمد .

وإذا لم يكن سبباً للعهد والقصر ، لم يفد الكلام غير تعيين أصل الخبر ، كقول الشاعر (٢) :

---

(١) المخاض : النوق الحوامل ، والعشار : النوق الحديثة العهد بالولادة كالنفساء من النساء ، أو التى أوشكت على الولادة . والبيت للأعشى ميمون بن قيس من قصيدة يمدح فيها قيس بن معديكرب مطلعها :

أأزمعت من آل ليلى ابتكاراً ؟ وشطَّت على ذى هوى أن تزارا

(ديوانه ص ٨٤)

(٢) البيت لتماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء الشاعرة الشهيرة برثاء أخيها صخر من قصيدة مطلعها :

ألا يا صخـر إن أبكيتَ عينى لقـــد أضحكتنــى دهراً طويلاً

(الديوان ص ١١٩ ط بيروت)

إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيلٍ　　　رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلاً

وهم وتنبيه :

/ علل المعاصر [١] تعريف المسند باللام بما صار خلاصته :　　　/٢١ ب

أنه يجوز أن يكون لذات واحدة صفتان ، كالأخوّة وكونه مسمى بزيد ، فإذا علم المخاطب اتصافها بأحديهما دون الأخرى ، جعلها المتكلم باعتبار الصفة المعلومة مسنداً إليه ، وباعتبار المجهولة مسندا ، فتقول : زيد أخوك ، إذا كانت صفة الأخوة المجهولة فقط ، وأخوك زيد ، إذا كان بالعكس .

وكذلك إذا كانت الصفتان معلومتين ، لكن إسناد إحديهما إلى الذات مجهولا دون إسناد الأخرى ، فتجعل الصفة المجهولة الإسناد مسندا إلى الأخرى كما أنه علم أن له أخا ، وعلم أن فى الوجود رجلا منطلقا فى الجملة ، ولم يعلم أن المنطلق هو أخوه ، فيخاطب بأخوك المنطلق .

قلت : هذا كلام صحيح ، لكن لا يصلح أن يكون تعليلا لما قصده من كون الخبر معرفة ، لأنه لو قال المتكلم بدل قوله : زيد أخوك ، زيد أخ لك ، لحصل مقصوده ، فعدوله إلى التعريف يحتاج إلى تعليل غير ما ذكره . نعم يصلح أن يكون تعليلا لكون المعرفة خبرا ، وبينهما فرق لا يخفى على الفَطِنِ [٢] .

الإخبار بالجملة

اشارة : إذا أريد الإخبار بالجملة ، فإن أريد الحدوث ، أتى بالجملة الفعلية وإن أريد الثبوت ، أتى بالاسمية ، ويُتفطن ذلك من قوله تعالى : ﴿ وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنّا ، وإذا خَلَوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكمْ ﴾ [٣] حيث قالوا أولا : (آمنا) أى : أحدثنا الإيمان ، وثانيا : (إنا معكم) أى : ثابتون على ما كنا عليه ، ولو قالوا : لم نؤمن ، لدلّ أيضا على الثبوت ؛ لأن عدم حدوث الإيمان يستلزم ثبوتهم على الكفر ، ولكن بالالتزام ، ودلالة المطابقة

---

(١) الإيضاح ٣٨ ، وبغية الإيضاح ١/٢٠٣

(٢) صاحب الفطنة .　　　(٣) سورة البقرة آية ١٤

أقوى ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ سواء عليكم أدعَوْتُموهُم أمْ أنتمْ صامتون ﴾ [1] أى : عن دعائهم .

وقوله : ﴿ أجِئْتَنَا بالحقّ أمْ أنتَ من اللاعبين ﴾ [2] أراد : أحدَّثتَ الحق ، أم ثبتَّ على ما كُنت عليه من اللعب ، ولم يقل : أوَ لم تدعهم أو لم يجئ بالحق . وإن دل أيضا على الثبوت بالالتزام لما قلناه فى الآية الأولى .

والمشهور أن الثبوت أبلغ من الحدوث مطلقا ، لعدم استلزام الحدوث الثبوت ، وله تفصيل نذكره الآن إن شاء الله تعالى .

وهم وتنبيه :

من أمثلة الحكم المذكور قوله تعالى حكاية : ﴿ قالوا : سلاماً قالَ : سلام﴾[3] أى : قالت الملائكة : (سلاما) ، أى : سلمتَ يا إبراهيم سلاما ، أى : سلّمك الله من النقص ، وبلغك غاية الكمال الممكن لك ، وقال إبراهيم : (سلام) / أى : لكم سلام ، أى : السلامة من النقص ثابتة لكم ، أى : أبقى الله كمالكم . ‎/٢٢ أ

وإنما أتوا بالجملة الفعلية ونصبوا سلاما ؛ لأن كمال إبراهيم عليه السلام ، بل كل إنسان حاصل بالتدريج ، لا دفعة واحدة ، وبقدر ما يحصل من الكمال تحصل السلامة من النقص ، فالسلامة تحدث كل آن يعرض فى أثناء حركة الإنسان إلى كماله .

وإنما أتى إبراهيم بالجملة الاسمية ، ورفع « سلام » ؛ لأن كمال النكتة ثابت فى أول فطرتهم غير مندرج شيئاً فشيئاً ، فأى آن يعرض ، كان كمالهم ثابتا فيه، وكذلك السلامة من النقص .

إن قلتَ : إذا كان كمالهم ثابتا ، فالدعاء لهم بثبوته طلب حصول الحاصل ، وهو محال ؟ قلت : حصول الكمال فى الماضى لا ينافى عدمه فى المستقبل ، ففائدة الدعاء بقاء كمالهم .

وأشار المعاصر إلى هذا التعليل نقلاً عن غيره إلا أنى قررته وذيلته كما ينبغى ، وقال : « فيه نظر » [4] ، ولم يفدنا وجهة نظره فيه ، وقال : إنما عدل إبراهيم

---

(١) سورة الأعراف آية ١٩٣

(٢) سورة الأنبياء آية ٥٥

(٣) سورة هود آية ٦٩

(٤) الإيضاح ٦٠ ، وبغية الإيضاح ٢٠٨/١

عليه السلام من النصب إلى الرفع جرياً على قوله تعالى : ﴿ وإذا حُيِّيتُمْ بتحية فحيُّوا بأحْسنَ منها ﴾ (١) .

قلت : أما نظره ، فهو منه كما قيل (٢) :

ومَنْ يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريض ... يجدْ مراً به الماءَ الزلالا

وأما ترجيحه للرفع فهو بالعكس في مثل هذه الصورة . وتحقيقه أن الشئ الذى يصل إلى كماله بالتدريج ، إذا كان كماله مطلوبا ، فإما أن يقع الطلب فى أثناء حركته إلى الكمال ، أو بعد انتهائها إلى الكامل .

فإن كان الأول : فإن طلبَ ثبوته وبقاءه ، انصرف إلى القدرالذى وقعت فيه الحركة ، وإن طلب حدوثه ، انصرف إلى ما بقى إلى العناية .

وإن كان الثانى : فلا يطلب إلا بقاؤه ، إذ لم يبق منه شئ يطلب حدوثه ، فتحية الملائكة لمّا كانت فى أثناء حركة نفس إبراهيم عليه السلام إلى كماله ، وجب أن تكون على الوجه الأبلغ بالحدوث ، لينصرف إلى ما بقى من الحركة إلى غايتها ، ولا يُفهم الحدوث إلا بالجملة الفعلية ، ولذلك نصبوا (سلاما) ، ولو رفعوه انصرف إلى بقاء ما وقعت الحركة من الكمال ، فيكون أدْوَنَ من الأول .

ومصداق ما ذكرناه : أن تحية أهل الجنة بالرفع ، قال تعالى حكايةً : ﴿ سلامٌ عليكمٌ طِبْتُمْ فادْخُلوها خَالدين ﴾ (٣) ، لأنهم وصلوا إلى غاية كمالهم اللائق بهم ولو نصبوه لطلبوا / ما يمنع حصوله . وأما تحية الإنسان بعضهم لبعض ، ‎/٢٢ ب بالرفع ، فعلى سبيل البقاء ، لا كراهة مواجهة المحيًا بنسبته إلى النقص اللازم من طلب حصول الكمال .

وأما التعدية . فعلى تضمينه معنى الإيقاع ، أى : أوقع اللّٰه السلامة عليكم .

والحمد للّٰه الذى هدانى إلى هذا التحقيق الذى لا أظن أحداً سبقنى إليه ، واللّٰه أعلم .

* * *

---

(١) سورة النساء آية ٨٦

(٢) البيت للمتنبى من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار مطلعها :

بقائى شاء ليس هُمُ ارتحالا ... وحسنَ الصبر زموا لا الجِمالا

(ديوانه ٣/٢٢٨)

(٣) سورة الزمر آية ٧٣

تقديم المسند

إشارة : الداعى إلى تأخير المسند ، هو الداعى إلى تقديم المسند إليه ، وقد تقدَّم .

وأما تقديمه ، فإما لتخصيصه بالمسند إليه ، نحو : ﴿ لَكُمْ دينكمْ ولِيَ دين ﴾ (١) وقولهم : قائم هو ، لمن قال : زيد إما قائم أو قاعد ، وقولهم : تميمىٌ هو ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لا فيها غَولٌ ﴾ (٢) أى : اغتيال العقول مختص بخمور الدنيا ، لا بمطلق الخمور .

ولهذه الفائدة ، لم يقل الله تعالى : لا فيه ريب ، بل قال : ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٣) لئلا يلزم ثبوت الريب فى غير القرآن من الكتب المنزلة .

وإما لتنبيه السامع من أول الأمر على أنه خبر لا نعت ، كقوله تعالى : ﴿ ولَكُمْ فى الأرض مُسْتَقَرٌّ ومَتاعٌ إلى حِين ﴾ (٤) وكقول الشاعر :

لــه هِمَــمٌ لا مُنتهَــى لكبارهــا وهِمَّتُه الصغرى أجَلُّ من الدهرِ (٥)

وإما لتشويق السامع إلى المسند إليه لغرابة المسند كقول الشاعر (٦) :

وكالنار الحيــاةُ ، فمــن رمــادٍ أواخِــرُهــا ، وأولُهــا دُخــانُ

وقول الآخر :

ثلاثـــةٌ تُشــرِقُ الدنيا ببهجتها شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ (٧)

وإما لضعف الاعتناء بالمسند إليه ، إذا كان المسند فعلا مع كونه عاملا نحو : قام زيد وضرب عمر .

* * *

---

(١) سورة الكافرون آية ٦ (٢) سورة الصافات آية ٤٧

(٣) سورة البقرة آية ٢ (٤) سورة البقرة آية ٣٦

(٥) الهمة : العزم والإرادة ، والبيت لحسان بن ثابت فى مدح الرسول عليه السلام ، وقيل إنه لبكر بن النطاح يمدح أبا دلف العجلى . (البغية ٢١٢/١)

(٦) البيت لأبى العلاء المعرى من قصيدة مطلعها :

معان من أحبتنا معان تجيب الصاهلات به القيان

سقط الزند ص ٦٤

(٧) البيت مطلع قصيدة لمحمد بن وهيب الحميرى فى مدح أبى إسحاق المعتصم بن هارون الرشيد . تحرير التحبير ١٩١ بغية الإيضاح ٣١٢/١

الركن الرابع
فى متعلقات الفعل

إشارة : الفعل لكونه حادثا ، يحتاج إلى محدِث ، وهو فاعله .

ولكونه عرضا ، يحتاج إلى محل ، ثم المحل يجوز أن يكون هو ذات الفاعل وهو اللازم ، نحو : قام وقعد عمرو . ويجوز أن يكون غيرها ، وهو المتعدى ، وذلك الغير أعم من أن يوجد قبل حلول الفعل به ، نحو : ضربت زيدا ، أو بعد حلوله ، نحو : خلق اللّهَ زيدا أو العالم ، وأعم من أن يكون ذاتا ، كما تقدم . أو نسبةً كالمتعدى إلى اثنين ، نحو : علمت زيدا قائما ، فعلق العلم بنسبة القيام إلى زيد ، وأعطيت زيدا درهما ، فعلق الإعطاءَ بنسبة (درهما) إلى (زيدا) ، وهى نسبة الأخذ ، إلا / أنها لا توجد إلا بعد تعلق الإعطاء . ٢٣/ أ

فتعدية ذاتيته ، كتعلق الخالق بالعالم أو بزيد .

واللازم : إن قصد به النسبة الفاعلية فعبارته : ذهب زيد .

وإن قصد النسبة القابلية فى الاختيارية ، فعبارته : أذْهب زيدا أو ذُهب بزيد وفى الطبيعية كالفاعلية نحو : ظَرُف زيد ، وحُسن .

والمتعدى : إن قصد به النسبة الفاعلية ، فعبارته ضرب زيدا عمرا .

وإن قصد الفاعلية فقط ، فعبارته : ضَرب زيد .

وإن قصد القابلية فقط ، فعبارته : ضُرِب زيد .

وإذا اجتمع نسبتا الفعل والقبول فى القصد ، فلا يقوم الكلام إلا بالفاعلية (١) ؛ لأنها علة للقابلية ، والعلة أقوى .

ولا يجوز أن يكونا مقدمتين لكلام واحد ؛ لأن الكلام مركب واحد ، وكل مركب واحد له صورة واحدة ، وإلا لتعدد المركب . والغرض أنه واحد . والمقصود من ذلك كله هو المفعول به . والتعدّى إلى غيره منسوب إلى العلم .

---

(١) فى الأصل : فلا يقوم الكلام إلا الفاعلية ، وهو سهو .

حذف المفعول به

اشارة : يعرض للمفعول به الحذف ، إما نسياً منسيا ، لانحصار القصد فى النسبة الفاعلية ، أو لعدم إرادة فرد معين من أفراده ، بل أى فرد كان ، فيكتفى باقتضاء الفعل إياه ، وحكم الفعل بوجود المقتضى عند مقتضيه ، كقولهم : فلان يعطى ويمنع ، وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى الذينَ يَعْلَمُون والذين لا يَعْلَمُون ﴾ (١) أو لإرادة فرد معين ، ودلالة القرينة على خصوصيته ، كقول البحترى يمدح المعتز بالله ، ويعرِّض (٢) بالمستعين بالله :

شَجْـــوُ حُسَّـــادِهِ وَغَيْـــظُ عِـــداه ... أن يَرى مُبصرٌ ويَسْمَعَ واعِى (٣)

أى : يراه مبصر ، ويسمع ذكره واعى .

أو لإرادة الإبهام والبيان ؛ لحِكَم تقدمت فى حذف المسند إليه ، وذلك فى مواضع :

(أ) فعل المشيئة إذا لم يكن فى مفعوله غرابة ، كقولك : لو شئت لجئت ، أى : لو شئت المجئ لجئت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين ﴾ (٤) أى : لو شاء الهداية لهداكم ، وقول طرفة :

فإن شئتُ لم تُرْقِلْ ، وإن شئتُ أُرْقلَتْ ... مخـــافةَ ملوىٍّ من القِدِّ مُحصدِ (٥)

---

(١) سورة الزمر آية ٩

(٢) فى الأصل : ويتعرض بالمستعين بالله . والمعتز بالله ابن المتوكل ، والمستعين بالله ابن المعتصم من بنى العباس .

(٣) الشجو : الحزن ، عداه : أعداؤه ، والبيت من قصيدة مطلعها :

لك عهـــد لـــدىّ غيـــر مضيـع ... بات شـــوقى طـــوعاً له ونزاعى

(ديوانه ٢/ ٨٠ ط . هندية)

(٤) سورة الأنعام آية ١٤٩

(٥) لم ترقل : لم تسرع ، ملوى من القد : السوط المفتول ، محصد : محكم الفتل ، والبيت لطرفة بن العبد الشاعر الجاهلى المعروف ، والبيت من معلقته ومطلعها :

لخـــولة أطـــلال ببـــرقـــة ثهمد ... تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

(ديوانه ص ٢٨ ط بيروت)

والبيت مذكور فى الدلائل ص ١٢٧

وإن كان فى المفعول غرابة ، فلا بد من ذكره ، / كقولك : لو شئت أن أردَّ /٢٣ ب على الأمير لرددت ، وعليه قول الشاعر [١] :

ولو شئتُ أنْ أبكى دماً لَبكيْتُهُ   عليه ولكن ساحةُ الصبرِ أوسعُ

(ب) باب تنازع الفعلين ، نحو : ضربت وأكرمت زيدا . وربما ينضم لحذفه سبب آخر ، وهو أن يكون لذكره نوع سوء أدب مع الممدوح ، كقول البحترى [٢] :

قد طَلبْنا فلم نجد لك فى السؤْ   دَدِ والمجـد والمكـــارمِ مِثْـــلا

فإنه لو بدأ بقوله : قد طلبنا مثلا ، لكان فيه ما فيه .

(ج) نحو قول البحترى أيضا [٣] :

وكم ذُدْتَ عنى من تحامُلِ حادثٍ   وسَوْرَةِ أيامٍ حززنَ إلى العَظْمِ

فإنه أبهم الحزّ أولاً ؛ لاحتماله كل المحزوز وبعضه ، واللحم وغيره ، ثم بين بقوله إلى العظم : أنه أراد اللحم كله .

أو يحذف ، لكون ذكره فيه نوع قبح ، كقول عائشة : « ما رأيتُ منه ولا رأى مِنىّ » تعنى : العورة .

أو يحذف ، لأمر لفظى فقط ، كرعاية الفاصلة ، كقوله تعالى : ﴿ والضُّحَى واللَّيلِ إذَا سَجَى ، ماودَّعكَ ربُّك وما قَلى ﴾ [٤] أى : وما قلاك .

---

(١) البيت لأبى يعقوب إسحق بن حسان الخريمى شاعر عباسى من الموالى قاله فى رثاء أبى الهيذام عامر بن عمارة من قصيدة مطلعها :

قضى وطرا منك الحبيت المودّع   وحـلّ الذى لا يستطاع فيدفع

الكامل ٢٥١/١

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها الخليفة المعتز مطلعها :

إن ســير الخليــط حتى استقلا   كان عونا للدمع حتى استهلا

ديوانه ١٦٥٧/٣ والدلائل ص ١٢٩

(٣) ذدت : أبعدت ، التحامل : الشدة ، سورة الأيام : عنفها وضراوتها ، حززن : قطعن ، والبيت من قصيدة يمدح فيها إسماعيل بن بلبل مطلعها :

أعـــن سفه يوم الأبيرق أم حلم   وقوف بربع أو بكاء على رسم

ديوانه ٢٠١٨/٣ والدلائل ص ١٣٢

(٤) سورة الضحى آية ١ - ٣

أو لمجرد الاختصار ، كقولك : أصغيت إليه أى : أذنى ، وأغضيت : أى : أغضيت بصرى .

وهمان وتنبيهان :

زعم السكاكى أن من باب الاختصار [١] قوله تعالى : ﴿ ولمّا ورَد ماءَ مَدْيَنَ وجَد عليه أمّةً من الناس يَسْقُون ووَجد من دونهمْ امرأتين تَذُودَان قال : ما خَطْبكما ؟ قالَتا لا نَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرِعاءُ وأبونا شيخٌ كبير ، فسقَى لهما ﴾ [٢] فإنه تعالى حذف مفعول (يسقون ، وتذودان ، ولا نسقى ، ونسقى لهما) لأجل الاختصار . والحق أنه من باب انحصار القصد فى النسبة الفاعلية كما تقدم ، والاختصار حصل بالعرض ، ويؤيده قول الزمخشرى [٣] إن موسى إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد ، وهم على السقى ، لا لأن مذودهم غنم ومسقيهم إبل مثلاً . كذا المقصود من قوله (لا نسقى) هو السقى ، لا المسقى .

وزعم المعاصر [٤] : أن قوله تعالى : ﴿ قُل ادعُوا اللّه أو ادعُوا الرحمنَ أيًا مّا تدعُوا فلهُ الأسماء الحُسْنى ﴾ [٥] من باب حذف المفعول الأول من ادعوا ؛ لأن الدعاء ههنا بمعنى التسمية ، كما يقال : فلان يدعى الأمير ، أى : يسمّى ، وتقديره : ادعوا ذاته تعالى : اللّه أو الرحمن ، أى : سموا .

قال [٦] : ولا يجوز أن يكون من الدعاء الذى بمعنى النداء ؛ لأنه لو كان بمعناه ، لزم إما الاشتراك ، أو عطف الشئ على نفسه ؛ لأنه إن كان مسمى أحدهما غير مسمى الآخر ، لزم الأول ، وإن كان مسماهما واحدا ، لزم الثانى ، وكلاهما باطل .

قلت : لا نسلّم مجئ الدعاء بمعنى التسمية ، فضلاً عن أن تكون مرادةً هنا ، وقولهم : فلان يُدْعى الأمير ، معناه : ينادى بلفظ الأمير ، وهو يتعدى إلى /المفعول الأول بنفسه ، وإلى الثانى بحرف الجر ، ثم ينصب بنزع الخافض . ٢٤/ أ

---

(١) المفتاح ١٢٣
(٢) سورة القصص آية ٢٣ ، ٢٤
(٣) الكشاف ٣/٣١٥
(٤) الإيضاح ٦٥ ، والبغية ١/٢٢٥
(٥) سورة الإسراء : ١١٠
(٦) الإيضاح ص ٦٥ وبغية الإيضاح ١/٢٢٥

وقوله تعالى : ﴿ ادعوا اللّه ﴾ أى : نادوه باسم اللّه أو باسم الرحمن ، ﴿ وأيّاً ما تدعوا ﴾ ، أى بأى اسم تنادونه ، فله الأسماء الحسنى .

قوله « يلزم عطف الشئ على نفسه ، إن كان معناهما واحدا » .

قلنا : إنما يلزم ذلك أن لو كان عطف المسمى على المسمى ، وأما لو كان عطف الاسم على الاسم ، فلا يلزم لتغايرهما .

إن قال : « يلزم منه حذف الخافض ، والأصل عدمه » .

قلنا : وكذلك إذا كان بمعنى التسمية ، كان معنى - فلان يدعى الأمير - يسمى بالأمير فيكون مشترك الإلزام ، ويترجح كونه بمعنى النداء مطلقاً بأن الأصل عدم الاشتراك .



تقديم المفعول

إشارة : يعرض للمفعول به أن يتقدم على فعله :

إما لكونه أهمَّ : كما أنك إذا منيتَ بهجر حبيبك ، وقيل لك : ما تتمنى ؟ قلت : وجه الحبيب أتمنى . ويحتمل أن يكون هذا أيضا للتخصيص .

أو للردِّ على من زعم أنك ضربتَ مثلاً غير زيد ، فتقول : زيداً ضربت ، أى : مضروبى زيد ، لا غير زيد ، ومساق مثل هذا الكلام عند تحقيق وقوع الفعل وإنكار تعين المفعول ، ولذلك لا يقال بهذا المعنى : ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس ، لمناقضة الأول الثانى .

ولا يقال أيضا : ما زيداً ضربت ولكن أكرمته ؛ لأن الكلام ليس مسوقاً لبيان الخطأ فى الضرب لتردّه إلى الصواب فى الإكرام ؛ بل لبيان الخطأ فى المضروب فترده عنه ، وتقول : ولكن ضربت عمرا .

أو للتخصيص : نحو : زيداً ضربت ، أى : ما ضربت غير زيد ، ومنه : « إيّاك نَعْبدُ » أى : لا نعبد إلا إياك . وإذا اشتغل الفعل بالضمير نحو : زيدا ضربته . فإن قدّر الفعل قبل المنصوب ، فهو من باب التوكيد اللفظى ، وإن قدر بعده نحو : زيداً ضربت ضربته ، أفاد التخصيص كما عرفت .

وحكم الجار والمجرور فى إفادة التقديم التخصيص ، حكمُ المفعول به ، إذا قلت : بزيد مررت ، أفاد ما مررت إلا بزيد ، قال تعالى : ﴿ لإِلَى اللّه تُحْشَرُون ﴾ (1) أى : لا تحشرون إلا إليه . وقوله : ﴿ وبالآخرةِ هُمْ يُوقِنُون ﴾ (2) أى : لا يوقنون إلا بالآخرة عند اللّه ، لا بآخرة أهل الكتاب ، ولفظة (هم) تفيد حصراً آخر أى : لا يؤمن بالآخرة عند اللّه غير المؤمنين .

وقوله : ﴿ لِتَكُونوا شُهداءَ على الناسِ ويكونَ الرسولُ عليكُم شهيداً ﴾ (3) قدم الجار والمجرور الثانى دون الأول ؛ لاختصاص شهادة الرسول بالمؤمنين ، دون شهادة المؤمنين ، فإنها تعم الناس .

---

(1) سورة آل عمران آية ١٥٨ (2) سورة البقرة آية ٤ (3) سورة البقرة آية ١٤٣

وهمان وتنبيهان :

منع ابن الحاجب [1] فى أول شرح المفصل كون تقديم المفعول / يجئ للتخصيص ، /٢٤ ب وجعل التقديم للأهم ، قال : والتمسك بمثل : ﴿ بل اللّه فاعبدْ ﴾ [2] ضعيف ؛ لأنه قد جاء : ﴿ فاعبد اللّه ﴾ [3] ، ﴿ واعبدُوا اللّه ﴾ [4] .

وفيه نظر ؛ لأنه ليس عدمُ إفادة التأخير التخصيصَ إفادةً لعدم التخصيص ليكون سببا لضعف إفادة التقديم التخصيص ؛ لأن السالبة البسيطة لا تستلزم الموجبة المعدولة المحمول ، كما تحقق فى موضعه ، فيكون تأخير المفعول غير مستلزم للتخصيص ولا لعدمه ، فلا ينافى إفادة تقدمه التخصيص .

والحاصل : أنه إن تعلق القصد بعبادة اللّه فقط ، أخّر المفعول .

وإن تعلق بعبادته وعدم عبادة غيره : قدِّم .

وزعم المعاصر : أن قوله تعالى : ﴿ وأرسلناكَ للناسِ رسولاً ﴾ [5] إنما قدِّم الجارَ والمجرور ، ليفيد نفى كونه رسولاً لبعضهم خاصة ؛ لأنه هو المقابل لجميع الناس لا العجم ، ولا غير جنس الناس [6] .

وفيه نظر ؛ لأن العموم مستفاد من اللام الاستغراقية ، لا من التقديم .

إن قال : اللام مشتركة بين النوعية والعهد والاستغراق . وإنما يتعين للاستغراق بالتقديم .

منعناه ؛ لأنه مجرد دعوى ، والحق أنه ليس من باب التقديم ، بل يتعلق الجار والمجرور بأرسلناك ، أى : أرسلناك لتكميل الناس وهدايتهم ، ورسولاً حال عن الكاف ، ولا يلزم من تقييد الإرسال بالناس عدم كونه مرسلا إلى غير الناس من الجن إلا بدليل الخطاب ، وليس بحجة ، فإنه لا يلزم من قولك : قلت لزيد ، عدمُ قولك لعمرو .

---

(١) هو العلامة جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب الكردى ولد بإسنا بالصعيد سنة ٥٧١ هـ ومات بالأسكندرية سنة ٦٤٦ هـ (بغية الوعاة ٢/١٣٤) .

(٢) سورة الزمر آية ٦٦

(٣) سورة الزمر آية ٢

(٤) سورة النساء آية ٣٦

(٥) سورة النساء آية ٧٩

(٦) الإيضاح ٦٧ ونصه : لأنه هو المقابل لجميع الناس ، لا لبعضهم مطلقاً ولا غير جنس الناس .

تقديم متعلقات الفعل

إشارة : يعرض لبعض متعلقات الفعل تقدمٌ على صاحبه :

إما لأصالته ، كتقدم الفاعل على المفعول ، وتقدم المفعول الأول على الثانى فى باب أعطيت .

وإما لكونه أهم من غيره ، نحو : قتل الخارجي فلان ، إذا كان الناس مهتمين بقتله دون تعين قاتله ، وبالعكس إذا كان رجلاً ضعيفاً ، لا نتخيل مِن مثله أن يكون قاتلا ، فقتل كافرا ، فقال : قتل الرجل كافرا . ومن باب تقديم الأهم قوله تعالى : ﴿ ولا تَقْتُلوا أولادكْم من إمْلاَقٍ نحنُ نرزقكْم وايّاهُمْ ﴾ (١) .

وقوله فى موضع آخر : ﴿ ولا تَقْتُلُوا أولادكمْ خَشيةَ إمْلاَقٍ نحن نَرزقهمْ وإياكم ﴾ (٢) قدم المخاطبين فى الأولى على الغائبين لأن الأولى خطاب للفقراء ولذلك قال : (من إملاق) . والثانية : للأغنياء ، ولذلك قال : (خَشْيةَ إمْلاَقٍ) فيكون تقديم المخاطبين فى الأولى أهم بخلاف الثانية .

أو تقدم ؛ لأن فى تأخيره اختلال المعنى المراد ، كقوله تعالى : ﴿ وجَاء رجلٌ من آلِ فرعَون / يَكْتُمُ إيمانَه ﴾ (٣) فإنه لو أخر الجار والمجرور عن يكتم ، أفاد كتمانه الإيمان من آل فرعون ، لا أنه من آل فرعون . ٢٥/ أ

أو لفائدة لفظية : كمراعاة الفاصلة ، نحو : ﴿ فأوْجَسَ فى نفسه خيفَةً موسى ﴾ (٤) .

وهم وتنبيه :

مما جعله السكاكى (٥) من باب تقديم الأهم ، قوله تعالى : ﴿ وجَعلُوا للهِ شركاء ﴾ (٦) بناء على أنهما مفعولا جعلوا .

---

(١) سورة الأنعام آية ٥١

(٢) سورة الإسراء آية ٣١

(٣) سورة غافر آية ٢٨

(٤) سورة طه آية ٦٧

(٥) المفتاح ١٢٨

(٦) سورة الأنعام آية ١٠٠

وأورد عليه المعاصر [1] ما هذه حكايته : أنه ليس كذلك ؛ فإن الآية مسوقة للإنكار التوبيخى ، فيمتنع أن يكون تعلق جعلوا با (لله) منكراً من غير اعتبار تعلقه بشركاء ، إذ لا ينكر أن يكون جعلوا متعلقا به ، فتعين أن يكون إنكار تعلقه به باعتبار تعلقه بشركاء ، فلم يبق فرق بين التلاوة وعكسها . وقد علم بهذا أن كل فعل متعد إلى مفعولين لم يكن الاعتناء بذكر أحدهما إلا باعتبار تعلقه بالآخر ، إذا قدّم أحدهما على الآخر لم يصح تعليل تقديمه بالعناية ، انتهى كلامه .

والتحقيق : أن نسبة الشركاء إلى الله هى المنكَرة ، لكونها ممتنعة ، وعلة هذا الامتناع : وهو مفهوم الله لا مفهوم الشركاء ، لجواز إسناد الشركاء إلى غير الله ، وهو الذى أوجب الاعتناء بالله ، وأوجب الاعتناء تقديمه على شركاء ، وهذا هو مراد السكاكى ، والله أعلم بالصواب .



(1) الإيضاح ٧٠ وبغية الإيضاح ١/٢٣٥ ، ٢٣٦

الركن الخامس
فى القصر

القصر هو : إما قصر الموصوف على صفة ، نحو : ما زيد إلا كاتب ، أو قصر الصفة على الموصوف ، نحو : ما الكاتب إلا زيد ، وما فى الدار غير عمرو .

وفى الأول يجوز أن يشارك الموصوفَ فى الصفة غيرُه ، ولا يجوز أن يتصف بصفة أخرى ، ولذلك لا يتفق صدقه ، لوجوب تعدد أوصاف ذات واحدة . وفى الثانى بالعكس فيهما .

ويجوز فيه أن يراد بالصفة المنفية كمالُها على وجه المبالغة ، فيصدق ، وإن شارك الموصوف غيره فى أصل تلك الصفة ، نحو : ما العالم إلا زيد ، أى : ما العالم الكامل فى العلم غيره ، فيجوز أن يكون عمرو أيضا عالماً فى الجملة .

والقصر فى المحاورات إما : قصر إفراد ، أو قصر قلب ، أو قصر تعيين .

والأول : فى الموصوف نحو : ما زيد إلا عالم .

وفى الصفة نحو :

ما العالم إلا زيد ، يخاطب به من يعتقد أن للموصوف صفةً أخرى ، أو للصفة موصوفاً آخر .

/٢٥ ب والثانى يخاطَب به من يعتقد اتصاف الموصوف بغير تلك / الصفة ، أو اتصاف غير ذلك الموصوف بتلك الصفة .

والثالث : يخاطب به من يتساوى عنده الموصوف المذكور وغيره فى الصفة المذكورة ، أو الصفة المذكورة وغيرها فى ذلك الموصوف .

وشرط الأول : عدم تنافى الوصفين ، حتى يكون المنفى فى قولنا : ما زيد إلا شاعر ، كونه كاتباً أو منجماً ، أو نحو ذلك ، لا كونه مفحما لا يقول الشعر .

وشرط الثانى : تنافيهما حتى يكون المنفى فى قولنا : ما زيد إلا قائم ، كونه قاعدا أو جالسا أو نحو ذلك ، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك .

وشرط الثالث : أعم من ذلك ؛ لأن اعتقاد كون الشئ موصوفاً بأحد أمرين متعينين على الإطلاق ، لا يقتضى جواز اتصافه بهما معاً أو امتناعه ، ونعلم منه أن ما يصلح أن يكون مثالاً لأحد الأولَين ، صح أن يكون مثالاً للثالث .

طرق القصر

إشارة : للقصر طرق :

منها : النفى والاستثناء ، تقول فى قصر الموصوف إفراداً : ما زيد إلا شاعر، وقلباً : ما زيد إلا قائم ، وتعييناً : كقوله تعالى : ﴿ وما أَنْزَلَ الرحمنُ مِن شئٍ إنْ أنتم إلاّ تَكْذِبُون ﴾ [١] . وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين : ما قائم ، أو ما من قائم إلا زيد .

ووجه القصر فى الأول : أن النفى إذا دخل على الاسم الجامد ، توجه إلى نفى أحوال الذات ؛ لأن الذات من حيث هى ذات لا يصح نفيها ، وتعمّ ؛ لأن النكرة فى سياق النفى ، ثبت فى أصول الفقه عمومها ، وإذا تعقب بإلاّ أو أخواتها المفيدة للإخراج ، خرج المذكور بعدها من الأحوال المنفية ، فجاء القصر .

ووجه القصر فى الثانى :

أن النفى إذا أدخل على المشتق توجه إلى نفى موصوف بتلك الصفة ، وتعم لما عرفتَ ، فإذا تعقب بإلاّ أو إحدى أخواتها ، خرج المذكور بعدها ، فجاء القصر فى الموصوف .

وأصل هذا الطريق ، أن يكون ما وقع القصر فيه مجهولاً عند المخاطب منكراً له ، كقولك لمن رأى شبحا وأنكر أنه زيد ، ما هو إلا زيد : ومنه قوله تعالى : ﴿ ومَا مِنْ إلهٍ إلاّ اللّهُ ﴾ [٢] .

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول ، كقوله تعالى إفرادا : ﴿ وما محمد إلاّ رسولٌ قد خَلَتْ من قَبله الرُسل ﴾ [٣] فإنه نزل إنكارهم موته منزلة إنكارهم رسالته .

---

(١) سورة يس آية ١٥

(٢) سورة آل عمران آية ٦٢

(٣) سورة آل عمران آية ١٤٤

وكقوله تعالى قلباً حكاية عن بعض الكفار : ﴿ إنْ أنتمْ إلاّ بشرٌ مثلُنا ﴾ (١) أى : أنتم بشر لا رسل ، ونزّلوا المخاطبين منزلة من ينكر أنه بشر ؛ لاعتقاد القائلين أن الرسول لا يكون بشراً ، مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة .

(إنّما)

٢٦/ أ إشارة : من طرق القصر ، القصر بإنما ، كقولك / فى قصر الموصوف على الصفة إفراداً : إنما زيد كاتب ، وقلباً : إنما زيد قائم ، وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين : إنما قائم زيد .

والذى يدل على إفادة « إنما » القصر ، نص أهل العربية عليه ، ويؤيده جواز: إنما يضرب أنا ، ولولا أن معناه : ما يضرب إلا أنا ، لامتنع كما امتنع : يضرب أنا . ويدل على جوازه قول الفرزدق (٢) :

أنا الذائدُ الحامِى الذِّمَار وإنّما يُدافِعُ عنْ أحسابِهم أنا أو مِثلى

ويمكن أيضا الاحتجاج بالبيت من حيث معناه ، وهو أن الشاعر أراد الافتخار، ولا يتم إلا بالقصر ، وإذا كان مرادُه القصرَ فى البيت ، وجب أن يكون ذلك بالوضع ، وإلا لزم المجاز أو الاشتراك ، والأصل عدمهما .

لا يقال : لا بد من التزام أحدهما فيها كقوله تعالى : ﴿ إنما حَرَّم عليكمُ الميتةَ والدمَ ﴾ (٣) وليس التحريم مقصورا فى المذكورين .

وقوله عليه السلام : « إنما الماء من الماء » ومعلوم أنه ليس وجوب استعمال الغُسل مقصوراً فى الإنزال ، لوجوب الغسل بالاجماع على من جامَع وأكسل (٤)

---

(١) سورة إبراهيم آية ١٠

(٢) الذائد : المدافع ، الذمار : ما يجب على الرجل حمايته من عرض ومال .

والبيت من قصيدة مطلعها :

الا استهزأت منى هنيدة أن رأت أسيراً يدانى خطوه حلق الحجل

والشطرة الأولى من البيت كما فى الديوان : « أنا الضامن الراعى عليهم وإنما » ديوانه ١٥٣/٢ والدلائل ص ٢٥٣

(٣) سورة البقرة آية ١٧٣

(٤) أكسل : يكسل بفتح الياء ، معناها : يثقل ، ويكسل بضم الياء ، معناها : تنقطع شهوته عند الجماع قبل أن يصل إلى حاجته ، وهو المراد هنا . (اللسان مادة كسل) .

لأنا نمنع لزومهما ؛ لأن إرادة قصر الحكم فى زمان النبى ، لا يستلزم استمراره بعده ، لجواز تغير الأحكام فى زمانه . وقال بعض الصحابة : « كنا نأخذ بالأحدث فالأحدث » أى : من أحكام الشرع .

وهم وتنبيه :

قال على بن عيسى الربعىّ [١] : الدليل على كون إنما موضوعة للقصر ، أنه لما كانت كلمة (إنّ) موضوعة لتأكيد الإسناد ، ثم اتصلت بها (ما) المؤكدة ناسب أن تضمن معنى القصر ؛ لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد ، فإن قولك : زيد جاء لا عمرو ، لمن يتردد فى المجئ الواقع بينهما [٢] مفيداً إثباته لزيد فى الابتداء صريحا ، وفى الأخير ضمناً .

واستحسن هذا الوجه السكاكى [٣] صريحاً ، والمعاصر [٤] . وإنما هو أضعف من بيت العنكبوت ؛ لأن هذه المقدمات ، أى كون ما فى إنما للتأكيد ، وكون القصر تأكيداً على تأكيد ، وكون « زيد جاء لا عمرو » للقصر ، وأنه يفيد التأكيد ، كلها ممنوعة .

وأقوى منه قول من قال من الأصوليين : أن (إنّ) للإثبات ، و (ما) للنفى ومن المحال تواردهما على شئ واحد ، فتكون إن لإثبات المذكور ، وما لنفى ما عداه ، وهو القصر ، وإن كان أيضا لا يخلو من ضعف ؛ لأنا نمنع كون (ما) هنا للنفى ، وعلى تقدير كونها للنفى نمنع أنه يرجع إلى ما عدا المذكور / لإمكان ٢٦/ ب توارد النفى والإثبات على الحكم المذكور إذا اختل شرط من شرائط التناقض .

التقديم ، و « لا غير »

اشارة : للقصر طريقان آخران :

أحدهما : التقديم ، كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفراداً : شاعر هو لمن يعتقده شاعرا وكاتبا ، وقلباً : قائم هو ، لمن يعتقده قاعدا .

---

(١) إمام من أئمة النحو كان تلميذاً للسيرافى والفارسى توفى سنة ٤٢٠ هـ (نزهة الألبا ص ٢٢٤)

(٢) فى الأصل : لمن يراد فى المجئ الواقع منهما ، وهو تحريف .

(٣) المفتاح ص ١٥٨

(٤) استحسن الخطيب القزوينى رأى السكاكى ضمنا ، لأنه لم يعقب عليه ، بل ردد قول السكاكى : ويذكر لذلك وجه لطيف يسند إلى على بن عيسى الربعى .... الإيضاح ٧٢

وفى قصر الصفة على الموصوف إفراداً قولك : أنا كفيت مُهِمّك ، أى وحدى لمن يعتقد أنه شاركك فيها غيرك . وقلباً : « أنا كفيت مهمّك ، لا غيرى » لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك .

ثانيهما : تعقيب الإثبات بلا غير ، أو ليس غير ، أو ليس إلا ، نحو : جاء زيد لا غير ، أو ليس غير .

والفرق بين الطريقين : أن الثانى يدل على القصر بالنص دون الأول .

وهم وتنبيه :

زعم المعاصر [1] أن من طرق القصر العطف بلا و بل ، كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادا : زيد شاعر لا كاتب ، أو ما زيد كاتباً بل شاعر . وقلباً ، نحو : زيد قائم لا قاعد ، أو ما زيد قاعدا [2] بل قائم .

وفى قصر الصفة على الموصوف إفراداً ، أو قلبا بحسب المقام : زيد قائم لا عمرو ، أو ما عمرو قائم بل زيد .

وهذا ليس بشئ ؛ لأن إثبات صفة لمعين ، ونفيها عن معين آخر ، ليس بقصر، بل القصر هو إثباتها لمعين ، ونفيها عن غير ذلك المعين ، أعم من أن يكون زيدا أو عمرا أو غيرهما ، فهو أعم من الأول ، نعم لو قيل زيد شاعر لا غير ، كان قصراً ، وقد تقدم .

خواص إنما

اشارة : لكون النفى غير مصرح به فى (إنما) جاز أن يجامعها النص عليه - بخلاف (إلا) - إما مع تقديم النفى نحو : ما جاءنى زيد ، وإنما جاءنى عمرو ، أو مع تأخيره كقوله تعالى : ﴿ إنّما أنتَ مُذكّرٌ لستَ عليهِم بمُسَيْطِرٍ ﴾ [3] .

وهل يشترط فى هذه المجامعة ألا يكون الوصف مختصاً بالموصوف ؟

---

(١) الإيضاح ٧٢ وبغية الإيضاح ٢/ ١٠

(٢) فى الأصل : ما زيد قاعد برفع قاعد وهو سهو ، وصحته النصب ، لأنها خبر (ما) التى تعمل عمل ليس .

(٣) سورة الغاشية آية ٢١ ، ٢٢

قال السكاكى [١] : نعم .

وقال عبد القاهر [٢] : لا تَحسُن مجامعته له فى المختص كما تحسن فى غير المختص ، مثال المختص ، قوله تعالى : ﴿ إنما يَسْتَجِيبُ الذين يَسْمَعُون ﴾ [٣] فإن الاستجابة لا تعقل إلا ممن يسمع . وقولهم [٤] : - إنما يعجّل مَنْ يَخْشى الفَوْت - فإن التعجيل مختص بالخاشى .

وأصل ما تستعمل فيه (إنما) أن يكون مما لا ينكره المخاطب ويعلمه ، عكس (إلا) ، نحو : إنما هو أخوك ، إنما هو صاحبك ، قال المتنبى [٥] :

إنّما أنتَ والدٌ ، والأب القا طعُ أحْنَى من واصل الأولاد

فإنه لم يُرِد أن يعرف كافورا بأنه والد أو كالوالد ؛ لأنه معلوم ، وإنما أراد أن يذكره / ذلك ، ليبنى عليه حكماً آخر . ٢٧/ أ

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم ؛ لادعاء المتكلم ظهوره ، كقوله تعالى حكايةً : ﴿ إنما نحنُ مُصْلِحُون ﴾ [٦] ولادّعائهم الظهور ، كذّبهم اللّه تعالى بقوله : ﴿ ألاَ إنّهمْ هُم المُفسِدُون ﴾ [٧] . ومن ذلك قول الشاعر [٨] :

إنما مُصْعَب شهابٌ من اللـــ ـــهِ تجَلّتْ عـــن وجهه الظلماءُ

فإنه ادعى ظهور الحكم المذكور كما هو عادة الشعراء فى صفات يمدحون بها ممدوحهم .

---

(١) المفتاح ص ١٥٩ (٢) المفتاح ص ١٤١

(٣) سورة الأنعام آية ٣٦ (٤) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٥٤

(٥) البيت من قصيدة يمدح فيها كافوراً ومطلعها :

حسم الصلحُ ما اشتهته الأعادى وأذاعتـــه ألســـنُ الحسّـــاد

ديوانه ٢/ ٣٣ . والدلائل ص ٢٥٤

(٦) سورة البقرة آية ١١ (٧) سورة البقرة آية ١٢

(٨) البيت لعبد اللّه بن قيس الرقيات يمدح فيها مصعب بن الزبير بن العوام ويفتخر بقريش من قصيدة مطلعها :

أقفـــرت بعـــد عبد شمس كداء فكـــدى فالركـــن فالبطحاء

والكداء : جبل بمكة وهو عرفة ، والركن : الركن اليمانى ، ركن البيت الحرام ، والبطحاء : بطحاء مكة . ديوانه ص ٩١ ط . بيروت والدلائل ص ٢٥٥

إشارة : لـ « إنما » خاصية أخرى وهى :

أن النفى والإثبات يفهمان منها دفعة واحدة ، بخلاف القصر بإلاّ ، وهذا مما يؤيد قول من قال [*] : إن (ما) فيها للنفى وهذا يتفق وقول النحاة .

وأحسن مواقعها : إذا عُرِّض بها عن أمر آخر ، كقوله تعالى : ﴿ إنما يتَذكَّرُ أولُو الألباب ﴾ [1] عرِّض بها عن نقصان عقول الكفار .

وكذا قوله تعالى : ﴿ إنما أنت مُنْذر مَنْ يَخْشاها ﴾ [2] .

و ﴿ إنّما تُنذرُ الذين يخْشَون ربهم ﴾ [3] يعرِّض بعدم خشية الكفار ، لأنه ليس لهم أذن تسمع ، ولا قلب يعى . وقول الشاعر [4] :

أنا لم أُرزَق محبَّتَها إنّمـا للعبدِ ما رُزِقَا

يعرِّض بأنه لا مطمع له فيها . وقول الآخر [5] :

وإنما يعذرُ العشاقَ مَن عَشِقا

يعرِّض بأن من يعذله معذور ؛ لأنه لم يصبه ما أصابه من العشق وحكمه .

إشارة : كما يكون القصر بين المبتدأ وخبره ، كذا يكون بين الفاعل ومفعوله ، فيقصر الفاعل على مفعوله إفراداً ، أو قلباً بحسب المقام : ما ضرب زيد إلاّ عَمرا . وعلى القلب خاصة ، قوله تعالى : ﴿ ما قلتُ لهمْ إلاّ ما أمرتنى به أنْ اعبدوا اللّهَ ربى وربَّكم ﴾ [6] أراد أنى ما بدلت ما هو لك بغيره ، ولم يرد أنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئا ، ويدل عليه أنه واقع فى جواب قوله تعالى : ﴿ أأنتَ قلتَ للناس اتخذونى وَأُمِّيَ إلهَيْن من دونِ اللّه ﴾ [7] .

وفى قصر المفعول على الفاعل : ما ضرب عمراً إلا زيد .

(*) يقصد المفسرين كقولهم فى قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ﴾ : ما حرم عليكم إلا الميتة (المطول للتفتازانى ص ٢١٢ ط ١٣٣٠ هـ) .

(١) سورة الرعد آية ١٩

(٢) سورة النازعات آية ٤٥

(٣) سورة فاطر آية ١٨

(٤) البيت للعباس بن الأحنف ، شاعر عباسى اشتهر بالغزل . ديوانه ٢١٧ وانظر الدلائل ص٢٧٢

(٥) انظر الدلائل ص ٢٧٢

(٦) سورة المائدة آية ١١٧

(٧) سورة المائدة آية ١١٦

وفى قصر كل واحد منهما على الآخر : ما ضرب الا زيد عمرا ، أى : ما ضرب أحد إلا زيد عمرا ، كذا نص عليه الشيخ عبد القاهر [1] ، وهو فى تقدير كلامين ، ولا محذور فيه كما ظنه المعاصر ، فإنه قال : يلزم على تقدير كلامين أن يكون الحصر فى الفاعل والمفعول معا ، وفيه نظر [2] .

قلت : ليت شعرى ما هذا النظر ؟ وما وجهه ؟ .

وتقول فى قصر المفعول الأول على الثانى : ما كسوتُ زيداً إلا جُبّة ، وما ظننت زيداً إلا منطلقا ، والعكس بالعكس .

وفى قصر ذى الحال على الحال : ما جاء / زيد إلا راكبا ، والعكس بالعكس. /٢٧ ب

وفى قصر المفعول على الجار والمجرور : ما اخترت رفيقا إلا منكم .

ومنه قول الحِمْيرىّ [3] :

لو خُيّــر المِنبــرُ فُـرسانَهُ ما اختار إلا منكمُ فارسا

وفى القصرين معاً تقديم إلا ، نحو : ما كسوت إلا جبة زيدا ، أى : ما كسا أحد شيئا من اللباس إلا زيد كسا جبة ، وكذا فى غيره .

إشارة : وجه الحصر فى الجميع : أن (إلا) موضوعة للإخراج ، والإخراج يقتضى أمراً عاماً يشمل المُخرج وغيره ، وإلا لم يصح إخراج الخاص منه ، فإذا لم يكن العام مذكورا كما فى الاستثناء المفرغ ، فلا بد من تقديره ، ويجب أن يكون مناسباً للمُخْرَج . فإذا قلت : ما جاء إلا زيد ، قدِّر بـ : ما جاء أحد إلا زيد، وإذا قلت : ما كسوت زيدا إلا جبة ، قدر بما كسوت زيدا لباسا إلا جبة ، ولأجل وجوب تقدير أمر عام ، يجب تذكير الفعل فى نحو قولك : ما جاء إلا هند .

---

(١) عبارة الشيخ عبد القاهر : واعلم أنك إذا عمدت إلى الفاعل والمفعول فأخرتها جميعاً إلى ما بعد إلا ، فإن الاختصاص يقع حينئذ فى الذى يلى إلا منها . (الدلائل ٢٦٤ ، ٢٦٩) .

(٢) الإيضاح ص ٧٧ وبغية الإيضاح ٢٧/٢ .

(٣) السيد الحميرى هو إسماعيل بن محمد كان متشيعاً يخاصم الأمويين . والبيت من قصيدة يمدح فيها السفاح . وتوفى عام ١٧٣ هـ (الدلائل ص ٢٦٥ ، الأغانى ٧/ ٢٤٠) .

وأما قراءة أبى جعفر المدنى [١] : « إن كانت إلا صَيْحَةٌ » بالرفع ، وقراءة الحسن [٢] : « فأصبحُوا لا تُرى مساكنُهُم » بالرفع ، فمن الشواذ .

وهم وتنبيه :

ظن كثير من أهل العربية ، منهم المعاصر [٣] أن القصر (بإنما) هو فى الأخير ، بخلاف (إلا) وهو فاسد ، إذ لا فرق بين إلا وإنما فى أن القصر فى الأول بمعنى ، إنما ضرب زيداً عمراً : ما ضرب زيد إلا عمرا ، فزيد فى الصورتين ليس ضاربا إلا لعمرو ، وعمرو يجوز أن يكون مضروبا لغير زيد ، ومعنى إنما ضرب عمرا زيدا : ما ضرب عمرا إلا زيد ، فعمرا فيهما ليس مضروبا إلا لزيد ، وزيد يجوز أن يكون ضاربا لغيره .

ثم قال المعاصر [٤] : ويعلم من كون القصر بإنما فى الثانى ، فائدة الفرق بين قوله تعالى : ﴿ إنما يَخْشى الله من عباده العلماءُ ﴾ [٥] وقولنا : (إنما يخشى العلماء من عباده الله) فإن الأول يقتضى قصر خشية الله على العلماء ، والثانى يقتضى قصر خشية العلماء على الله .

قلت : إذا كان معنى التلاوة : لا يخشى الله من عباده إلا العلماء ، فالله ليس مخشيا لأحد إلا للعلماء ، والعلماء لا يمتنع أن يخشوا غير الله كالظلمة مثلا ، وإذا قدَّم العلماء أفاد : أنهم ليسوا يخشون إلا الله ، والله لا يمتنع أن يكون مخشيا لغيرهم والمعنى على الأول ، فظهر عدم الفرق بين الأداتين فى القصر .

ثم إن الحكم فى أن القصر فى (إنما) فى الأخير مع ما استفيد من الاستقراء أن التقديم يفيد التخصيص ، إذ أنه أهم ، فلا يجتمعان ، والثانى ثابت فينتفى الأول ، والله أعلم بالصواب .



---

(١) سورة يس آية ٢٩ ، وأبو جعفر المدنى هو يزيد القعقاع روى عن أبى هريرة وابن عمر وغيرهما فى خلافة مروان بن محمد . (المعارف ص ٢٣٠) .

(٢) سورة الأحقاف آية ٢٥ .

(٣) الإيضاح ص ٧٧ والبغية ٢/٢٧ .

(٤) الإيضاح ص ٧٧ والبغية ٢/٢٩ .

(٥) فاطر آية ٢٨ .

الركن السادس
فى الإنشاء

إشارة : الإنشاء : كلام لفظه سبب لنسبة غير مسبوق بنسبة أخرى .

وكلام : جنس للخبر والإنشاء .

وقولنا : غير مسبوق بنسبة أخرى ، فصل خرج به الخبر ، فإن الخبر وإن كان لفظه سبباً لنسبة هى صورة الكلام ، لكنها مسبوقة بنسبة أخرى هى حكاية عنها ، فإن تطابقا ، فالخبر صادق ، وإلا فكاذب .

والإنشاء ليس له نسبة أخرى ، فإن المتكلم هو الذى يحدث نسبة هى صورة الكلام ، ولذلك لا يحتمل المطابقة ولا عدمها ؛ لأن المطابقة نسبة ، وكل نسبة لا بد لها من منتسبين سابقين عليها ، وليس فليس .

وقول من قال : إن الإنشاء كلام لا يصح أن يقال إنه صادق أو كاذب ، ضعيف ؛ لأن الصادق والكاذب نوعان للخبر أو صفتان له ، فيكون فى تقدير أن الإنشاء هو الذى لا يصح أن يكون خبرا صادقا أو كاذبا ، وهو تعريف الشئ بما يساويه فى المعرفة والجهالة ، لتساوى النوعين الداخلين فى جنس واحد فى الرتبة ، على أن ذلك ليس بمساو للإنشاء ؛ لأن الإنشاء أيضا يحتمل الصدق والكذب من وجه على ما يأتى تقريره ، وأيضا أنه غير مفيد لحقيقة الإنشاء لمن أرادها .

إشارة : الخبر والإنشاء وإن كانا نوعين متكافئين لا سبق لأحدهما على الآخر فى المعنى ، لكن الخبر فى اللفظ ، والوضع أصل ، والإنشاء طارئ عليه ، وكل طارئ على شئ لا بد له من دلالة ، وتلك الدلالة فى الإنشاء إما لفظية أو معنوية .

واللفظية إما أداة : كحروف النهى والاستفهام والتمنى والترجى والنداء ، أو تغيير الصيغة ، وهو : أمر المخاطب المأخوذ من المضارع على وجه ذكره البصريون .

وفعلا المدح والذم ، كنعم وبئس المنقولين من (فَعِل) بفتح الفاء وكسر العين .

والمعنوية كألفاظ العقود ، كبعت واشتريت ، وزوجت وطلقت ، فإن العلم بعدم وقوع الفعل فى الماضى دلالة على كونها للإنشاء ، ومن هذا القبيل : فعلا التعجب : ما أفعله وأفعِلْ به .

فإن الأول : منقول من الجملة الإسمية على قولى سيبويه [1] والأخفش [2] ، والدلالة عدم استقامة المعنى الخبرى كألفاظ العقود ولزوم صيغة واحدة .

والثانى : منقول من الجملة الأمرية ، وهو مذهب الأخفش واختيار الزمخشرى ، / والدلالة عدم استقامة معنى الأمر ، ولزوم صيغة واحدة للأحوال كلها . ٢٨/ ب

وأما عند سيبويه فهو من قبيل تغيير الصيغة ، إذ أصله عنده : أفعل زيد ، أى : صار ذا فعل ، كألبن ، أى : صار ذا لبن ، ثم غيرت الصيغة إلى أفعل به للدلالة على الإنشاء . وحجته أن نقل الإنشاء إلى إنشاء آخر ، غير معهود فى كلامهم ، بخلاف نقله من الأخبار .

ويمكن أن يجاب بأن الممنوع هو نقل الإنشاء من إنشاء غير منقول من الأخبار ، ومحل النزاع منقول من الأخبار ، فإن الأمر أصله الإخبار ، وكذا لاستبعاد أن تكون صيغة (ما أفعله) منقولة من الاستفهام ؛ لأن الاستفهام أصله الخبر ، وتكون ما : استفهامية ، بمعنى أن تكون استفهاما فى موضع التعجب ، كقوله تعالى [3] : « وما أَدْرَاكَ مَا يومُ الدّين ﴾ [4] وأنه قال : من هو ؟ ولله دَرّه ، أىّ رجل هو ؟ ، ثم كثر الاستعمال حتى خفى الاستفهام وظهر التعجب : وهذا هو مذهب الفراء [5] .

---

(١) هو عمرو بن قنبر فارسى الأصل أعلم الناس بالنحو بعد الخليل توفى سنة ١٦١ هـ مراتب النحويين ٦٥ ، (معجم الأدباء ١١٥/١٦) .

(٢) هو أبو الحسن سعيد بن سعده الأخفش المجاشعى (نفس المرجع ٦٨) .

(٣) فى الأصل : « كقولهم » وهو خطأ ؛ لأنها آية قرآنية .

(٤) سورة الانفطار آية ١٧

(٥) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء عالم نحوى على طريقة الكوفيين ، وأخذ علمه عن الكسائى توفى سنة ٢٠٧ هـ المعارف ص ٢٣٧ .

وهم وتنبيه :

قال ملك الأدباء نجم الدين الاستراباذى ، طاب ثراه ، فى « حِكم الأدباء »:

« فى كون [1] فعلَىْ التعجب وفعلَىْ المدح والذم وكم الخبرية إنشاء ، نظر ، لأن فعلى المدح [2] والذم يحتملان الصدق والكذب باعتبار ما لأجله المدح والذم وإن لم يحتملاه باعتبار نفس المدح والذم ، ولذلك لمّا بُشر أعرابى بمولودة ، وقيل : نِعْمتْ المولودة ، قال : والله ما هى بنعم المولودة [3] .

وكذا فعلا التعجب يحتملان الصدق والكذب ، باعتبار ما لأجله التعجب ، وإن لم يحتملاه باعتبار نفس التعجب .

وكذا كم الخبرية ، تحتملهما باعتبار نفس الخبر ، وإن لم تحتملهما باعتبار التكثير ، وهذا النظر وهم .

أما بناء على تعريفنا المذكور للإنشاء فظاهر ؛ لأن فعل المدح ليس نسبته التى هى صورة اللفظ مسبوقة بنسبة أخرى للمدح ، حتى يكون بين النسبتين المطابقة وعدمها ، ويكون خبراً فيكون إنشاء ، وكذلك نسبة التعجب فى فعلى التعجب التى هى صورتهما ليست مسبوقة بنسبة أخرى للتعجب حتى تعتبر بينهما المطابقة وعدمها ، / ويكون خبراً فيكون انشاء . وكذا كم الخبرية ليست ٢٩/ أ نسبة التكثير التى هى صورة المركب مسبوقة بنسبة التكثير لتعتبر المطابقة بينهما ، ويكون خبراً فيكون إنشاء .

وأما بناء على تعريف الأدباء : أن الإنشاء هو الكلام الذى لا يحتمل الصدق والكذب ، فلأن هذه الأفعال لا تحتملهما باعتبار النسبة التى هى صورة الكلام بل باعتبار ما لأجله تلك النسبة ، أى : الصفات المحمودة والمذمومة فى فعلى المدح والذم ، والصفات الخارجة عن العادة المألوفة فى فعلى التعجب .

---

(١) فى الأصل : يكون فعلى التعجب ، وهو غير مستقيم .

(٢) فى الأصل : لأن فعل المدح يحتمل الصدق والكذب ، وهو غير مستقيم .

(٣) نص الرواية مذكور فى شروح التلخيص ، قال الطيبى فى شرح التبيان : قال الاستراآباذى ... وروى الحكاية ٢/٢٣٥ .

وأصل الخبر فى كم : الخبرية ، وهذا لا يقدح فى كونها إنشاء ، فإنه ما من إنشاء إلا ويحتملهما بوجه ما ، فإن من وضع الاستفهام مثلاً فى غير موضعه يصح أن يكذب اعتباره ، وكذا غيره من أنواع الإنشاء .

أدوات الاستفهام

إشارة : أداة الاستفهام إما حرف ، أو اسم يتضمن معناه .

والحرف : الهمزة ، وهل . فالهمزة بالأصالة ، وهل بالنيابة عنها ، فإنها فى أصل الوضع بمعنى قد ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى على الإنسان ﴾ (١) أى : قد أتى .

إذا قلت : هل قام زيد ؟ أهل قام ، فحذفت الهمزة ، وأقيم هل مقامها ، ولذلك جاء على الأصل نحو : أهل الدار بالغريبين ؟ .

والهمزة إما لطلب التصور نحو : أزيد فى الدار أم عمرو ؟ وعمرو أفى الدار أم فى المسجد ؟ .

أو لطلب التصديق ، نحو أقام زيد ؟ وأزيد قائم ؟

والمسئول بها هو ما يليها ، تقول : أضربت زيدا ؟ إذا كان الشك فى الضرب .

وأأنت ضربت ؟ إذا كان الشك فى الفاعل ، وأزيداً ضربت ؟ إذا كان الشك فى المفعول .

وهل لا تكون إلا لطلب التصديق نحو : هل قام زيد ؟ وهل عمرو قاعد ؟ وامتنع : هل زيد قام أم عمرو (٢) ؟ ، وقبح : هل زيدا ضربت ؟ ؛ لأن التقديم يستدعى حصول التصديق بالفعل ، والشك فيما تقدم علمه .

---

(١) سورة الإنسان آية ١ .

(٢) هذا التركيب ممتنع ؛ لأن ما بعد أم مفرد ، وهذا يفيد أن السائل عالم بالحكم ، عالم بحصول القيام ولكنه يسأل فقط عن تعيين القائم أهو زيد أم عمرو ، أى يسأل عن تعيين المفرد ، ولكن « هل » تأتى للتصديق أى لتفيد إدراك النسبة ، ولا يسأل بها عن تعيين المفرد ، فوجود أم فى هذا التركيب يفيد العكس ، فيحصل التناقض عند الجمع بين هل وأم ، المتصلة ؛ لأن « هل » تأتى لتفيد التصديق وإدراك النسبة بين شيئين ، و « أم » المتصلة تأتى لتفيد تعيين المفرد .

ولم يقبح : هل زيداً ضربته ؟ ؛ لكون الفعل الناصب مقدراً قبله .

وكما تختص بالتصديق ، تختص أيضا بامتناع استعماله فى الحال ، وإذا دخلت على المضارع خصصته بالاستقبال ، لا يقال : هل تضرب زيدا وهو أخوك ؟ كما يقال : أتضرب زيدا وهو أخوك ؟

وهم وتنبيه :

قال المعاصر [١] : « لأجل كون هل لطلب التصديق ، وكونها مخصصة للمضارع بالاستقبال ، لها اختصاص بما كونه زمانيا أظهر ، كالفعل ؛ لأن الفعل لا يكون إلا صفة ، والتصديق حكم بالثبوت أو الانتفاء ، والنفى والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات لا الذوات ، ولهذا كان [٢] قوله تعالى : ﴿ فهلْ أنتمْ شاكرون ﴾ [٣] أدل على طلب الشكر من قولنا : (هل تشكرون) وقولنا : (هل أنتم تشكرون) ؛ لأن إبراز ما سيتجدد فى معرض الثابت ، أدل على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله . وكذا قولنا (أفأنتم شاكرون) وإن كانت صيغته للثبوت ؛ لأن « هل » أدعى للفعل من الهمزة ، فتركه معها [٤] أدل على كمال العناية بحصوله ، ولهذا لا يحسن (هل زيد منطلق) إلا من البليغ » . هذه ألفاظه .

وفيه نظر ؛ لأن اختصاص هل بلفظ زمانى مسلّم ، لكن كون علة هذا الحكم كونه لطلب التصديق ، ولتخصيص المضارع بالاستقبال ممنوع ؛ لأن التصديق غير مستلزم للفعل ، وكونها مخصصة للمضارع بالاستقبال أيضاً غير مستلزم لذلك ، وإنما يستلزم أن لو كانت مختصة بالمضارع أو بالفعل ، لكن ليس ، فليس ، على أن ذلك مصادرة على المطلوب قوله ، ولهذا كان قوله تعالى : ﴿ فهل أنتم شاكرون ﴾ إلى آخره الحكم فيه مسلم ، لكن كونه معللا بما ذكره ممنوع ؛ لأن العلة لكون (شاكرون) أدل على طلب الشكر من (يشكرون) أن

---

(١) الإيضاح ٧٩ ، والبغية ٣٧/٢ .

(٢) فى الأصل : ولهذا قال ، وهو تحريف .

(٣) سورة الأنبياء آية ٨٠ « فهل أنتم شاكرون » .

(٤) فى الأصل : فتركه معه ، والصواب ما أثبتناه .

الاسم موضوع للثبوت ، والفعل للحدوث ، والمطلوب هو ثبوت الشكر ، لا الحدوث الخالى من الثبوت .

فالحق - إذن - أن « الهمزة وهل » كلاهما لطلب فهم حدوث أمر ما ، وجوداً كان أو عدما ، والحدوث مختص بالفعل أو ما فيه معناه ، ولذلك اقتضى الفعل .

وأما أنَّ « هل » أدعى له من الهمزة ؛ فلأن هل أصلها قد ، وقد من خواص الأفعال ، وإنما جاز العدول إلى الاسم نظراً إلى كونها واقعة موقع الهمزة ، والهمزة لا تختص بالفعل ، بل هى أولى به .

إشارة : « هل » إما بسيطة أو مركّبة .

والبسيطة : ما يطلب بها وجود شئ ، نحو : هل الحركة موجودة ؟

والمركبة : ما يطلب بها وجود شئ لشئ آخر ، نحو : هل الحركة سريعة ؟

وما يطلبه إما مسمّى الاسم [1] نحو : ما العنقاء ؟

أو الماهية نحو : ما الحركة ؟

وجواب الأول مسمى الاسم ، وجواب الثانى الماهية .

وللأول يتقدم قسمَىْ هل .

وللثانى [2] تتقدم هل المركبة دون البسيطة ، إذ البسيطة واقعة بين قسمى « ما » ، هذا إذا كان المسئول عنه / له ماهية معلومة . ٣٠/ أ

وأما إذا لم تكن له ماهية ، أو كانت ، لكن تكون مجهولة ، كالبارى عزّ اسمه ، فجواب « ما » هو حينئذ أظهر أوصافه ، فإن لم يكتف به السائل له ، فأظهر منه ، ولذلك لما قال فرعون لموسى : ﴿ ومَا رَبُّ العَالَمين ؟ قال : ربُّ السموات والأرضِ وما بَيْنَهما ﴾ [3] فأجاب بصفة أظهر من كونه رب العالمين ، لدخول عالم الأرواح فى الأول دون الثانى وجوباً ، وعالم الأرواح فى غاية البعد

---

(١) فى الأصل : وأما « ما » فإما يطلبه مزج الاسم نحو : ما العنقاء ؟ وهو كلام غير مستقيم وأثبتنا ما يتمشى مع النص والمفهوم من السياق .

(٢) فى الأصل : والثانى .

(٣) سورة الشعراء آية ٢٣

من الحس ، ولما لم يكتف فرعون بهذا الجواب ، عدل إلى ما هو أظهر منه عند الحس بقوله : ﴿ ربُّكُمْ وَربُّ آبائِكُم الأولين ﴾ (١) ولما لم يكتف لجهله ، عدل إلى ما هو أظهر عند الحس ، وهو قوله : ﴿ ربّ المشْرقِ والمغرب وما بينَهما ﴾ (٢) ثم قطع الجواب .

ونسبهم إلى الجهل بقوله : ﴿ إن كنتمْ تعقِلون ﴾ (٣) .

وهم وتنبيه :

قال السكاكى : يسأل بـ « ما » عن الجنس ، نحو : ما عندك ؟ أى : أىّ أجناس الأشياء عندك ؟ وجوابه : إنسان أو فرس أو نحو ذلك (٤) .

وعن الوصف ، نحو : ما زيد ؟ وما عمرو ؟ وجوابه : الكريم أو الفاضل ونحوهما .

وسؤال فرعون بقوله : ﴿ وما رَبُّ العالَمينَ ﴾ يجوز أن يكون عن الجنس ، أى : أىّ أجناس الأجسام هو ؟ وذلك لجهله باللّه تعالى ، ويجوز أن يكون عن الوصف ، لطمعه فى أن يسلك موسى معه فى الجواب مسلك الحاضرين لو كانوا هم المسئولين لشهرته بينهم برب العالمين ، وعلى التقديرين ، لما لم يطابق جواب موسى أولاً بقوله : ﴿ رَبُّ السموات والأرضِ وما بَينَهُما ﴾ . وثانياً بقوله : ﴿ ربُّكُمْ ورَبُّ آبائِكم الأوَّلِين ﴾ (*) تعجَّب فرعون وعجَّب الحاضرين (٥) بقوله أولاً : ﴿ ألاَ تَستمعون ؟ ﴾ وجنَّنه ثانياً بقوله : ﴿ إنّ رسولَكُمْ الذى أُرسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُون ﴾ (٦) هذا حاصل كلام السكاكى ، ونقله المعاصر (٧) وأعرض عن الاعتراض عليه .

ولى فيه نظر ؛ لأن المحققين منعوا أن يُسأل بـ « ما » عن الوصف ، بل إما : عن مسمى اللفظ أو عن الماهية ، ولا نسلم أن جواب ما زيد ؟ وما عمرو ؟ هو

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٦

(٢) سورة الشعراء آية ٢٨

(٣) سورة الشعراء آية ٢٨

(٤) المفتاح ١٦٧

(*) سورة الشعراء آية ٢٦

(٥) أى جعلهم يتعجبون من كلامه العجيب .

(٦) سورة الشعراء آية ٢٧

(٧) الإيضاح ٨٠ ، والبغية ٣٨/٢ ، ٣٩

الوصف ، بل الماهية ، وهى الإنسان ، وإنما يقع الوصف فى الجواب ، إذا لم يكن للمسئول عنه ماهية معقولة كما تقدم ، أو تقع فى جواب أىّ شئ هو من الأوصاف المختصة الظاهرة ، ولا نسلم أن فرعون سأل عن جنس من الأجناس ، بل لما قال موسى عليه السلام : ﴿ إنَّا رسُول ربِ العالمين ﴾ سأل عن ماهيته لظهور مسمى اللفظ لظنه أن له ماهية ، ولما عدل عن الجواب بالماهية / إلى الجواب بالأوصاف ، تعجب وعجَّب أولاً ، وجنّنه ثانيا ، وهدده ثالثا ، وموسى عليه السلام لما كثر تعنت فرعون فى الجواب ، نسبهم رابعا إلى ضعف العقل والفهم بقوله : ﴿ رَبُّ المشْرِقِ والمغْرِبِ وما بَيْنَهُمَا إنْ كُنتُمْ تَعْقِلُون ﴾ [1] .

٣٠/ ب

وهم وتنبيه :

أدوات الاستفهام من الأسماء المتضمنة معناه : ما ، ومَن ، وأىّ ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنّى ، ومتى ، وأيّان .

أما (ما) فقد تقدم الكلام عليه .

وأما (من) فقال السكاكى [2] : هو موضوع للسؤال عن الجنس من ذوى العلم ، تقول : من جبريل ؟ بمعنى : أبشر هو أم ملك أم جنّى ؟ .

وقال المعاصر [3] : هو موضوع للعارض المشخّص لذى العلم .

وفى القولين نظر . أما الأول ، فلأن الموضوع للسؤال عن تعين الجنس هو لفظة (ما) ، ولذلك يقع فى الجواب جنس معين مثل الإنسان أو الفرس ، و (مَن) موضوع للسؤال عن تعين شخص من ذوى العقول ، ولذلك لا يقع فى الجواب غير شخص من العقلاء إذا قيل : من هو ؟ فيجاب بنحو زيد أو عمرو ، ولا نسلم جواز : من جبريل ؟ بل يقال : ما جبريل ؟ أى : أىّ جنس هو ؟ فيقال فى الجواب : إنه مَلك صفته كذا وكذا .

وأما الثانى : فلأن (مَن) يختص بالسؤال عمن يوصف بالعقل ، وبين العقل والعلم فرق : فإن البارى يوصَف بالعلم لا بالعقل ، ولا يطلق عليه لفظة (من)

(١) سورة الشعراء آية ٢٨ (٢) المفتاح ١٦٨

(٣) الإيضاح ص ٨٠ ، وبغية الإيضاح ٢/ ٤١

موصولة كانت أو استفهامية ، ولذلك قال تعالى : ﴿ والسماءِ ومَا بنَاها ، والأرضِ وما طَحاهَا ﴾ ؟ [1] ولم يقل : ومن بناها ، وإنما قال فرعون : ﴿ منْ ربكما ﴾ فى خطابه موسى وهارون ؛ لجهله بالله تعالى واعتقاده أنه هو الرب ، وأنه من ذوى العقول .

إشارة : وأى : سؤال عن العدد المميز لشئ عما يشاركه فى أمر : ذاتيا كان أو عرَضيا ، قال تعالى : ﴿ أىُّ الفريقَينِ خَيْرٌ مَقَاما ؟ ﴾ [2] أى : نحن أم أصحاب محمد ؟ وقال : ﴿ أيّكم يأتينى بعرشِها ؟ ﴾ [3] أى شخص من أشخاص البشر أو الجنّ .

وكم : سؤال عن العدد : قال تعالى : ﴿ سَلْ بنى إسرائيل كَمْ آتيناهُم من آية بَيّنةٍ ؟ ﴾ [4] وقال : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ؟ ﴾ [5] أى : كم يوماً أو كم ساعة ؟ .

وكيف : سؤال عن الحال : تقول : كيف زيد ؟ أى : فى أى حال هو من الصحة والمرض ، والسرور والحزن ؟ وأمثال ذلك من الأحوال ، وجوابه : صحيح أو مريض وما شاكل ذلك .

وأنىّ : بمعنى كيف ، قال تعالى : / ﴿ فأتوا حَرْثَكُمْ أنّى شئتُمْ ﴾ [6] أى : كيف شئتم ، وبمعنى من أين ، قال تعالى : ﴿ أنىّ لكِ هذا ؟ ﴾ [7] أى : من أين لك ؟ . ٣١/ أ

ومتى وأيان : للسؤال عن الزمان ، نحو ، متى القتال ؟ وأيّان اللقاء ؟ فيجاب بنحو : يوم الجمعة .

إشارة : هذه الأدوات تستعمل أيضا فى غير الاستفهام :

كالاستبطاء : نحو : كم دعوتك ! قال تعالى : ﴿ حتى يقَولَ الرسولُ والذين آمنوا مَعهُ متى نَصرُ اللهِ ﴾ [8] .

---

(1) سورة الشمس آية ٥ ، ٦

(2) سورة مريم آية ٧٣

(3) سورة النمل آية ٣٨

(4) سورة البقرة آية ٢١١

(5) سورة الكهف آية ١٩

(6) سورة البقرة آية ٢٢٣

(7) سورة آل عمران آية ٣٧

(8) سورة البقرة آية ٢١٤

والتعجب ، نحو : ﴿ ما لِيَ لا أرىَ الهدْهدَ ﴾ [1] .

والتنبيه على الضلال ، نحو : ﴿ فأينَ تَذْهَبُون ؟ ﴾ [2] .

والوعيد نحو : ﴿ ألم نُهْلِك الأوَّلينْ ؟ ﴾ [3] .

والأمر نحو : ﴿ فهل أنتْم مُسْلمون ؟ ﴾ [4] و ﴿ فهل من مُدَّكِر ﴾ [5] .

والتقرير : ويشترط فى الهمزة أن يليها المقرر ، نحو : ﴿ أأنت فَعَلْتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ ﴾ [6] ولم يقولوا ذلك وهم يريدون أن يقرَّ لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه كان ، ولذلك قال فى الجواب : « بل فعلهُ كبيرهُم » ولو كان لتقرير الفعل ، لأجاب : فعلت أو لم أفعل ، كذا قاله عبد القاهر [7] والسكاكى [8] .

ونظر فيه المعاصر [9] وأصاب ؛ لاحتمال أن تكون الهمزة فيها على الأصل وهو الاستفهام ، لعدم العلم بأنهم كانوا عالمين بأن إبراهيم هو الفاعل .

ومن معانيها الإنكار ، إما : للتوبيخ بمعنى : ينبغى ألا يكون ، نحو : أعصيتَ ربك ؟ أى : لا تعصه ، وأتنسى قديم إحسان فلان ؟ ، أى : لا تنسه .

أو للتكذيب بمعنى : لم يكن ، كقوله تعالى : ﴿ أفأصفاكُمْ ربُّكُمْ بالبنين ؟ ﴾ [10] وقوله : ﴿ اصطفى البنات على البنين ؟ ﴾ [11] ، أو بمعنى ، لا يكون ، كقوله تعالى : ﴿ أنلزِمُكمُوها وأنتم لها كارهون ؟ ﴾ [12] وقول امرئ القيس [13] :

أيقتلنـــى والمشرفـــىُّ مُضاجعى ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال ؟

---

(1) سورة النمل آية ٢٠

(2) سورة التكوير آية ٢٦

(3) سورة المرسلات آية ١٦

(4) سورة هود آية ١٤

(5) سورة القمر آية ٤٠

(6) سورة الأنبياء آية ٦٢

(7) دلائل الإعجاز ص ٨٩

(8) المفتاح ١٧٠

(9) الإيضاح ص ٨٢ ، والبغية ٢/٤٥

(10) سورة الإسراء آية ٤٠

(11) سورة الصافات آية ١٥٣

(12) سورة هود آية ٢٨

(13) المشرفى : السيف ، مضاجعى : ملازم لى ، والبيت من قصيدة مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

(ديوانه ص ٣٣ والدلائل ص ٩١)

وكما يقع الإنكار على الإثبات ، كذا يقع على النفى ، كقوله تعالى : ﴿ أليسَ اللّهُ بكافٍ عبده ؟ ﴾ (١) وقول جرير (٢) :

ألستمْ خيرَ من ركبَ المطايا　　　وأندىَ العالمينَ بطُونَ راحِ

والمعنى : أن الله كاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطايا ؛ لأن إنكار النفى مستلزم الاعتراف بالثبوت .

وكما يقع الإنكار على معين ، كذا يقع على غير معين ، كقولك : أزيداً ضربت أم عمرا ؟ لمن يدّعى أنه ضرب أحدهما لا واحداً بعينه ، دون غيرهما ، فيفيد إنكار مطلق الفعل ، بعضه تصريح للإنكار ، وبعضه بالغرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قل آلذكَرين حرّم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرْحَامُ الأنثيين ؟ ﴾ (٣) وشرط الإنكار أن يلى المنكر الهمزة كما تقدّم فى التقرير .

وهم وتنبيه :

/ ومن أمثلة الإنكار قوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نُزّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أهمْ يَقسمون رحمةَ ربك ؟ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ أفأنتَ تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ ﴾ (٥) وقوله : ﴿ أفأنت تُسمعُ الصّم أو تَهْدِى العُمْى ؟ ﴾ (٦) . ٣١/ ب

قال السكاكى (٧) : ليست هذه الضمائر المرفوعة فى نية التأخير ؛ لتفيد التخصيص كما قلناه فى نحو : أنا ضربت ، أى : أنا أقسم رحمة ربك لا هم ، والله يقدر على إكراههم على الإيمان لا أنت ، والله يقدر على إسماع الصم لا أنت ، بل هى على ظاهر الابتداء وخبره ، ولا تفيد غير تقوّى الإنكار .

---

(١) سورة الزمر آية ٣٦

(٢) يقال إن هذا أمدح بيت قالته العرب وهو من قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان مطلعها :

أتصحو بل فؤادك غير صاح　　　عشية هَمَّ صحبُك بالرواح

(ديوانه ص ٩٨ ط بيروت والخصائص ٢/٤٦٣)

(٣) سورة الأنعام آية ١٤٣

(٤) سورة الزخرف آية ٣١ ، ٣٢

(٥) سورة يونس آية ٩٩

(٦) سورة الزخرف آية ٤٠

(٧) المفتاح ص ١٧١

وفيه نظر ؛ لأن الفرق بين : أنا ضربت وبين هذه الآيات فى إفادة التخصيص وعدمه [1] مع اتحادهما فى اللفظ تحكم محض ، إذ لا فارق سوى همزة الإنكار التى لا تأثير لها فى ذلك ، وممن ذهب إلى أن تقديم هذه الضمائر لإفادة التخصيص هو الزمخشرى [2] .

وهم وتنبيه :

من أمثلة الإنكار قوله تعالى : ﴿ آللَّهُ أذِنَ لكم ﴾ [3] يفيد إنكار الإذن من الله تعالى ، بل ومن غيره أيضا ؛ لأنه أراد نفى فعل عما جُعل فاعلا له فى الكلام ، ولا فاعل له سواه ، لزم نفيه من أصله .

قال السكاكى [4] : « إيَّاك أن يزول عن خاطرك التفصيل الذى سبق فى نحو : أنا ضربت ، وأنت ضربت ، وهو ضرب ، من احتمال الابتداء واحتمال التقديم ، وتفاوت المعنى فى الوجهين . فلا تحمل قوله تعالى : ﴿ آللّه أذن لكم ﴾ [3] على التقديم ، فليس المراد أن الإذن يُنكَر من اللّه دون غيره ، ولكن احملِه على الابتداء مرادا به حكم الإنكار » .

وقال المعاصر : « فيه نظر [5] ؛ لأنه إن أراد : أن نحو هذا التركيب ، أعنى: ما يكون الاسم الذى يلى الهمزة فيه مظهراً ، لايفيد توجيه الإنكار إلى كونه فاعلاً للفعل الذى بعده ، فهو ممنوع .

وإن أراد : أنه يفيد ذلك إن قدِّر تقديم وتأخير ، وإلا فلا ، على ما ذهب إليه فيما سبق . فهذه الصورة مما منع هو ذلك فيه » .

قلتُ : هذا النظر صدر عنه من غير تأمل ؛ لأن مراد السكاكى لا شئ من الوجهين اللذين ذكرهما ؛ بل أراد أنه ليس المراد التخصيص ، كما فى نحو : أنا ضربت ، على نية التقديم والتأخير ، بل أراد إنكار الإذن من اللّه ، من غير التعرض لثبوت إذن غيره أو لنفيه ، ولفظه صريح فى ذلك / عند التأمل . ٣٢/ أ

---

(١) فى الأصل : وعدمها .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٠

(٣) سورة يونس آية ٥٩ . وانظر الدلائل ص ٩٠

(٤) المفتاح ١٧١ ، والإيضاح ص ٨٣

(٥) الإيضاح ص ٨٣ ، والبغية ص ٢ / ٤٩ .

إشارة : ومما يستعمل صيغة الاستفهام فيه :

التهكم : كقوله تعالى : ﴿ أصلاتُكَ تَأمُرُكَ أن نتركَ ما يعبدُ آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ﴾ (١) .

ومنه التحقير : كقولك : من هذا ؟ وما هذا ؟

ومنه التهويل : كقراءة ابن عباس : ﴿ ولقد نجّيْنا بنى إسرائيل من العذاب المهين ، مَن فرعون ؟ ﴾ (٢) بفتح الميم فى (من) .

ومنه الاستبعاد ، نحو : ﴿ أنىٌّ لهمُ الذكرى وقدْ جاءَهُمْ رسولٌ مُبِين ، ثم تَوَلَّوْا عنه وقالوا مُعَلَّمٌ مجنون ﴾ (٣) .

ومنه التوبيخ والتعجب معاً ، كقوله تعالى : ﴿ كيفَ تَكْفُرون باللّه وكنتمْ أمواتاً فأحياكم ثُمَّ يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجَعون ﴾ (٤) يتعجب من كفرهم ، وهم عالمون بالقصة (٥) المذكورة ، فإن العلم بها صارف عن الكفر ، ووقوع الفعل مع الصارف توجب التعجب ، وتوبخ على انهماكهم فى الغفلة والجهالة . ومثله قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناسَ بالبِرّ وتنسْون أنفسكم وأنتم تتْلون الكتاب ﴾ (٦) .

* * *

(١) سورة هود آية ٨٧ .
(٢) سورة الدخان آية ٣٠ ، ٣١ .
(٣) سورة الدخان آية ١٣ ، ١٤ .
(٤) سورة التوبة الآية ٢٨ .
(٥) فى الأصل : فى القضية المذكورة ، وما ذكرناه أولى .
(٦) سورة البقرة آية ٤٤ .

التمنى والترجى

إشارة : التمنى والترجى معنيان يَعرِضان للإسناد ، فيجعلانه نوعين آخرين للكلام .

فالتمنى : هو إنشاء إرادة حدوث أمر ما ، لأن إرادة شئ غير مستلزم لإمكانه ، وهذا أمرُ تحقيقِ الفرقِ بينهما ، لا ما قاله الأدباء : إن الفرق بينهما هو أن التمنى مستعمل فى الممكن والممتنع ، بخلاف الترجى ؛ لأنهم لو طولبوا بعلة هذا الحكم لم يكن لهم جواب سوى ما قلناه .

والترجى : هو إنشاء إمكان حدوث أمر ما ، ولكون الإمكان داخلاً فى مفهوم الترجى دون التمنى ، اشتُرِط الإمكان فى الترجى دون التمنى ، ولكون النسبتين غير مسبوقتين بنسبتين أخريين ، عُدّاَ من الإنشاء ، ولكونهما نوعين [1] للكلام جعل لهما صدر الكلام ، ولكونهما طارئين على الإسناد ، احتاجا إلى دلالة فى اللفظ كغيرهما من الطوارئ ، وهى أداة التمنى والترجى .

وأظهر لفظٍ وُضع للتمنى ، هو : ليت ، تقول : ليت المسافر يرجع ، وليت الشباب يعود ، وليت [2] العيش الرغيد يقبل .

وقد يستعار للتمنى أداة الاستفهام نحو : - هل لى من شفيع - فى موضع لا يوجد فيه الشفيع . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعَاء فَيَشْفَعُوا لَنا ؟ ﴾ [3] .

وكذا يستعار له أداة الشرط ، نحو : « لو ما تأتينى فتحدّثنى » بالنصب .

قال السكاكى [4] - وصدق - : كأن حروف التنديم والتحضيض وهى : هلا ، وألا - بقلب الهاء همزة - ولولا ، ولوما ، مأخوذة منهما بزيادة ما ولا ، فيتولد منهما فى الماضى : التقديم ، نحو : هلا وقفت على المكان المعشب / ، ٣٢/ب

---

(١) فى الأصل : ولكونهما منوعين للكلام ، وهو غير مستقيم .

(٢) فى الأصل ولعل العيش الرغيد يقبل ، وهو سهو ؛ لأن سياق الكلام عن ليت .

(٣) سورة الأعراف آية ٥٣ . (٤) المفتاح ص ١٦٦ .

وفى المضارع : التحضيض نحو : هلا تقف على الأمير .

وقد تستعمل « لعل » للتمنى نحو : لعلى أحج فأزورَك (بالنصب) ، ومنه قراءة عاصم [1] فى رواية حفص : ﴿ لعلّى أبلُغُ الأسبابَ ، أسبابَ السموات فأطّلعَ إلى إله موسى ﴾ [2] بنصب « أطلع » .

* * *

---

(١) هو عاصم بن أبى النجود أحد القراء السبعة ، توفى سنة ١٢٧ وفيات الأعيان (٢/٢٢٤) .

(٢) سورة غافر ٣٦ ، ٣٧ .

الأمر

إشارة : الأمر صيغة وُضعت لطلب فعل ، أو طُلِب بها فعل ، بأداة على وجه الاستعلاء .

فقيّد بالطلب ؛ ليخرج الخبر والانشاء الذى لم يوضع للطلب .

وقيّد بالفعل ؛ ليخرج نحو النهى ، فإنه وضع لا لطلب الفعل ؛ بل للترك أو غيره .

وقيّد بالاستعلاء ؛ ليخرج نحو الالتماس والدعاء .

وهو على قسمين :

الأول : أن يدل على طلب الفعل بصيغته ، وهو أمر المخاطب نحو : اضرب

والثانى : أن يدل عليه لا بصيغته ؛ بل بأداة اللام ، نحوه : ليضربْ زيد ، وهو للغائب .

والأول يُستعار لمعان أُخَر :

الإباحة ، نحوه : جالس الحسنَ أو ابنَ سيرين . وقول كثّير [1] :

أسيئى بنا أو أحْسنى ، لا ملومةٌ   لدينـــا ولا مقليّـــةٌ إنْ تقلّتِ

والتهديد ، نحو : ﴿ اعْملوا ما شِئتُمْ ﴾ [2] .

والتعجيز ، نحو : ﴿ فأتوا بسورة منْ مِثْلِه ﴾ [3] .

والتسخير ، نحو : ﴿ كونوا قِردةً خاسِئِين ﴾ [4] .

والإهانة ، نحو : ﴿ كونوا حِجَارةً ﴾ [5] ، و ﴿ ذقْ إنك أنتَ العزيزُ الكريم ﴾ [6] .

---

(١) هو كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة توفى سنة ١٠٥ هـ ، مقلية : بغيضة . والبيت من قصيدة يمدح فيها عزة ومطلعها :

خليلـــيَّ هـــذا ربع عزة فاعقلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حَلّت

(ديوانه ٩٥ ط بيروت)

(٢) سورة فصلت آية ٤٠ (٣) سورة البقرة آية ٢٣ (٤) سورة الأعراف آية ١٦٦

(٥) سورة الإسراء آية ٥٠ (٦) سورة الدخان آية ٤٩

والتسوية ، نحو : ﴿ انفِقوا طوعاً أو كرهاً ﴾ [١] .

والتمنى ، نحو :

ألا أيها الليلُ الطويلْ ألاَ انجلِى [٢]

والدعاء ، نحو : ﴿ ربِّ اغفرْ لى ﴾ [٣] .

والالتماس ، نحو : افعل كذا ، لمن يساويك بدون استعلاء .

وهم وتنبيه :

توهم السكاكى [٤] أن الأمر باللام يستعمل أيضا فى هذه المعانى ، ولذلك احتج على كون الصيغتين حقيقة فى الأمر دون المعانى الباقية بإطباق أئمة اللغة على إضافتها إلى الأمر ، كقولهم : صيغة الأمر ، ومثال الأمر ، ولام الأمر ، دون أن يقولوا : صيغة الإباحة ، ولام الإباحة ، فذكرُ لام الأمر دون لام الإباحة [٥] يدل على ذلك ، وهو فاسد ، لعدم الاستعمالَ .

وهم وتنبيه :

قال المعاصر [٦] : التمنى والاستفهام والأمر والنهى تشترك فى كونها قرينة لتقدير الشرط بعدها ، تقول : ليت لى مالاً أنفقه ، أى : إن أرزق أنفقه ، وأين بيتك أزرك ؟ ، أى : إن تُعرِّفنيه أزرك ، وأكرمنى أكرمْك ، أى : إن تكرمنى أكرمك .

وفيه نظر من وجهين :

أحدهما : أن ذكره هذه الأربعة / دون الثلاثة الباقية وهى : العَرْض والتحضيض والدعاء ، تخصيص من غير مخصص ؛ لاشتراك الجميع فى الحكم المذكور . ٣٣/ أ

---

(١) سورة التوبة آية ٥٣

(٢) البيت لامرئ القيس من معلقته ومطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول وحومل

وتمام البيت : بصبح وما الإصباح منك بأمثل . (ديوانه ص ١٨)

(٣) سورة نوح آية ٢٨ (٤) المفتاح ص ١٧١

(٥) فى الأصل : فذكر لام الأمر ولام الإباحة يدل على ذلك ، وهو غير مستقيم .

(٦) الإيضاح ص ٨٥ والبغية ٢/٥٦ ، ٥٧

وثانيهما : أن ما ذكره من تقدير الشرط وإن اشتهر بين الأدباء ، لكنا بينا فى شرح الكافية خلافه ، وهو مذهب الخليل [1] فإنه قال بهذه العبارة : إن هذه الأدوات كلها فيها معنى (إن) : فلذلك انجزم الجواب .

وتوجيهه : أن هذه الأشياء اشتركت فى معنى الطلب ، والطلب لا بد له من غرض لحمل الطالب على الطلب ، وإلا لكان الطلب عبثا ، وذلك الغرض هو السبب فى المعنى المطلوب ، فإذا ذكر بعدها ما يصلح أن يكون غرضا ، علم السببية بينهما واستغنى عن أداة الشرط ، والشرط لفظاً ومعنى ؛ لأن الاسم إذا تضمن معنى الشرط عَمِل عَمَل الجزم ، فلا استبعاد فى أن يعمل الفعل أيضا عمل الجزم إذا تضمن معنى الشرط ، بل الفعل أولى بذلك ؛ لقوته فى الاقتضاء والعمل ، وإنما احتيج إلى أداة الشرط فى الجملة الشرطية ؛ لتحدثَ السببية بين الشرط والجزاء ، وهى حاصلة هنا ، وتحصيل الحاصل محال .

وهم وتنبيه :

من أمثلة الجزم بعد الأمر ، قوله تعالى : ﴿ فهَبْ لِى منْ لَدُنْكَ ولياً يرثنى ﴾ [2] بجزم يرثنى ، وقرئ أيضا بالرفع ، وحمله الزمخشرى [4] وغيره من الأدباء على الوصف ، بمعنى أن يكون مطلوب زكريا وليا وارثا ، لا غير وارث .

وقال السكاكى [3] : الأولى حملها على الاستئناف دون الوصف ؛ لهلاك يحيى قبل زكريا ، وأراد بالاستئناف أن يكون جواب سؤال مقدر ، فإنه لما طلب الولى ، كأنه قيل له : ما تصنع به ؟ قال يرثنى ، ولم يكن داخلا فى المطلوب .

قلت : فيه نظر ؛ لأن الولى لا يكون إلا وارثا ؛ لأنه لو لم تستلزم الولاية الوراثة ، لم يجز الجزم ؛ لأن الشرط سبب الجزاء ، والسبب يستلزم المسبب ، فطلبُ السبب يستلزم طلب المسبب ، وعلى تقدير الرفع والاستئناف ، لو لزم ألاّ يكون كونه وارثا مطلوبا ، لزم تنافى القراءتين ، وهو محال ، وهلاك يحيى قبل زكريا ، لا يستلزم ألاّ يكون كونه وارثا مطلوبا ، لجواز أن يكون مطلوبا لكن لم يُجَب إليه ؛ إذ ليس من شرط الدعاء الإجابة .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى صاحب كتاب العين وأستاذ سيبويه توفى سنة ١٧٥ هـ . وفى الأصل : وبعد مذهب الخليل وهو خطأ .

(٢) سورة مريم آية ٤ ، ٥ . قال الزمخشرى الجزم جواب الدعاء ، والرفع صفة ، الكشاف ٣/٣ .

(٣) المفتاح ١٧٢

النداء

إشارة : من أنواع الإنشاء :

النداء : وهو إنشاء نسبة النداء بحرف يقوم مقامها ليُقبِلَ المخاطب به إلى المتكلم به بقلبه ، وليس مقصوداً بذاته ، وإنما ينادَى ؛ ليُبدأ بكلام بعده ، أو ليعلم حضوره أو غيبته ، أو لنسبة صفةٍ إليه ، فيكتفى بإطلاق مشتق منها عليه ، نحو : يا فاسق ، ليعيِّره به ، أو يا مظلوم ، لتُغريه على التظلم .

وقد تطلق صيغته على لازمه وهو الاختصاص ، نحو :

نحن بنى ضَبَّة أصحابُ الجملْ
ونحن العـــــُرْبَ أقــرَى للنُّزُلْ

أى مختصين بهذا الاسم ، وحكمه فى الإعراب حكم المنادى .

وقد يبدل لفظ الإنشاء بالخبر : إما ليحقق صدق المتكلم فيستلزم الأمر ، نحو : ﴿ والوالداتُ يُرضِعْنَ ﴾ (١) أى : فليرضعن ، ﴿ والمطلقاتُ يتربَّصْنَ ﴾ (٢) أى : فليتربصن ، ولذلك جاء بلفظ المضارع .

أو لكراهة إطلاق لفظ الأمر تأدباً ، كقول العبد لمولاه : « ينظر المولى إلىّ ساعة » . والله أعلم بالصواب .

* * *

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣ (٢) سورة البقرة آية ٢٢٨

الركن السابع
فى الوصل والفصل

إشارة : الوصل : هو عطف جملة على جملة أخرى .

والفصل : هو ترك العطف .

قال علماء البلاغة : إنه أصعب أبواب البلاغة ؛ إذ لا يضع كل واحد منهما موضعه إلا مَن أُولِيَ فى فهم كلام العرب طبعاً سليما ، وأُعطى فى إدراك أسراره حظا وافراً . ولذلك قال بعض البلغاء :

« البلاغة : هى معرفة الفصل والوصل » ، ولم يُرِد به قَصْرُها عليها ، بل أراد أنه أعظمُ أبوابها ، وأشْكلُ أركانها ، وذلك كقولَ النبى عليه السلام : « الحجُّ عرفةٌ » [(١)] أراد : أعظم أركان الحج هو الوقوف بعرفة .

وقد طوّل المعاصر الكلامَ فيهما [(٢)] ، وإنّى بتوفيق الله تعالى أعطيك ضابطاً إن حققتَه ، سهل عليك تفاصيله ، فنقول :

الجملتان : إما أن تتعلقَا بعامل واحد بجهة واحدة ، أوْ لا ، فإن كان الأول ، فالوصل لا غير .

وإن كان الثانى : فإما أن تتعلق إحداهما [(٣)] بالأخرى تعلُّقَ العملِ ، أو تعلق التكميلِ ، أوْ لا ، فإن كان الأول ، فالفصل لا غيره .

وإن كان الثانى فإما أن يكون بينهما اختلاف فى إرادة العموم والخصوص ، أوْ لا .

(*) قيل للفارسى : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل والوصل ، { البيان والتبيين ١/٨٨ وانظر الدلائل ص ١٧٠ والتبيان ص ١٢٨ } .

(١) عن عبد الرحمن بن يعمر الإيلى قال : شهدت رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة وأتاه الناس من أهل نجد ، فقالوا : يا رسول الله كيف الحج ؟ قال : الحج عرفة ، (سنن بن ماجه ٢ / ١٠٠٣ ط عيسى الحلبى) .

(٢) الإيضاح ص ٦٢ - ١٠٨

(٣) فى الأصل : تتعلق أحديهما وهو خطأ .

فإن كان الأول فالفصل لا غير .

وإن كان الثانى ، فالوصل .

ولنفصِّل هذا الإجمال .

إشارة : إلى تفصيل القسم الأول :

الجملتان إذا كانتا معمولَتَىْ عامل واحد ، وذلك / بأن تكونا واقعتين موقع ٣٤/ أ المفردين يجب أن تعطف الثانية على الأولى بواو الجمع ؛ ليدل على اجتماعها فى الحكم . وهو خمسة أقسام :

(أ) أن يكونا خبرَىْ مبتدأ واحد ، نحو : زيد أبوه قائم وأخوه قاعد .

(ب) أن يكونا فاعلَىْ فعلٍ واحد ، نحو : بلغنى أن زيداً عالم وأن عمراً جاهل .

(جـ) أن يكونا مفعولَىْ فعل واحد ، نحو : علمتُ أن زيداً فاضل وأن عمراً جاهل .

ومن ذلك قول أبى تمام [١] :

لا والذى هو عالمٌ أنّ النّوى صَبِرٌ ، وأنّ أبا الحُسين كريمُ

فإنهما مفعولا عالم .

وأما ما قاله المعاصر : أنه « قد عِيبَ على أبى تمام فى هذا البيت ؛ إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين وبين مرارة النوى ، ولا تعلق لأحدهما بالآخر » [٢] ، فكلام ضعيف ؛ لأن تعلقهما بعامل واحد كاف فى العطف ، وهو المصحح الجامع فيه .

---

(١) النوى : الفراق ، صبر : شجر الصبار وهو شديد المرارة ، والمراد بأبى الحسين : محمد بن الهيثم ، والبيت من قصيدة مطلعها :

أسقى طلولهم أجش هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

(ديوانه ٣/ ٢٩٠ والدلائل ص ١٧٣ والتبيان ١٣٢ والطراز ٣/ ٣١١)

(٢) الإيضاح ص ٢٤٧ ط ٣ بيروت .

(د) أن يكونا صفتَىْ موصوفٍ واحد ، نحو : جاءنى رجل كريم وأخوه عالم .

(هـ) أن يكونا حالَىْ صاحِب حال واحد ، نحو : ركب الأمير والجنائب تقاد بين يديه ، والغلمان يركضون حواليه .

إشارة : إلى تفصيل القسم الثانى :

واعلم أنه إذا نُسبتْ الجملة الأولى فى بعض الأقسام المذكورة إلى عاملها فهو مثال لهذا القسم مما يكون التعلقُ تعلقَ العمل ، وأما ما يكون تعلقَ التكميل فعلى أربعة أقسام :

الأول : أن تكون الثانية كالتأكيد للأولى كقوله تعالى : ﴿ كأنْ لمْ يسمعْها كأنّ فى أذنيه وَقْراً ﴾ (1) فإن الثانية مقرِّرة لما أفادته الأولى ، نحو قوله تعالى : ﴿ إنّا معكم ، إنما نحنُ مُسْتهزِئون ﴾ (2) فكما أن قوله : ﴿ إنا معكم ﴾ تفيد ثباتهم على اليهودية ، كذا الثانية : فإن الاستهزاء بالإسلام يستلزم رد الإسلام ، وردُّه يستلزم بقاءَهم على اليهودية . ويحتمل أن يكون كتعلق بدل البعض من الكل ، فإن المستهزئين بعضُ مَن كان مع شياطينهم . وكذا قوله : ﴿ سواءٌ عليهمْ أأنذرتَهُمْ أمْ لم تُنْذِرْهمْ لا يُؤمنون ﴾ (3) فإن مساواة الإنذار وعدَمَها لا يكون إلا ممن لا يؤمن . ومن هذا قول الشاعر (4) :

أقول له : ارحل ، لا تقيمنَّ عندنا   وإلاَّ فكنْ فى السرِّ والجهر مُسْلِماً

فإن قوله : ارحل ، يستلزم عدم الإقامة ، فتكون الثانية توكيداً للأولى .

/٣٤ ب / الثانى : أن تكون الثانية كالبدل من الأولى :

إما بدل البعض (5) : كقوله تعالى : ﴿ أمَدَكُمْ بأنعامٍ وبنينَ وجناتٍ وعيون ﴾ (6) فإن ما قبلها سيق للتنبيه على نعم الله تعالى على المخاطَبين ، وبعض تلك النعم أنه أمدهم بأنعام وبنين وجنات وعيون .

---

(1) سورة لقمان آية ٧   (2) سورة البقرة آية ١٤   (3) سورة البقرة آية ٦

(4) مسلما : يسالم الناس ، أوْ له خلق المسلم من اتفاق الظاهر مع الباطن . والبيت لا يعرف قائله (شواهد العينى ٨٣٩/٢) .

(5) أى بدل البعض من الكل .   (6) سورة الشعراء آية ١٣٣ ، ١٣٤

أو بدل الاشتمال : كقوله تعالى : ﴿ اتّبعوا المرسلين اتّبعوا مَن لا يسألُكم أجْراً وهُم مُهْتَدون ﴾ (١) فإن الآية سيقت لحمل المخاطَبين على اتباع الرسل (٢) . وقوله : اتبعوا من لا يسألكم أجراً ، أدل على الاتباع .

الثالث : أن تكون الثانية كعطف البيان للأولى ، كقوله تعالى : ﴿ فَوسْوسَ إليه الشيطانُ قال يا آدمُ هل أدلُّك على شجرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى ﴾ (٣) فإن قوله : يا آدم بيان لقوله : فوسوس إليه الشيطان .

وكذا قوله تعالى : ﴿ ما هذا بَشراً إنْ هذا إلاّ مَلَكٌ كريم ﴾ (٤) فإن عدم كونه بشراً مبهم ، يحتمل وجوهاً ، وقوله : إن هذا إلا ملك كريم ، بيان له .

الرابع : أن تكون الثانية كالجواب عن الأولى : وفي الحقيقة تكون جواباً عن سؤال مقدر ، كقوله تعالى : ﴿ قالوا سلاماً قال سلامٌ ﴾ (٥) كأنه سئل : ماذا قال إبراهيم ؟ فأجاب بقوله : قال سلام . وقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّح له فيها بالغُدُوِّ والآصال رجالٌ ﴾ (٦) على قراءة يسبح بفتح الباء ، كأنه قيل : من يسبحه ؟ فقال : يسبحه رجال ، فحذف صدرَ الجواب . ومن ذلك قول الشاعر (٧) :

قال لي : كيف أنت ؟ قلت : عليل   سهرٌ دائمٌ ، وحزنٌ طويلُ

كأنه قيل : ما بالك عليلاً ؟ فأجاب : سهر دائم وحزن طويل .

ومن ذلك قول الآخر (٨) :

---

(١) سورة يس آية ٢١

(٢) في الأصل : لحمل المخاطبين على اتباع الرجل ، وما أثبتناه أولى .

(٣) سورة طه آية ١٢٠   (٤) سورة يوسف آية ٣١

(٥) سورة هود آية ٦٩   (٦) سورة النور آية ٣٦

(٧) سهر خبر لمبتدأ محذوف تقديره حالي سهر ، وكأنه توهم سؤالا تقديره كيف حالك ؟ فأجاب سهر دائم ، والبيت قائله غير معروف ، وهو مشهور (الدلائل ص ١٨٤) .

(٨) غرضت من الدنيا : سئمت ، والغر : قليل التجربة والخبرة بالحياة .

ما غرضا : لم يسأم الحياة مثله ، غرضا الأخيرة : قصدا .

والبيت لأبي العلاء المعري من قصيدة مطلعها :

منك الصدود ، ومني بالصدود رضى   من ذا عليَّ بهذا ، في هواك قضى ؟

(سقط الزند ص ٢٠٨)

وقد غَرِضْتُ من الدنيا ، فهل زمنى　　مُعْــطٍ حياتــى لِغِرٍ ، بَعدَ ما غَرِضا ؟

جــرَّبتُ دهــرى وأهليه ، فما تركتْ　　لى التجارب ، فى وُدِّ امرىءٍ ، غرضا

أى : لم يطوِ عن الحياة كشحاً إلى هذه الغاية ؟ فأجاب بقوله : جربتُ دهرى .. البيت .

ومن ذلك قول الآخر [1] :

زعــم العــوازلُ أننــى فى غَمْرةٍ　　صَدقوا ، ولكنْ غمرتى لا تَنْجَلى

كأنه سئل : هل صدق العوازل أم كذبوا ؟ فقال : صدقوا . وهذا الباب كثير فى كلامهم . ويسميه أهل البلاغة بالاستئناف .

إشارة : إلى تفصيل القسم الثالث :

إذا كانت جملة مطلقة بعد جملة مقيدة ، لم يجز الوصل لئلا يُتَوَهَّم تقييد المطلقة بسببه ، / وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وإذا خلَوا إلى شياطينهمْ قالوا إنّا معكمْ إنمّا نحنُ مُستَهزِئون اللّهُ يَستهزئُ بهم ﴾ [2] لم يعطف « اللّه يستهزئ بهم » على « إنا معكم » لئلا يتقيد بقالوا كما تقيدتْ ، ولا على « قالوا » لتقيدها بالظرف لكونه جواب إذا ، وليست الثانية مقيدة بشئ منهما . /٣٥ أ

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا قِيلَ لهمْ لا تُفْسِدوا فى الأرض قالوا إنّما نحنُ مُصْلِحون ، ألاَ إِنهمْ هُم المُفْسدون ﴾ [3] لم يعطف قوله : ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ﴾ على ﴿ إنما نحن مصلحون ﴾ لتقيدها بالقول .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وإذا قِيل لهمْ آمنوا كما آمنَ الناسُ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاءُ ألاَ إنهمْ هُمُ السفَهاءُ ﴾ [4] لم يعطف قوله : ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ﴾ على ﴿ أنؤمن ﴾ ولا على ﴿ قالوا ﴾ لعين ما ذكرناه . هذا حاصل قول السكاكى [5] .

---

(١) العوازل : الذين يكيدون للمرء ، غمرة : شدة ، لا تنجلى : لا تزول . والبيت لا يعلم قائله وانظر الدلائل ص ١٨٢ ، والتبيان ص ١٤٢ ، والطراز ٤٧/٢ ، والمغنى ، وشرح شواهد السيوطى ومعاهد التنصيص ٢٨٠/١ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤ ، ١٥

(٣) سورة البقرة آية ١١ ، ١٢

(٤) سورة البقرة آية ١٣

(٥) المفتاح ص ١٣٧ - ١٤٨

قال المعاصر [1] : فيه نظر ؛ لجواز أن يكون المقطوع فى المواضع الثلاثة معطوفاً على الجملة المصدَّرة بالظرف ، وهذا القسم لم يبين امتناعه .

قلت : كأنه تركه لظهور بطلانه ؛ لأن المصدَّرة بالظرف جملة شرطية ، ولا يشاركها قوله تعالى : ﴿ اللّه يستهزئ بهم ﴾ فى الشرط حتى يُعطف عليها .

إشارة : إلى القسم الرابع :

اعلم أن الواو العاطفة موضوعة للجمع بين مشتركين فى أمر من الأمور ، سواء عطف بها المفرد على المفرد ، أو الجملة على الجملة ، إلا أن الجملة على قسمين :

واقعة موقع المفرد ، وغير واقعة موقع المفرد . فالواو فى القسم الأول تفيد ما تفيده فى عطف المفردات ، وفى القسم الثانى ، تفيد الاشتراك فى خبر خاص وإنشاء خاص ، لا فى مطلق الخبر والإنشاء ،ولا بد من اختصاصها بوجه من الوجوه .

فحسن قوله تعالى : ﴿ إنّ الأبرارَ لفى نعيمٍ ، وإنّ الفُجّار لفى جحيمٍ ﴾ [2] ؛ لاختصاص الخبر فيهما بكونهما فى إيصال جزاء أعمال المكلفين إليهم .

وقبُح « زيد قائم » ، و « البياض مفرق للبصر » ، مع اشتراكهما فى مطلق الخبر .

وحسن قوله تعالى : ﴿ يُخرِجِ الحىَّ من الميّتِ ويُخرجُ الميتَ مِنَ الحَيِّ ﴾ [3] لاختصاصها ببيان قدرة اللّه تعالى .

وقبُح : « يقوم زيد » و « يقطع المشترى – مثلا – دورة فى اثنى عشرة سنة » مع اشتراكهما فى مطلق الخبر .

وحَسُنَ : ﴿ كُلوا واشْرَبوا ﴾ [4] ؛ لاختصاصها فى إباحة إدخال ما يحتاج إليه البدن فى قوامه .

---

(1) الإيضاح ص ٩١ والبغية ٧٨/٢

(2) سورة الانفطار آية ١٣ ، ١٤

(3) سورة الروم آية ١٩

(4) سورة الأعراف آية ٣١

وقَبُحَ : « تعلَّموا وكُلوا » ، مع اشتراكهما فى مطلق طلب الفعل [١] .

/٣٥ ب وحَسُن : ﴿ أقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ ﴾ [٢] لاختصاصها بوجوب / تحصيل الطريق إلى الله تعالى .

وقبُح : « صوموا وسيحوا فى الأرض » .

والسكاكى والمعاصر لم يتعرضا لبيان الاشتراك المذكور فى حسن الوصل .

واقتصر السكاكى [٣] فى حسن الوصل ، بأن يكون الجامع باعتبار المخبَر عنه ، أو الخبر ، أو قيد من قيودهما ، ونقض عليه المعاصر [٤] بنحو : هزم الأمير الجند يوم الجمعة وخاط زيد ثوبى فيه ، فإنه يمتنع فيه الوصل ، مع اشتراكهما فى كون الخبر مقيداً بيوم الجمعة . وقال ما معناه : لا بد من مناسبة بين الحكمين فى طرفيهما ، أو اتحاد فى أحدهما .

أما المناسبة : فنحو : زيد شاعر وعمرو كاتب ، إذا كان بين زيد وعمرو نسبةٌ ما ، كما بين الشعر وكتابته ، وإن فقد مناسبة أحد الطرفين ، لم يجز الوصل ، نحو : « الأمير شاعر والأكار [*] كاتب » ، أو « زيد شاعر وعمرو طويل » .

وأما الاتحاد : فنحو : « زيد يعطى ويمنع » ، أو « زيد يعطى وعمرو » ، أى : وعمرو يعطى ، ولأجل ذلك قال تعالى : ﴿ إنّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتَهُم أمْ لمْ تُنذرْهم لا يُؤمنون ﴾ [٥] فقطعها عما قبلها ؛ لأنها تتعلق بالكفار ، وما قبلها يتعلق بالقرآن [٦] .

إشارة : لكون الاعتبار فى حسن الوصل هو الاشتراك المذكور : حَسُنَ الوصلُ بين الأمر ولفظ الخبر إذا كان بمعنى الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ وإذْ أخذْنا

---

(١) فى الأصل : « فى مطلق الطلب الفعل » وهو غير مستقيم ولعله سهو .

(٢) الصواب : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » سورة البقرة آية ٤٣ . وسورة النور آية ٥٦

(٣) المفتاح ١٣٧ (٤) الإيضاح ص ٩٤ والبغية ٢/٨٨

(*) الأكار : الحراث أو الزراع . (٥) سورة البقرة آية ٦

(٦) يقصد أول السورة : ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ .

ميثاقَ بنى إسرائيل لا تعبدون إلاّ اللّهَ وبالوالديْن إحْساناً وذِى القُربَى واليتامَى والمساكين وقولوا ﴾ [1] فعطف قولوا على لا تعبدون ؛ لأنه بمعنى لا تعبدوا ، وقوله : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ ، يحتمل أن يقدّر : وأحسنوا بالوالدين إحساناً وأن يقدّر : وتحسنون إحساناً ؛ لكونه واقعاً بين الطلب المعنوى واللفظى .

وأما ما جوَّزه البلغاء : « لا ورحمك اللّه » فى جواب : هل كان كذا ؟ ، فلأجل الضرورة ، لئلا يشتبه الدعاء له بالدعاء عليه .

وأما اشتراط اتحاد الجملتين فى الاسمية أو الفعلية ، أو المضىّ أو المضارعية فذلك من المحسنات لا من اللوازم ، ألا ترى أنه إذا أريد بإحداهما حدوث أمر ، وبالأخرى ثبوته ، حسُن حينئذ الوصلَ بين الاسمية والفعلية ضرورةُ أن الدالَّ على الثبوت هو الاسم لا الفعل ، كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ، ثم قام زيد دون عمرو ، تقول حينئذ : قام زيد وعمرو قاعد .

أوهام وتنبيهات :

الأول : زعم السكاكى [2] أن القطع :

/ إما للوجوب : وذلك إذا وُجد مانع من الوصل ، ومثله ما تقدم من كونهما /٣٦ أ مختلفين فى إرادة العموم والخصوص ، كقوله تعالى : ﴿ اللّهُ يَسْتهزِئُ بِهِمْ ﴾ بعد قوله : ﴿ إنّما نحنُ مُسْتَهْزِئون ﴾ [3] .

وإما للاحتياط : بأن يسبق الجملة المعطوفة جملتان ، فترك الوصل ؛ لئلا تشتبه بالجملة المعطوف عليها ، كقول الشاعر [4] :

وتظن سلْمَى أننى أبغِى بها   بدلاً ، أُراها فى الضلال تهيمُ

لأنه لو عطف « أراها » على ، « تظن » لسبق الوهم إلى أنها معطوفة على « أبغى » لقربها .

---

(١) سورة البقرة آية ٧٣   (٢) المفتاح ١٣٦   (٣) سورة البقرة آية ١٤ ، ١٥

(٤) أراها : أظنها ، تهيم . تسير على غير هدى . والبيت لا يعلم قائله .

(معاهد التنصيص ٢٧٩/١)

وهذا وهم ؛ لأن القطع فى البيت ليس لما ذكره ، بل لكون « أراها » من قبيل التكميل المذكور ؛ لكونها جواباً لسؤال مقدر ، تقديره : أأصابت فى ظنها أم ضلّت ؟ فأجاب : أراها فى الضلال تهيم .

الثانى : قال الزمخشرى [1] فى قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ فَإِنْ لم تفعَلوا ولن تَفْعَلُوا فاتَّقُوا النارَ التى وَقُودُها الناسُ والحجارةُ أُعِدّتْ للكافرين ، وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ [2] ليس الذى اعتُمد بالعطف فى قوله ﴿ وبشر ﴾ هو الأمر حتى يُطلب له مُشاكل من أمر أو نهى يُعطف عليه ، وإنما المعتمَد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهى معطوفة على جملة وصف عذاب الكافرين ، كما تقول : « زيد يعاقَب بالقيد والإرهاق . وبشِّر عمراً بالعفو والإطلاق » ، ولك أن تقول : هو معطوف على : « فاتقوا » كما تقول « يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم ، وبشر يا فلان بنى أسد بإحسانى إليهم » .

وفيه نظر ؛ لأن الداخل عليه حرفُ العطف هو الأمر ، فيكون هو المعطوف ، وما ذكره من وصف ثواب المؤمنين متعلق بالأمر ، والمتعلق بالمعطوف لا يكون معطوفاً ، وحينئذ يجب أن يُطلب له مُشاكل ؛ ليكون معطوفاً عليه ، وقوله « فاتقوا » هو جواب الشرط ، فلو كان قوله « وبشر » عطفاً عليه ، لكان أيضاً جواباً له ، فيكون التقدير : إن لم تفعلوا يا أيها الكافرون ذلك ، فبشر يا محمد الذين آمنوا ، وتعالى الله أن يَصْدُرَ عنه مثل هذا الكلام ، وأيضا « اتقوا » خطاب للكفار ، و « بشر » [3] خطاب للنبى ، فلا يكون عطفاً عليه .

ولا نسلّم أنه (*) نحو : « زيد يعاقب بالقيد والإرهاق ، وبشِّر عمراً بالعمر والإطلاق »/ وكان يجب عليه أن يستشهد له بآية أخرى ، أو بكلام العرب ، لا أن يمثّل من عند نفسه ، فعدمُ فعله ذلك ، إن كان لعدم وجوده [4] ، فهو المراد ، وإلا يحسن أن يضرب له المثل : (لا مَخْبأ لعطرٍ بعد عَروس) [5] .

/٣٦ ب

---

(١) الكشاف ٧٨/١ (٢) البقرة آية ٢٤ ، ٢٥

(٣) فى الأصل : وأبشر وهو مخالف لما فى الآية لفظاً ومعنى .

(*) أى ما ورد فى الآية . (٤) فى الأصل : لعدم وجدانه .

(٥) مثل يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس . وفى الأصل : لا مخبأ بعد عرس ، ولا عطر بعد عروس . (تهذيب مجمع الأمثال ٤٤٩) .

والذى يقوى عندى أن الآيات كلها أو أكثرها مصدَّرة فى المعنى بالأمر بالتبليغ أو التحذير والتبشير ؛ لأنه عليه السلام مبلّغ ، فيكون تقدير الكلام : بلّغ يا محمد الذين كفروا كذا ، أو حذِّرهم بكذاً ، وبشر الذين اتقوا بكذا . وهذا التقدير جائز فى كلامه تعالى لقرينة كونه مبلّغاً دون غيره لعدم القرينة .

ونظير ذلك قوله تعالى فى سورة الصف : ﴿ وأخرى تُحبّونها نَصْرٌ من اللّه وفَتْحٌ قريبٌ وبشّر المؤمنين ﴾ [1] أى : بلّغ يا محمد وأخرى تحبونها نصرٌ من اللّه وفتح قريب وبشر المؤمنين . والزمخشرى [2] عطف قوله « وبشر » على قوله « تؤمنون » لكونه بمعنى آمنوا ، لقوله : يغفر لكم بالجزم جواباً عنه .

وفيه أيضا نظر ؛ لعدم المجانسة ، لكون تؤمنون مسند إلى الكفار ، وبشر مسند إلى النبى .

(الجامع)

الثالث : أن السكاكى [3] تحذلق وتفلسف وقال ما معناه :

الجامع بين الشيئين عقلى ووهمى وخيالى .

أما العقلى : فأن يكون بينهما تماثلٌ : كشخصين من نوع واحد .

أو تضايفٌ [4] : كالعلة والمعلول ، والأقل والأكثر ، فإن العقل يأبى ألا يجتمعا فيه .

وأما الوهمى : فأن يكون بين تصورَىْ شيئين شبهُ تماثل : كلونى البياض والصفرة ، فإنه يبرزهما فى معرض المثلين ، ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة فى قول الشاعر [5] :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها   شمسُ الضحى ، وأبو إسحقَ ، والقمرُ

أو تَضادّ : كالسواد والبياض ، والأسود والأبيض .

---

(١) سورة الصف آية ١٣   (٢) الكشاف ١/ ٤٢٢   (٣) المفتاح ص ١٢٧

(٤) هو الارتباط بين الشيئين ، بحيث إذا ذكر أحدهما يسرع الذهن إلى ذكر الآخر .

(٥) الشاعر هو محمد بن وهيب الحميرى ، وأبو إسحق هو الخليفة العباسى محمد المعتصم بن هارون الرشيد . معاهد التنصيص ١/ ٢١٥ .

أو شبه تضاد : كالسماء والأرض ، والسهل والجبل ، فإن الوهم ينزلهما منزلة المتضايفين ، فيجمع بينهما فى الذهن .

وأما الخيالى : فأن يكون بين تصورَىْ شيئين مقارنة فى الخيال . وأسبابه كثيرة مختلفة ، والناس مختلفون فى الصور الخيالية ، فكم من صورة ثابتة فى خيال شخص دون آخر ، والخيال هو الجامع بين الإبل والسماء والجبال والأرض فى قوله تعالى : ﴿ أفلا يَنْظُرون إلى الإبلِ كيفَ خُلِقَتْ ، وإلى السماء كيفَ رُفِعتْ ، وإلى الجبالِ كيف نُصبت ، وإلى الأرض كيفَ سُطِحَتْ ﴾ [1] / فإن هذه الأربعة جمعها خيالُ أهل الوبر ، هذا حاصل كلامه . ٣٧/ أ

وفيه نظر :

أما أولاً : فإنه جعل الجامعَ بين المتضادين ، جامعاً وهمياً ، وليس كذلك ، فإن المتضادين لا يجتمعان فى شىء إلا من حيث وصف التضاد ، وحينئذ يكون المتضادان من قبيل المتماثلين ، وقد اعترف أن الجامع بين المتماثلين هو العقل .

وأما ثانياً : فإن الوهم هو فاعل الجمع ، وقد اعترف أن قابله فى الوهمى هو العقلى ، حيث قال : « فيجمع بينهما فى الذهن » فيلزمه أن يكون الجامع شيئين : العقل والخيال ، أو يُنسب الجامع فى الخيالى أيضاً إلى فاعل الجمع ، وهو حاسة من الحواس الظاهرة بأن يحسَّ شيئين فيحصل بينهما مقارنة سواء كان إحساسهما بحاسة واحدة أو بحاستين .

وأما ثالثاً : فإن مقارنة شيئين بسببٍ جامع مما ذكره ، إن أوجبت اجتماعهما فى الذكر ، فلا يوجب الوصل ، والكلام فيه .

وأما رابعاً : فإن سببَ تخصيص الأربعة المذكورة ، إن كان ما ذكره من الجامع الخيالى لأهل الوبر ، فما سبب تخصيص أهل الوبر دون المدر ، والقرآن نسبته إلى الكل بالسواء ؟! .

وأما خامساً : فإنه لا اعتبار فى حُسْنِ الوصل بتناسب مفردات الجمل ؛ بل الاعتبار باشتراكهما فى خبر خاص أو إنشاء خاص كما تقدَّم ، والاشتراك

---

(١) سورة الغاشية آية ١٧ - ١٩

حاصل فى الآية باعتبار كون الجميع مفيداً لوجوب النظر إلى عجيب آثار قدرة الله تعالى الدالة على وجود الموجود القادر العالم الحكيم ، وتخصيص الأربعة بالذكر ؛ لكونها أظهر عند الحس لأهل الظاهر من أهل الوبر والمدر جميعاً ، وإلا فعجائب آثار قدرة الله تعالى فى خلق الإنسان أتم وأكثر فى نفس الأمر .

(واو الحال)

إشارة : واو الحال واو وُضعت لمقارنة نسبة جملة بأخرى فىّ الزمان .

وقيّد المقارنةَ بالنسبة ، وقيَّد النسبة بالجملة ؛ لتخرج الواوات الداخلة على المفرد ، سواء كان ذا نسبة ، كالمركّب الإضافى ، أوْ لا ، كواو رُبَّ ، وواو القسَم ، والعاطفة للمفرد ، والتى بمعنى « مع » .

وقيد المقارنة بالزمان ؛ لتخرج الواو العاطفة للجملة ، فإنها لم تدل على المقارنة الزمانية ؛ بل على الجمع بين حكمين أعمّ من المعية والتقدم والتأخر فى الزمان [1] ، وليست هذه مستعارة عن واو العطف ، وإلا لاحتاجت إلى الدلالة عليه ، كالطوارئ الأخر ، كواو مع ، فإنها لما كانت منقولة عن العاطفة احتيج إلى نصب الاسم بعدها ؛ ليدل على المقارنة الزمانية أو المكانية ، وليس وضع واو الحال للربط / كما زعم الظاهريون من النحاة ؛ لأن الضمير قائم بهذه المؤونة ٣٧/ ب نعم لها دلالة أيضاً على الربط بالالتزام لا بالوضع ، وقد يقوم الفعل مقامها فى الدلالة على المقارنة الزمانية كما سيأتى .

وهم وتبيه :

قال المعاصر [2] : أصل الحال المنتقلة أن تكون بغير واو .

إما لأن إعرابها ليس بالتبعية ، فلا تحتاج إلى واو ؛ لأن أصلها العطف .

أو لأن الحالَ حكمٌ على ذى الحال ، كخبر المبتدأ ، إلا أن الحال حكم فى ضمن حكم آخر ، بخلاف الخبر فإنه بالأصالة ، والحكم لا يحتاج إلى الواو .

---

(١) فى الأصل : الزمانية ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) الإيضاح ص ٩٦ والبغية ٢/٩٥ .

أو لأنّ الحال وصف فى المعنى ، والوصف لا يحتاج إلى الواو .

لكن خولف هذا الأصل ؛ لأن الجملة مستقلة بنفسها فى الإفادة ، فيُحتاج إلى ما يربطها بما جعلت حالاً عنه . هذا حاصل كلامه .

وهو وهم ؛ لابتناء الوجوه الثلاثة على أن أصلها العطف وهو ممنوع ، كيف ولو كان أصلها العطف ، لاحتيج إلى الدلالة بعد النقل عن الأصل كما تقدم ؟!

والحق أنّ كونَ الحال حُكماً أو وصفاً فى المعنى مسلّم ، ولكن لما أخرج المفرد عن أصله فى الإعراب بالتبعية إلى النصب ، ليدل النصب على المقارنة الزمانية كذلك فى الجملة ، دلَّ عليها بزيادة الواو ، أو ما يقوم مقامها ؛ لاستحالة الدلالة بالنصب فى الجملة .

وقوله : خولف الأصل .... إلى آخره .

قلنا : احتياج الجملة إلى ربط مسلّم ، لكن الضمير كاف فى هذا المهم .

* * *

(الجملة الحالية التى يجب فيها الواو)

إشارة : الجملة الحالية تختلف بحسب الواو وجوباً ، وامتناعاً ، وجوازاً .

أما الوجوب : ففى الجملة الاسمية سواء كانت خالية عن الضمير ، نحو : جاء زيد والشمس طالعة . وقول امرئ القيس [1] :

أيقتلنى والمشرفىُّ مُضاجعى ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوالِ

وقوله [2] :

ليالِىَ يدعونى الهوى فأجيبُه وأعيُنُ مَنْ أهْوَى إلىَّ رَوانِ

أو كانت ذات ضمير كقوله تعالى : ﴿ فلا تَجعلوا للّه أنداداً وأنتم تَعلمون ﴾ [3] وقوله : ﴿ ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون فى المساجدِ ﴾ [4] .

وجمهور النحاة لا يوجب الواو ، إلا أن عبد القاهر [5] أوجب الواوَ إذا كان المبتدأ ضميراً لذى الحال كالاثنين المذكورين .

واحتجّوا برواية سيبويه : « كلّمتُهُ فوهُ إلى فىّ » ، وبقول الشاعر [6] :

ولولا جَنانُ الليل ما آبَ عامرٌ إلـى جعفر ، سربالُه لم يُمزَّقِ

وبقول أمية بن أبى الصلت [7] :

---

(١) من قصيدة مطلعها :

* ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى * { ديوانه ص ٣٣ }

(٢) فى الأصل : « وقول الآخر » وهو خطأ ؛ فالبيت لامرئ القيس من قصيدة له مطلعها :

لمن طلل أبصرته فشجانى كخطّ زبور فى عسيب يمان

وروان : دائمات النظر فى سكون ، يريد عشقهن له . (ديوانه ص ٨٥) .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢ (٤) سورة البقرة آية ١٨٧

(٥) دلائل الإعجاز ص ١٥٧

(٦) جنان الليل : حلكته ، آب : عاد ، السربال : القميص وهو كناية عن جعفر . والبيت لسلامة بن جندل (انظر الدلائل ص ١٥٨ ، الأصمعيات رقم ٤٢) .

(٧) الخطاب لسيف بن ذى يزن الذى طرد الأحباش من اليمن ، مرتفقاً : متكئاً ، وقيل إن البيت لوالد أمية بن أبى الصلت ولبس لابنه ، انظر الدلائل ص ١٥٧ . وديوانه ٥٢ بيروت .

فاشربْ هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً   فى رأس غُمْدان داراً منك محْلالاَ

وبقول الآخر [١] :

لقــد صُيــرَتْ للــذل أعوادُ منبرٍ   تقــوم عليهــا فى يديك قضيبُ

وقول بشار [٢] :

إذا أنكرتْنــى بلدةٌ ، أو نَكرِتُها   خرجــتُ مــع البازى علىّ سوادُ

أراد : علىٌ بقية من الليل .

قال عبد القاهر [٣] : وقوع الجملة التى تقدّمها ظرفٌ حالا ، كثير فى كلامهم .

والجواب عن الأول : أنه شاذ .

وعن الثانى : أنه للضرورة ، فلا يقاس عليهما .

وعن الأبيات الباقية : بالمنع من كون الحال فيها جملة ، بل الظرف واقع موقع اسم الفاعل ، والاسم بعده مرفوع به ، أى : اشرب هنيئاً كائناً عليك التاج ، وكائناً فى يديك قضيب ، وكائناً علىّ سواد ، وهو أفصح على رأى الأخفش وسيبويه [٤] أيضاً ، لاعتماد اسم الفاعل على صاحبه .

---

(١) أعواد المنابر : قوائمه التى صنع منها ، القضيب : السيف . والبيت لأبى وائلة بن خليفة السدوسى فى هجاء عبد الملك بن المهلب (البيان والتبيين ٢٩١/١) . والدلائل ص ١٥٧ والتبيان ١٢١ .

(٢) نكرتها : كرهتها ، البازى : نوع من الصقور . والبيت من قصيدة قالها خالد بن جبلة الباهلى مطلعها :

أخالد لم أخبط إليك بنعمة   سوى أننى عاف وأنت جواد

ديوانه ٤٩/٣ ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر . والدلائل ص ١٥٧ ، والتبيان ص ١٢٠ .

(٣) الدلائل ص ١٥٧

(٤) سبقت ترجمته ص ١٠١ من هذا الكتاب وانظر الدلائل ١٦٩ .

الجملة الحالية التى يمتنع فيها الواو

إشارة : الجملة الحالية التى يمتنع فيها الواو هى :

المضارع المثبتَ ذو الضمير لصاحبه ، كقوله تعالى : ﴿ ونَذَرُهُمْ فى طُغْيانهمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وسَيُجَنَّبُهَا الأتْقى الذى يُؤتِى ماله يَتزكّى ﴾ (٣) .

وعلّته : أن المضارع يَدُل بالوضع على زمان الحال ، فنستغنى عن الواو الزمانية ، وكما أنه يمتنع فيه الواو ، كذا يجب أن يكون فيه ضمير ؛ ليدل على الربط .

لا يقال : « جاء زيد يتكلم عمرو » .

إن قيل : قد جاء المضارع المثبت بالواو ، كقول العرب : « قمت وأصكّ (*) عينه ووجهه » وقول ابن همام السلولى (٤) :

فلما خشيتُ أظافيرَهمْ   نجوتُ ، وأرهَنُهم مالكًا

قلنا : قد أجبتُ عنه بوجهين :

أحدهما : أن يكون المبتدأ محذوفاً ، أى : وأنا أصك ، وأنا أرهن .

والثانى : ما قاله عبد القاهر (٥) بالمنع من كونها للحال ، بل للعطف ، إلا أنه أبرز الماضى بصيغة المضارع ، لحكاية الحالِ الواقعة ، وأمْنِ الالتباس ؛ لكون المعطوف عليه ماضياً ، ومثله قول الشاعر (٦) :

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٠   (٢) سورة المدثر آية ٦

(٣) سورة الليل آية ١٧ ، ١٨   (*) صك : لطم .

(٤) أظافيرهم : كيدهم وأذاهم ، ومالك : رجل صحب الشاعر فى فراره من عبد الله بن زياد وجنده الأمويين ، وقد ذكره عبد القاهر فى مبحث الجملة الحالية بالواو فى دلائل الإعجاز ١٥٩ ، وأنساب الأشراف ٢٩٣/١ .

(٥) دلائل الإعجاز ص ١٥٩ ، ١٦٠

(٦) البيت لعميرة بن جابر الحنفى ، وأنشده الأصمعى فى الأصمعيات منسوبا إلى شمر بن عمرو الحنفى ص ٧٤ ، الكتاب ٤١٦/١ ، والدلائل ص ١٥٩ ، والخزانة ١٧٣/١ .

ولقد أمُرُّ على اللئيم يسبُّنى　　　فمضيتُ ، ثُمّتَ قلتُ لا يَعْنينى

ويدل على أن الواو فى مثلها للعطف أنها تجئ أيضاً بالفاء ، كقول عبد الله ابن عتيك حين دخل على أبى رافع اليهودى ، قال : « انتهيتُ إليه فإذا هو فى/ ٣٨/ ب بيت مظلم ، لا أدرى أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع ! قال : من هذا ؟ ، فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش » [*] فعطف قوله : فأضربه على الماضى ؛ لكونه فى المعنى ماضياً . هذا فى المضارع المثبت .

وأما المنفى فكذلك تمتنع الواو ؛ والعلة واحدة ، قال تعالى : ﴿ وما لنا لا نُؤْمِنُ باللّهِ ﴾ [1] وقال عكرمة العبسى [2] :

مضَــوا لا يريــدون الرواح وغالهَمْ　　　مــن الدهــر أسبابٌ جرين على قدْرِ

وقال خالد بن يزيد بن معاوية [3] :

لــو أنّ قــومــاً لارتفــاع قبيلــةٍ　　　دخلوا السماءَ ، دخلتُها ، لا أُحْجَبُ

وقال الأعشى [4] :

وكــان سفاهــةً منــىّ وجهــلاً　　　مَســيرى ، لا أســيرُ إلى حميــم

أى : مسيرى غير سائر إلى حميم .

وهم وتنبيه :

ذهب أهل العربية كلهم إلى أن حكم المضارع المنفى حكم الماضى ، فى جواز الإتيان بالواو وتركها ، ومثلوا لعدم الواو بما تقدم ، ولوجودها بقراءة ابن ذكوان :

(*) عبد الله بن عتيك الأنصارى صحابى جليل ، قتل أبا رافع بن أبى الحقيق عدوّ رسول الله بيده .

(١) سورة المائدة آية ٨٤ .

(٢) الرواح : العودة ، غالهم : أهلكهم ، شرح الحماسة ٤٩/٣ التبريزى ، والبيت فى الدلائل ص ١٦١ والتبيان فى علم البيان لابن الزملكانى ص ١٢٢ ط بغداد .

(٣) من أحفاد معاوية بن أبى سفيان وكان عالماً فيلسوفاً ، والبيت كناية عن علو قدره . والبيت فى الدلائل ص ١٦٢ والتبيان ص ١٢٢ ، الخزانة ١٩١/٣ .

(٤) البيت لعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بأعشى همدان . وقبل هذا البيت :

أتينا أصبهان ، فهزلتَنا　　　وكنا قبل ذلك فى نعيم

مجموع شعر الأعشين ٣٤١ ، والدلائل ص ١٦٢ ، وانظر التبيان ص ١٢٢ .

﴿ فاستقيما ولا تَتْبِعَانْ ﴾ [(١)] بتخفيف النون . وبقول بعض العرب : « كنت ولا أخشّى بالذيب » [(*)] . وبقول مسكين الدارميّ [(٢)] :

أكسبتْه الورقُ البيضُ أباً ... ولقد كان ولا يُدعى لأبْ

وقول مالك بن رفيع :

أقادوا من دمى ، وتوعّدونى ... وكنتُ وما يُنَهْنِهُنِى الوعيدُ [(٣)]

وفيه نظر ؛ لأن علة ترك الواو فى الإثبات حاصلة فى النفى ، فتجب المساواة إذ لا فارق سوى النفى ، ولا يصلح للمانعية .

ولم يزد المعاصر [(٤)] فى بيان جواز الأمرين على أن قال : وإن كان الفعل المضارع منفياً ، فيجوز فيه الأمران من غير ترجيح لدلالته على المقارنة ؛ لكونه مضارعاً ، وعدم دلالته على الحصول ؛ لكونه منفياً ، وفيه ما فيه .

والجواب عن قراءة ابن ذكوان بجواز كون المبتدأ مقدراً ، أى : وأنتما لا تتبعان كما جاء مثله فى الإثبات .

وعن البواقى : أنها كلها مصدَّرة بكان ، فزيدت الواو ؛ ليرتفع احتمال كونه خبراً لكان ، بأن تكون ناقصة ؛ لا للدلالة على المقارنة الزمانية ، فإنها حاصلة ؛ بل نظر إلى حكاية الحال الماضى ، كما نظر البلغاء زيادة الواو [(٥)] فى نحو « لا ورحمك الله » خوفاً من اللبس .

/ **إشارة** : الماضى مثبتاً كان أو منفياً يجوز فيه الأمران : الواو ، وتركه . /٣٩ أ

---

(١) سورة يونس آية ٨٩ ... (*) لا أرهب ولا أخوف .

(٢) الورق : المال والمراد الدراهم . الأغانى ٢١١/٢٠ والبيت فى الدلائل ص ١٦٠ والتبيان ١٢١ : « أكسبته الورق البيض أبا » .

(٣) جنى مالك بن رفيع جناية فطلبه مصعب بن الزبير ، فقال هذا البيت . وقبله :

بَغانى مصعبٌ وبنو أبيه ... فأين أحيد عنهم ؟ لا أحيد

الدلائل ص ١٦١ ، والتبيان ١٢١ . انظر بغية الإيضاح ٩٩/٢ ط صبيح .

(٤) الإيضاح ٩٧ والبغية ٩٨/٢ .

(٥) فى الأصل : فإنها حاصلة نظراً إلى حكاية الحال الماضى . نظير ذلك زيادة البلغاء الواو فى نحو : لا ورحمك الله . والعبارة غير مستقيمة .

أما الواو ، فلتدل على المقارنة الزمانية ، وأما تركها ، فلأن (قد) مقربة للماضى إلى زمان الحال ، فاكتفى بها ، ولا بد من قد ظاهرة أو مقدرة .

وأما إذا كان منفياً ؛ فلأنه لم يأت الماضى الصريح اللفظى ، وإنما جاء المضارع المنفى بلم أو لمّا ، وقد عرفتَ أنه لم يخرج عن وضعها فى الدلالة على ذلك الحال ، فيكون حكمه حكم المثبت ، وهذا على خلاف المشهور .

مثال الواو ، قوله تعالى : ﴿ أنّى يكونُ لى غلامٌ وقد بلغَنِى الكِبَرُ ﴾ [1] وقوله : ﴿ أنّى يكون لى غلامٌ وكانت امرأتى عاقراً ﴾ [2] وقول امرئ القيس :

فجئتُ وقد نَضَّت لنومٍ ثيابَها لدى السترِ إلا لبسةَ المتفضلِ [3]

ومثالها فى النفى ، قوله تعالى : ﴿ أوْ قال أُوحِيَ إلىّ ولم يُوحَ إليه شىءٌ ﴾ [4] وقوله : ﴿ أمْ حسبتمْ أن تَدخلوا الجنةَ ولمّا يَأتكمْ مثلُ الذين خَلَواْ من قبلكم ﴾ [5] .

وقول كعب [6] :

لا تأخذنّى بأقوال الوشاة ، ولم أذنب ، وإنْ كَثُرتْ فىّ الأقاويلُ

وقول الآخر :

بانتْ قِطام ، ولما يَحْظَ ذو مِقةٍ منها بوصل ولا إنجازِ ميعاد [7]

ومثاله بغير الواو فى الإثبات ، قوله تعالى : ﴿ جاءوكم حَصِرَتْ صدورهم ﴾ [8] أى : قد حصرت .

وقول الشاعر :

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٠ (٢) سورة مريم آية : ٨

(٣) البيت من معلقة امرئ القيس ، نضت : نزعت ، لبسة : هيئة اللباس ، المتفضل : الذى يلبس ثوباً واحداً .

(٤) سورة الأنعام آية : ٩٣ (٥) سورة البقرة آية : ١١٤

(٦) البيت لكعب بن زهير بن أبى سلمى ، وفيها يعتذر إلى الرسول ويمدحه ومطلعها :

« بانت سعاد فقلبى اليوم متبول » ديوانه ص ٦ شرح السكرى ط الدار القومية .

(٧) قطام : اسم امرأة ، المقة : الحب ، والبيت للشرقى بن القطامى الشاعر الأموى وليس بالديوان (بيروت) . (٨) سورة النساء آية ٩٠

أتيناكـم قـد عَمَّكُـمْ حـذرُ العدا فنلتم بنا أمْنا ، ولم تَعْدَموا نَصْرا [١]

وقول الآخر [٢] :

متـى أرى الصبحَ قد لاحتْ مخايلُه والليـلَ قد مُزقتْ عنـه السـرابيلُ

ومثاله فى النفى ، قوله تعالى : ﴿ فانقلبوا بنِعْمَةٍ من اللّه وفَضْلٍ لم يَمْسَسْهُمْ سوءٌ ﴾ [٣] ، وقوله : ﴿ وردَّ اللّهُ الذين كفـروا بغيْظِم لم ينالوا خَيْراً ﴾ [٤] ، وقول زهير :

كـأن فُتـات العِهْـن فى كل منزلٍ نزلن بـه حَـبُّ الفَنا لم يُحَطَّـمِ [٥]

* * *

(١) عمكم حذر العدا : شملكم الخوف من الأعداء . والبيت لا يعلم قائله .

(٢) لاحت مخايله : ظهرت علاماته ، والسرابيل : المراد بها الظلمة ، والبيت لخندج بن خندج المرِّى الشاعر الأموى ، شرح الحماسة للتبريزى ٤/ ١٦٠ ، انظر الدلائل ص ١٦٢ والتبيان ١٢٤ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٤ (٤) سورة الأحزاب آية ٢٥

(٥) العهن : الصوف ، حب الفنا : عنب الثعلب . والبيت من معلقة زهير ومطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانــة الدراج فالمتثلـم

(ديوانه ص ١٢)

الركن الثامن
فى الإيجاز والإطناب والمساواة

إشارة : لما كانت هذه الثلاثة من الأمور الإضافية ، والأمور الإضافية لا بد لها من أمر تُضاف إليه ، جعل السكاكى ذلك الأمر متعارف الأوساط ، وقال:

الإيجاز : هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط .

والإطناب : هو أداؤه بأكثر من عباراتهم [١] .

ولقد أحسن المعاصر فى قوله : « إنه أساء فى ذلك ؛ لكونه رداً إلى جهالة ، فيكون من باب تعريف الشئ بما هو أخفى » [٢] .

وأيضا إن صح قوله ، فإنما يصح على تقدير أن يكون متعارفهم محصورا فى المساواة ، لكنه ليس منحصرا فيها ؛ إذ توجد فى كلامهم ضمن الإطناب والإيجاز أيضاً [٣] .

/٣٩ ب / والحق : أن ذلك الأمر المقيس عليه هو المعنى المراد .

فإن كانت العبارة وافية بأداء المعنى المراد ، وهى أقل منه ، فهو الإيجاز .

وإن كانت أكثر لا على وجه التكرير والحشو ، فهى الإطناب .

وإن كانت مثله ، فهى المساواة .

وإنما قيدْنا العبارةَ بكونها وافية فى الإيجاز .

وقيدناها بكونها لا على وجه التكرير والحشو فى الإطناب ؛

لأنها لو كانت غير وافية ، كانت إخلالاً لا إيجازا .

ولو كانت تكرارا أو حشوا ، كانت تطويلا ، لا إطنابا .

---

(١) أى عبارات متعارف الأوساط . المفتاح ١٥٠ والإيضاح ١٠١ .

(٢) الإيضاح ١٠١ والبغية ١١١/٢ .

(٣) فى الأصل : إذ توجد فى كلامهم للإطناب ، وللإيجاز أيضا ، وقد أثبتنا ما أراده المؤلف .

مثال الإخلال ، قول عروة بن الورد [١] :

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسَهم ومقتلُهمْ عند الوغى كان أعذَرا

أراد : يقتلون نفوسهم فى السلم ، فأخلّ . وقول الحارث بن حِلِّزة [٢] :

والعيشُ خيرٌ فى ظلا لِ النُّوكِ ممن عاش كَدّاً

أراد : العيش الطيب فى ظلال النوك خير من العيش الخشن فى ظلال العقل ، فأخل . ومثال التكرار : قوله [٣] :

وألفى قولهَا كذِباً ومَيْناً

والكذب والمين واحد .

ومثال الحشو المفسد للمعنى قول أبى الطيب [٤] :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبــرِ لــولا لقــاءُ شَعُــوب

فإنّ ذكر الندى حشو مفسد للمعنى ؛ لأنه أراد : أن الشجاعة لا فضل لها فى الدنيا إلا بتجويز الموت ، فإن الرجل إذا علم أنه لا يموت ، لم يكن لشجاعته

---

(١) فى الديوان : « عجبت لهم ، إذ يخنقون نفوسهم » والبيت من قصيدة مطلعها :

ونحن صبحنا عامرا ، إذ تمرست عــلالة ارمــاح وضــربا مذكرا

(ديوانه ٤١ وترجمته فى الشعر والشعراء ص ٦٧٥)

(٢) النوك : الحمق ، والكد : التعب . وقبل هذا البيت :

مــن يجــد لا يضر كمــا أوليت جــدا

معاهد التنصيص ٣٠٨/١

(٣) صدر البيت : « وقدمت الأديم لراهشيه » ، الأديم : الاهاب والجلد ، الراهشان : عرقان فى باطن الذراعين ، والمين : الكذب ، والبيت لعدى بن زيد العبادى .

(انظر الشعر والشعراء ٢٢٧ ، حماسة البحترى ١٧٢) .

(٤) الندى : الجود ، شعوب : الموت ، والبيت من قصيدة يعزى فيها سيف الدولة عن عهده ليمان التركى . ومطلعها :

لا يحزن الله الأمير فإننى لآخــذ مــن حالاته بنصيب

(ديوانه ٥٠/١)

مزيد فضل ، بخلاف ما إذا علم أنه لا بد من الموت ، فإن شجاعته حينئذ أفضل ، وليس كذلك الندى ، فإن أمره بعكس ذلك ، ولذلك قال طرَفة [1] :

فإن كنتَ لا تسْطيعُ دَفْعَ منيتى فذرنى أبادرها بما ملكتْ يدى

وقال مهيار [2] :

فكُلْ إنْ أكلتَ ، وأطعِمْ أخاك فلا الزادُ يبقَى ولا الآكِلُ

ومثال الحشو غير المفسد ، قول الشاعر [3] :

ذكرتُ أخى فعاودنى صُداعُ الرأس والوَصَبُ

فإن ذكرَ الرأسِ فيه حشو ، لكنه غير مفسد للمعنى ، وإنما قلنا : إنه حشو ؛ لأن الصداع لا يكون إلا للرأس . وكذا قول زهير [4] :

وأعلم علمَ اليوم والأمسِ قبلَه ولكننى عن عِلْم ما فى غدٍ عَمِ

٤٠/أ / فإن قوله « قبله » حشو غير مفسد للمعنى ، وقد ظن من ليس له طبع سليم أن من هذا الباب ما قيل [5] :

---

(١) البيت لطرفة بن العبد من معلقته ومطلعها :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

(ديوانه ص ٣٢)

(٢) الشاعر هو مهيار بن مرزويه الديلمى كان مجوسيا وأسلم على يدى أستاذه الشريف الرضى وتوفى سنة ٤٢٨ هـ . ديوانه ٣/ ١٢٠ ط . دار الكتب .

(٣) الوصب : التعب والمرض ، والبيت لأبى العيال بن أبى عنترة الخفاجى الهذلى من قصيدة يرثى فيها ابن عم له مطلعها :

فتى ما غادر الأجنا د ، لا نِكْسٌ ولا جَنَبُ

ديوان الهذليين ٢٤٢

(٤) والبيت من معلقته ومطلعها : « أمن أم أوفى دمنة لم تكلم » والبيت كما فى الديوان :

وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله لكننى . عن علم ما فى غد عَمِ

(ديوانه ص ٢٩ ط . دار الكتب)

(٥) الأركان : أركان الكعبة ، دهم المهارى : النوق السوداء المنسوبة إلى مهرة ، الغادى : الذى يسير أول النهار ، والرائح : الذى يعود آخره ، الأباطح : مسيل واسع فيه حصى ورمال ، والأبيات تنسب إلى كثير عزة ، وإلى يزيد بن الطثرية ، ونسبها الشريف المرتضى فى أماليه للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى (٢/ ١١٠) . والأبيات فى الخصائص ١/ ٧٠ ، والتبيان ٤٥ ، والشعر والشعراء ص ٨ ، والدلائل ٥٩ ، والاسرار ٢٧ .

ولما قضينا مـــن منىً كلَّ حاجةِ ومَسَّحَ بالأركانِ مَــنْ هو ماسحُ
وشُدَّتْ على دُهْمِ المَهارى رحالُنا ولم ينظُر الغادى الذى هو رائحُ
أخــذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا وسالتْ بأعناقِ المَطــيِّ الأباطحُ

وليس منه ، وقد شهد به ذو الطبع النفاذ ، والذهن الوقاد : الشيخ عبد القاهر الجرجانى قدس الله روحه ، كيف وأنها قد اشتملت على الإيجاز والمساواة ، مع استعارات لطيفة ، وعبارات عذبة ، يلتذُّ بها الطبع السليم ، الذى هو المعيار المستقيم ! .

وفى الجملة : الكلام باعتبار مقايسته إلى المعنى ، يعرض له خمسة أوصاف : الإيجاز ، والإطناب ، والمساواة ، والإخلال ، والتطويل ، والأخيران مردودان بالإطلاق ، والثالث مقبول بالاتفاق ، والأوّلان : مقبولان إن وقعا موقعهما ، وإلا فمردودان .

* * *

الإيجاز

إشارة : إلى الإيجاز .

الإيجاز على ضربين : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف .

١ - إيجاز القصر

والأول على نوعين : الأول : أن تكون الجملة مستوفية مقتضياتها ، لكنها معللة بمقدمات مقدّرة ، كقوله تعالى : ﴿ ولكمْ فى القصاصِ حيَاةٌ ﴾ [(١)] تقديره : لكم فى القصاص ردع عن القتل ، وفى الردع ارتداع عنه ، وفى الارتداع عنه عدم القتل ، وعدم القتل حياة ، فكان [(٢)] « لكم فى القصاص حياة » ، ورجح هذا الكلام على قول العرب (القتل أنفى للقتل) بوجوه ثمانية :

(أ) أنه أوْجزُ لفظاً ، لكون حروفه عشرة ، وحروف قولهم أربعة عشر .

(ب) أن فيه دلالة على الحياة بالمطابقة ، ودلالة قولهم عليها بالالتزام ، ودلالة المطابقة أقوى ، فيكون أزجر عن القتل .

(ج) أن فيه تكثيرَ الحياة بسبب تنكيرها ، كقولهم : « إنّ إبلا وإن غنما » أى : إن لنا إبلا كثيرة وغنما كثيرا .

(د) أن القتل الرادع عن القتل هو الذى على وجه القصاص لا مطلق القتل فإن القتل الذى ليس للقصاص ربما يدعو إلى القتل فيكثر القتل ، كقتل عثمان ابن عفان مثلاً ، فلا يكون أنفى للقتل ، بل أبقى له ، وكلامهم مطلق .

٤٠/ ب / (هـ) أنه سالم عن عيب التكرار ، بخلاف قولهم .

(و) أن كلامه غير محتاج إلى تقدير ، بخلاف قولهم ، فإنّ « أنفى » أفعل التفضيل ، وأفعل التفضيل لا يستعمل إلا مع اللام ، أو من ، أو الإضافة ، ولم يذكر معه شئ منها .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٩

(٢) فى الأصل (بنسخ) بدل من (فكان) فأثبتناما يتمشى مع المعنى .

(ز) أنّ فيه جمعا بين المتقابلين ، وهو : القصاص والحياة ، فيكون طباقا ، وهو من محاسن الكلام .

(ح) أنه جعل القصاص كمعدن الحياة ، أو منبع تنبع منه الحياة .

إشارة : إلى النوع الثانى من إيجاز القصر :

هو أن يؤتَى بألفاظ دالة على معنى أو معانى مجملة ، إذا فُصِّل أو فصلت صارت معانى كثيرة ، كقوله تعالى خطاباً لنبيه : ﴿ خُذ العَفْوَ وأمُرْ بالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عنِ الجاهلينَ ﴾ [1] نقل عن جعفر بن محمد الصادق [2] عليه السلام : أن اللّه تعالى أمر نبيه فيها بجميع مكارم الأخلاق ، وصدق عليه السلام ؛ لأن مكارم الأخلاق ، عبارة عن إصلاح القوى الثلاث : العاقلة ، والشهَوِية ، والغَضَبية .

أما العاقلة : فمستغنية عن إصلاحها فى حقه عليه السلام ، لكونها مجبولة على الصلاح .

وأما الشهَوية : فأشار إلى إصلاحها بقوله « خذ العفو » أى : خذ من المشتهيات : من المأكول والملبوس والمشروب والمنكوح ما أتاك بسهولة ، ودع ما احتاج إلى قسر فى طلبه وحصوله ؛ لأن طلب مثله يستلزم رداءتك من الشره والحرص والحزن والحسد ، ورداءة الهمة ، وخساسة الطبع ، والعداوة والغفول عن المهمات الدينية ، وغير ذلك .

وأما الغضبية : فأشار إلى إصلاحها بقوله : « وأعرِضْ عن الجاهلين » فإن الإقبال إليهم يستلزم الرذائل الثلاث ، وهى : الغضب والجبن والخوف .

والأول : يحصل عن إفراط القوة ، والثانى : عن تفريطها ، والثالث : عن رداءتها ، وكل واحدة من الأولين يستلزم رذائل أخر :

---

(١) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

(٢) هو جعفر بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على رضى اللّه عنه وتوفى سنة ١٤٨ هـ .

فالغضب : يستلزم الندامة ، وتوقُّع المجازاة فى العاجل والآجل ، ومقتَ الأصحاب ، واستهزاءَ الأراذل [1] ، وشماتةَ الأعداء ، وتغيرَ المزاج ، والتألمَ فى الحال .

والجبن : يستلزم مهانة النفس ، وسوء العيش ، وطمع الأخساء وغيرهم من الأهل والأولاد ، وأصحاب العائلات ، وقلة الثبات فى الأمور ، والكسل ، وتمكين الظلمة من الظلم ، والرضا بفضائح تحدث فى النفس والأهل والمال ، واستماع قبائح وفواحش من الشتم والقذف ، وعدم الاستنكاف مما يجب أن يُستنكف عنه ، وتعطيل المهمات .

وأما / قوله : « وأمر بالعرف » فليس من مكارم الأخلاق ؛ بل هو إشارة ‎/٤١ أ إلى علم السياسة ، والمراد منها : تدبير أهل المنزل وأهل البلد وكيفية معاشرتهم، حتى تكون أمورهم منتظمة ، مؤدية إلى كمالهم اللائق بهم ، وينحصر التدبير - وإن كثرت تفاصيله - فى الأمر بما هو راجح عند العقل ، والنهى عما هو مرجوح عنده ، والراجح هو العرف ، والمرجوح هو المنكر ، والأمر بالأول يستلزم النهى عن الثانى ؛ لأن ما كان فعله راجحا فتركه مرجوح ، وبذلك اقتصر على الأول وقال : وأمر بالعرف .

ومن هذا النوع ما كتبه عمرو بن مسعدة [2] عن المأمون إلى بعض العمال - كتاب عناية - : « كتابى إليك كتابُ واثقٍ بمن كتب إليه ، معنىٌّ بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله » .

٢ - إيجاز الحذف

إشارة : إلى إيجاز الحذف :

إيجاز الحذف ، هو : حذف بعض متعلق الكلام للقرينة .

---

(١) فى الأصل : واستهزاء الأرذال .

(٢) من كبار الكتاب والوزراء فى عهد المأمون بن هارون الرشيد وهو تركى الأصل توفى سنة ٢١٤ هـ . معجم الأدباء ٨٨/٦ ، ومعجم الشعراء ٢١٩ .

ثم المحذوف إما مضاف ، نحو : ﴿ حُرِّمَتْ عليكم الميْتَةُ ﴾ (١) أى : تناولها . وقوله : ﴿ لِمَنْ كان يَرْجُو اللّه ﴾ (٢) أى : ثوابه . ﴿ يخافون ربَّهم ﴾ (٣) أى : عقابه .

أو مضاف إليه ، نحو : يا رب - أى : ربى .

أو موصوف ، كقوله (٤) :

« أنَا ابـــنُ جَـــلاً »

أى : رجل جلا .

أو صفة كقوله تعالى : ﴿ وكان وَرَاءَهُمْ مَلِك يأخُذُ كلَّ سفينةٍ غَصْبًا ﴾ (٥) أى : سفينة صالحة .

وإما شرط ، نحو : أكرِم الرجل إن كان مسلما ، وإلا فأهنه ، أى : إن لم يكن مسلما .

أو جواب لمجرد الإيجاز ، كقوله تعالى : ﴿ وإذا قِيل لهمْ اتّقُوا ما بين أيديكُم وما خلفكمْ لعلكم تُرحَمُون ﴾ (٦) أى : أعرضوا ؛ لقرينة قوله بعدها ، ﴿ إلاّ كانوا عنها مُعْرِضِين ﴾ (٧) .

أو ليدل على أنه شئ لا يحيط به الوصف لفخامته ، وليذهب وهمُ السامع كلَّ مذهب ، إذ لو ذُكر ، ربما هان عليه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ حتّى إذا جاءوها وفُتحَتْ أبوابُها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكُم طِبْتُمْ فادْخلُوها خالدين ﴾ (٨) ،

---

(١) سورة المائدة آية ٣ وفى النسخة المصورة : حرمت عليهم الميتة .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ والممتحنة آية ٦ . (٣) سورة النحل آية ٥٠ .

(٤) وتمام البيت :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفونى

وطلاع الثنايا ، أى صَعود الأماكن المرتفعة والمراد أنه عالى الهمة ، والبيت لسحيم بن وثيل الرياحى ، (الكامل ١/١٣٢ ، الأغانى ١٢/١٤ ، خزانة الأدب ١/١٢٣) .

(٥) سورة الكهف آية ٨٩ (٦) سورة يس آية ٤٥

(٧) سورة يس آية ٤٦ (٨) سورة الزمر آية ٧٣

وكقوله : ﴿ ولو تَرى إذْ وُقِفُوا على ربِّهم ﴾ (١) ، ﴿ ولو تَرى إذ المجرمون ناكِسُوا رءوسِهِمْ ﴾ (٢) .

ومن هذا الباب ، حذف الصلة ، كقولهم : (بعد اللُّتَيَّا والتى) (٣) .

أو المفعول به ، أو جار ومجرور ، وقد جمعهما قول الشاعر (٤) :

أَلَمَّتْ فحيَّتْ ثُم قامتْ فودَّعَتْ فلمَّا تولتْ كادتِ النفسُ تَزْهَقُ

أراد : ألمت بنا فحيتنا ، ثم قامت عنا فودعتنا ، فلما تولت عنا كادت النفس منا تزهق . قال حذاق الكلام : إنه أجمع بيتٍ للعرب للمعانى ، فإنه عبر عن معانى كثيرة / بجمل ست فى بيت واحد ، وفيه إيجاز قصر ، وإيجاز حذف . ٤١/ ب

أو منادى ، نحو : ﴿ ألاَ اسْجُدُوا ﴾ (٥) .

أو حرف النداء ، نحو : ﴿ يوسفُ أَعرِضْ ﴾ (٦) .

أو حرف النداء مع بعض المنادى ، نحو : ﴿ ربِّ ارحَمْ ﴾ (٧) أى : يا ربى .

أو الصلة والموصول معاً ، كقوله تعالى : ﴿ لا يستوى منكمْ مَنْ أنفقَ مِن قبلِ الفَتْحِ وقاتلَ ﴾ (٨) أى : ومن أنفق بعده وقاتل .

أو جملة معللة بالمذكورة ، كقوله تعالى : ﴿ لِيُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطِلَ ﴾ (٩) أى فعل ما فعل ؛ ليحق الحق .

وقوله تعالى : ﴿ ليدخلَ اللّهُ فى رحمته مَنْ يشاء ﴾ (١٠) أى : كان الكفّ ، ليدخل الله .

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٠ (٢) سورة السجدة آية ١٢

(٣) جاء بعد اللتيا والتى : بعد الشقة والجهد ، وهذا التعبير كناية عن بلوغ الشدة نهايتها حتى يبهت الرجل ولا يحير ببنت شفة .

(٤) لم أعثر على قائله . (٥) الآية فى القرآن « ألا يسجدوا لله » النمل آية ٢٥

(٦) سورة يوسف آية ٤٦

(٧) صحة الآية « وقل رب اغفر وارحم » سورة المؤمنون آية ١١٨

(٨) سورة الحديد آية ١٠ (٩) سورة الأنفال آية ٨

(١٠) سورة الفتح آية ٢٥ ، وذكر الكف هنا إشارة إلى الآية السابقة : وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم .

أو علة للمذكورة ، كقوله تعالى : ﴿ فَتُوبوا إلى بارِئكم فاقْتُلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكمْ عند بارِئكمْ فتاب عليكم ﴾ [1] أى : فاقتتلتم فتاب عليكم ، وقوله تعالى : ﴿ فقلنا اضربْ بعصاك الحجر فانفجَرتْ ﴾ [2] أى : فضربها فانفجرت .

أوْ لا علة ولا معلولة ، كقوله تعالى : ﴿ فقلنْا اضربوه ببعْضها كذلك يحْيِى اللّهُ الموتَى ﴾ [3] أى : فضربوه بها فحييَ ، فقلنا كذلك يحيى الله . وقوله تعالى : ﴿ أنَا أنبئكُمْ بتأويله فَأرْسِلونْ ، يُوسُف ﴾ [4] أى : فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ، فأرسلوه إليه ، فأتاه وقال له : يوسف ، ونظائره كثيرة فى القرآن .

إشارة : من إيجاز الحذف قوله تعالى حكاية : ﴿ ربِّ إنِّى وهَن العَظْمُ منّى واشتعلَ الرأسُ شيباً ﴾ [5] أصله : يا رب شخت ووهن عظام بدنى ، واشتعل شيب رأسى ، فحذف حرف النداء والمضاف إليه من المنادى كما تقدم ، ثم حذف شخت ؛ لاستلزام وهن العظام واشتعال الشيب إياه ، فاكتفى بالملزوم عن اللازم ، ولم يكتف بإحدى الصفتين عن الأخرى ؛ لعدم الملازمة بينهما ؛ لجواز وجود إحديهما بدون الأخرى . ثم حذف ذكر البدن ، اكتفاء بالمضاف إليه من المضاف كما تقدم ، فبقى : رب وهن عظامى ؛ لإرادة ثبوت الوهن لوجوب تقدير الخبر الفعلى بالاسم ، ولتأكيد المسند إليه أيضا لذكر المتكلم مرتين ضميرا مرفوعا ومجرورا ، ثم عدل إلى : إنىّ وهن عظامى ؛ لإرادة تأكيد الإسناد لكونه فى مظنة الإنكار ، ثم عدل إلى : إنى وهن العظم ؛ إما لإرادة النص على شمول الوهن لكل واحد من العظام ، لكون الجمع مشتركا بين الكل المجموعى والكل الإفرادى ، وعدم استلزام الأول / للثانى ، أو لأن دلالة الجمع على كل فرد ٤٢/ أ بالتضمين ، ودلالة الجنس عليه بالمطابقة ، والمطابقة أقوى من التضمين ، أو ليماثل الرأس فيكون أفصح ، وعرّفه بلام الجنس ؛ لتأكيد إرادته ، ثم لما عرفه امتنعت إضافته إلى المتكلم ، فعدل إلى « العظم منى » ، ثم عدل فى صفة الشيب إلى

---

(١) سورة البقرة آية ٥٤

(٢) سورة البقرة آية ٦٠

(٣) سورة البقرة آية ٧٣

(٤) سورة يوسف آية ٤٥ ، ٤٦

(٥) سورة مريم آية ٤

عبارة (اشتعل رأسى شيبا) سلوكا بطريق الإبهام والتفسير ؛ لفائدة تأتى : ثم عدل إلى (اشتعل الرأس شيبا) ؛ لطلب المجانسة بينه وبين العظم ، وحذف منى لقرينة ما تقدم .

إن قلتَ : أنتَ ادعيت فيها الإيجاز ، والانتقالات المذكورة غير مستلزمة له ، وأيضاً لو أراد الإيجاز ، لاكتفى - بشخت - لاستلزام الشيخوخة لوصفى الوهن والشيب .

قلتُ : إيجازها غير كونها أوجز ، والمدعى هو الأول ، ولا تنافيه الانتقالات ولا الاكتفاء بشخت ، على أن استلزام الشيخوخة للوصفين ممنوع ؛ لأنه فى أوائل الشيخوخة قد لا يحس الإنسان بالوهن ، وقد لا يشيب ، والوجود يشهد بذلك ، نعم إنه أكثرىّ وليس بدائم .

وللسكاكى [1] تقرير فى الآية على وجه آخر ، فيه نظر ، لولا خوف الإطالة لذكرته .



(١) المفتاح ص ١٥٥

الإطناب

إشارة : إلى الإطناب :

الإطناب هو : أن يزاد على أصل المعنى المراد زيادةٌ لفائدة ، وذلك على وجوه سبعة :

١ - الإبهام مع التفسير .

٢ - وذكر الخاص مع العام .

٣ - التكرير للزجر .

٤ - الإيغال .

٥ - التذييل .

٦ - التكميل .

٧ - التتميم .

١ - الإبهام مع التفسير

الأول : أن يكون على وجه الإبهام والتفسير ، نحو : رُبَّه رجلا ، ونعْم رجلا زيد ، وهو زيد منطلق ، لم يكتفوا فيها بالتفسير ابتداء ، إما لكونه أوقع فى الذهن لوروده مرتين ، أو لأن الإبهام يوجب ألمَ النفس ، لجهلها به ، والتفسير يوجب لذَّتهَا ، واللذة بعد الألم أقوى منها ابتداء ، وهذا معلوم بالوجدان . ومن الباب قوله تعالى :

﴿ وقضيناْ إليه ذلكَ الأمْرَ أنَّ دابِر هؤلاءِ مقطوعٌ مصْبِحين ﴾ [1] فإن قوله (ذلك الأمر) مبهم ، وما بعده تفسير .

ومن الباب ما سمَّوه : التوشيع ، وهو : أن يؤتى بمثنى مبهم ، ثم يفسر كقول الشاعر [2] :

---

(١) سورة الحجر آية ٦٦

(٢) الأبيات لعبد الله بن المعتز والبيت الثانى ورد هكذا فى شعر ابن المعتز صنعة الصولى :

فبت لدى ليلين بالشَّعر والدجى ... وصبحين من كأس ووجه حبيب

(٢/ ٤٠ ط العراق)

سقتنــــىَ فـــى ليل شبيه بشَعرها　　　شبيهــــة خَــدَّيهــا بغيــر رقيب

فما زلتُ فى ليلين : شَعرٍ وظلمةٍ　　　وشمسين : من خمرٍ ووجه حبيب

/ وقول البحترى (١) :　　　٤٢/ب

وسفَـــرْن ، فامتلأتْ عيونٌ راقَها　　　وَرْدان : وردُ جَنًــى ووردُ خــدودِ

فى حلتىْ وشْىٍ وحُسْنٍ ، فالتقى　　　وشيان : وشىُ رُبىً ، ووشىُ بُرودِ

وهم وتنبيه :

جعل المعاصر (٢) نحو قوله تعالى : ﴿ ربِّ اشرحْ لى صدرى ويسِّر لى أمْرِى ﴾ (٣) من باب الإبهام والتفسير ، وليس منه .

وجعل نحو قوله تعالى : ﴿ إنَّ ربك للذين عَملوا السوءَ بجَهالةٍ ثُمَّ تابوا من بعد ذلك وأصْلَحوا إن ربّك من بعدها لغفور رحيم ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ إنَّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنُوا ثم جاهَدوا وصَبروا إنَّ ربك من بعدها لغفورٌ رحيم ﴾ (٥) لمجرد طول الكلام ولم يجعله من الباب ، فأدخل ما ليس منه ، وأخرج ما هو منه ، وذلك وهم منه .

أما الأول : فلأن استيفاء الفعل متعلقاته ليس من باب الإطناب ، وإلا لكانت الجملة الفعلية كلها منه ؛ لاقتضاء الفعل مقتضيات من المفعولات وغيرها ، وإذا تركت كان الفعل مبهما ، وإذا ذُكرت كان مفسرا بها . لكن ليس فليس .

وأما الثانى : فلأنه توهم أن الجار والمجرور فى الآيتين – وهو « للذين » – متعلق بغفور رحيم ، وجعل (إن ربك) الثانية تكرارا يطول به الكلام ، وليس

---

(١) الربى : جمع ربوة وهو ما ارتفع من الأرض ، والبرود : الثياب المخططة ، والبيت الثانى فى الديوان ، « فى حلتى : حبر وروض » ، بدلا من وشى وحسن . والبيتان من قصيدة يمدح فيها المتوكل مطلعها :

شغلان : من عذل ومن تفنيد　　　ورسيس حب : طارف وتليد

ديوانه ٢/٦٩٧

(٢) الإيضاح ص ١١١ والبغية ٢/١٣٣　　　(٣) سورة طه آية ٢٥ ، ٢٦

(٤) سورة النحل آية ١١٩　　　(٥) سورة النحل آية ١١٠

كذلك [1] ؛ بل الجار والمجرور فيهما متعلق بمحذوف ، أى : إن ربك حاصل لهم ، كما يقال : أنا لك ، والأمير لى ، ثم لما كان ذلك مبهما فسَّره ، وأعاد إن واسمها ، وجعل خبر الثانية تفسيراً للخبر الأول ، فإن علة كون الرب لهم ، بعد كونه غفورا رحيما .

* * *

(١) فى الأصل : وليس كذا .

٢ - ذكر الخاص مع العام

إشارة : إلى ذكر الخاص مع العام ، تنبيهاً على كونه أعظم وأهم بالذكر ، كقوله تعالى : ﴿ مَنْ كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريلَ وميكال ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلواتِ والصلاة الوُسْطَى ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ ولتكُنْ منكم أمَّةٌ يَدعُون إلى الخير ويَأمرونَ بالمعروف ويَنْهَون عن المُنْكر ﴾ (٣) وقول الشاعر :

أكـــرُّ عليهـــم دَعْلَجــا ولبـــانُـــه ... إذا ما اشتكى وقْعَ الرياحِ تَحمْحَما

دعلجا : اسم فرسه ، ولبانه : صدره .

٣ - التكرير للزجر

/٤٣ أ **إشارة** : إلى تكرير اللفظ لفائدة / التكرار للزجر ، كقوله تعالى : ﴿ كلاَّ سوف تعلمون ، ثم كلاَّ سوف تَعلمون ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ فبأيِّ آلاء ربكُما تُكذبان ﴾ (٥) فإنه تعالى ذكر نعمة ، وعقبها بهذا القول ، زجراً لهم .

إن قلتَ : قد عقب به ما ليس بنعمة كقوله : ﴿ يُرْسَل عليكما شُواظٌ منْ نار ونُحَاسٌ فلا تَنتَصِران ﴾ (٦) وقوله : ﴿ هذه جَهنَّمُ التى يُكَذِّبُ بها المجرمون ، يَطوفون بينها وبين حَميمٍ آنٍ ﴾ (٧) .

قلت : إنهما وإن لم يكونا نعمتين ، لكنهما يئولان إليهما (٨) ؛ لأنهما زجر عن الكفر والمعاصى ، والزجر عنهما يئول إلى النعمة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين ﴾ (٩) فإنه ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، أى : ويل للمكذبين بهذه القصة .

---

(١) سورة البقرة آية ٩٨
(٢) سورة البقرة آية ٢٣٨
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٤
(٤) سورة التكاثر آية ٣ ، ٤
(٥) سورة الرحمن فى آيات كثيرة . والآلاء : النعم .
(٦) سورة الرحمن آية ٣٥
(٧) سورة الرحمن آية ٤٣ ، ٤٤
(٨) فى الأصل : يؤولان إليها ؛ لأنها زجر عن الكفر والمعاصى .
(٩) سورة المرسلات فى آيات كثيرة .

٤ - الإيغال

إشارة : إلى الإيغال ، وهو : أن يشبه شئ بشئ ، ثم يردف بلفظ يدل على كماله كقول الخنساء [١] :

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به　　　كأنــه عَلَمٌ فى رأسه نار

فإن التشبيه حصل بقولها : كأنه علم ، لكنها كملته بقولها : فى رأسه نار .

وكقول ذى الرمة :

أظــن الذى يُجْدِى عليك سؤالُها　　　دموعاً كتبذير الجُمان المفصّلِ [٢]

شبه الدموع بالجمان وهو اللؤلؤ ، ثم كمله بقوله : المفصل .

وقول امرئ القيس [٣] :

كأنّ عيون الوحش حولَ خبائنا　　　وأرحُــلنا الجــزْعُ الذى لم يُثَقَّبِ

فإن قوله - لم يثقب - زيادة على التشبيه ، فكَمل له .

وأما ما عُدَّ منه من قول زهير [٤] :

كأنَّ فُتات العِهن فى كل منزل　　　نزلْن به : حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

وقوله تعالى : ﴿ اتّبعوا مَن لا يسألكم أجْراً وهم مُهْتدون ﴾ [٥] ففيه نظر :

أما البيت : فإن حب الفنا ظاهره أحمر وباطنه أبيض ، فلو حطم ، لم يحصل التشبيه ، إذ يصير حينئذ كالأبلق [٦] ، ولذلك قال : لم يحطم ، ليحصل به التشبيه ، لا ليكمل .

وأما الآية : فلأن الباب مختص بالتشبيه ، وليس فى الآية تشبيه .

---

(١) الخنساء هى تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى ترثى أخاها صخرا من قصيدة مطلعها :

قــذى بعينــك أم بالعيــن عوار　　　أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

{ الديوان ص ٤٩ ط بيروت }

(٢) ذو الرمة شاعر أموى اسمه غيلان بن عقبة توفى سنة ١١٧ هـ .

والجمان المفصل : اللؤلؤ الذى يفصل بين حبتيه بحبة أخرى . والبيت من قصيدة مطلعها :

قف العيسَ فى أطلال مية فاسأل　　　رســوما كأخلاق الرداء المسلسل

{ ديوانه ١٤٥١/٣ ط دمشق }

(٣) الخباء : الخيمة ، الجزع : الخرز ، والبيت من قصيدة مطلعها :

خليلىَّ مرا بى على أم جندب　　　نقضى لبانات الفؤاد المعذب

(ديوانه ٥٣)

(٤) البيت من معلقته ، وقد سبق ذكره ص ١٢٣ .　　　(٥) سورة يس آية ٢١

(٦) الأبلق والبلق : السواد المختلط بالبياض . والفرس الأبلق : الذى يرتفع فيه التحجيل إلى الفخذين . { اللسان مادة بلق } .

٥ - التذييل

إشارة : إلى التذييل ، هو : تعقيب الجملة بجملة أخرى بمعناها ، للتوكيد ، سواء كانت الثانية مستقلة بنفسها ، أوْ لا . كقوله تعالى : ﴿ ذلك جزَيْنَاهُمْ بما / ٤٣/ ب كفروا وهل نُجازِى إلاَّ الكَفور ﴾ [١] أى : عاقبناهم بما كفروا ، استعمالا للعام موضع الخاص ، لقرينة كفروا ، ولمّا كان شئ واحد يجوز أن يكون له أسباب كثيرة ، لا يلزم انتفاءُ واحد منها انتفاء السبب ، أكد الجملة بقوله : ﴿ وهل نجازى إلا الكفور ﴾ وليرفع احتمال المعاقبة بغير الكفر من أسباب أخر .

ومنه قول الحماسى [٢] :

فدعوا : نزالِ ، فكنتُ أولَ نازلٍ وعـــلامَ أركبـــهُ إذا لم أنــزلِ ؟

لما كان نزوله يحتمل أن يكون إنعاما ، لا ضربة لازب ، رفع الاحتمال بقوله :

« وعلام أركبه إذا لم أنزل »

ومنه قول أبى الطيب [٣] :

وما حاجةُ الأظعان حولك فى الدُّجى إلـى قمــر ؟ ما واجــدٌ لك عادمهْ

لما احتمل أن يكون نفى الحاجة إلى القمر فى بعض الأمور دون بعض ، رفع هذا الاحتمال بقوله : « ما واجد لك عادمه » أى : كل فوائد القمر حاصلة فى الممدوح .

ومنه قول ابن نباته [٤] :

لم يُبقِ جودك لى شيئا أؤملهُ تركتْنى أصحبُ الدنيا بلا أملِ

---

(١) سورة سبأ آية ١٧

(٢) البيت لربيعة بن مقروم الضبى ، ونزال بمعنى المنازلة فى الحرب والقتال ، وعلام بمعنى : لماذا . شرح ديوان الحماسة المرزوقى ١/ ٦٢ ، لجنة التأليف .

(٣) الأظعان : النساء فى الهودج أو القوم المسافرون ، وهى أول ما أنشد سيف الدولة يمدحه فيها . ومطلعها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا ، والدمع أشفاه ساجمه

{ ديوانه ٣/ ٣٣٠ }

(٤) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة من شعراء القرن الرابع الهجرى ، ديوانه ٤١١

لما كان الفعل لا دلالة له على ثبوت مصدره ، بل على حدوثه ، وأراد ثبوت بقائه بلا أمل ، رفع احتمال عدم ثبوت الحكم بقوله :

« تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل »

أى : أنَّ صُحبتى للدنيا ، وكونى بلا أمل ، متلازمان فى الوجود .

ومنه قول الحطيئة [1] :

تزور فتًى يُعطى على الحمد مَالَهُ ومن يُعْطِ أثمانَ المكارمِ يُحْمَدِ

لما كان زيارة الممدوح غير مستلزم لحمده ، جاز أن يُتوهم أنه يزوره بلا حمد ، فرفع الاحتمال بقوله :

ومن يُعْطِ أثمانَ المكارم يُحْمدِ

ومنه قوله تعالى : ﴿ وما جعلْنا لبشَرٍ مِنْ قَبْلك الخُلْدَ ، أفإنْ مِتَّ فَهُم الخالدون كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ﴾ [2] لما كان عدم الخلد قبل النبى ربما يتوهم أنه لا يستلزم عدمه بعده ، رفع الإحتمال بقوله : ﴿ أفَإنْ مِتَّ ﴾ الآية . وقد جمع فيها بين الجملة المفتقرة إلى الأولى وبين المستقلة بنفسها . ومنه قول الذبيانى [3] :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّهُ على شَعَثٍ ، أىُّ الرجالِ المهذَّبُ ؟

لما جاز أن يُتوهم أن عدم استبقائه أخاً غير ملوم ، غير مستلزم لعدم أخ غير محتاج إلى لَمِّه ، أى : إصلاحه ، رفع الاحتمال بقوله :

« أىُّ الرجالِ المهذَّبُ ؟ »

---

(١) من قصيدة يمدح فيها بغيض بن عمر بن شماس مطلعها :

آثرت ادلاجى على ليل حرة هضيم الحشا خسانة المتجرد

والبيت فى الديوان :

تزور امرأ يؤتى على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يحمد

{ ديوانه ص ١٦١ ط مصطفى الحلبى }

(٢) سورة الأنبياء آية ٣٤ ، ٣٥

(٣) لا تلمه على شعث : لا تقبله على علاته ، والبيت للنابغة الذبيانى من قصيدة يعتذر فيها للنعمان بن المنذر ويمدحه ، مطلعها :

أتانى - أبيتَ اللعن - أنك لمتنى وتلك التى أهتم منها وأنصب

{ ديوانه ص ٦٦ . نشر دار كرم بدمشق }

واستفهم للإنكار ، أى : لا تلقى رجلا مهذبا غير محتاج إلى اللمِّ ، أى : الإصلاح .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وقُلْ جاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ ، إنّ الباطل كان زَهُوقاً ﴾ [1] .

/٤٤ أ لما كان الحكم بحدوث زهوق الباطل ، غير مستلزم / للحكم بثبوته ، أكد الحكم ونص على الثبوت بقوله : ﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾ .

* * *

(١) سورة الإسراء آية ٨١

٦ - التكميل

إشارة : إلى التكميل ، **ويسمى الاحتراس** ، وهو : أن يكون الكلام محتملاً خلافَ المقصود منه ، فيؤتى بكلام آخر مزيل لاحتمال غير المقصود .

والفرق بينه وبين التذييل بوجهين :

الأول : أن الكلام الثانى فيه لا يكون بمعنى الأول ، بخلاف التذييل .

الثانى : أن احتمال غير المقصود فيه أقوى من التذييل .

وذلك الكلام : إما فى الوسط كقول طرفة [(١)] :

فسقى ديارَك - غيرَ مُفْسِدِها - صوبُ الربيع ، وديمةٌ تَهْمِى

فإن قوله : سقى ديارك ، كما يحتمل أن يكون على وجه الإصلاح ، كذا يحتمل أن يكون على وجه الإفساد ، فأزال احتمال غير المقصود بقوله (غير مفسدها) .

أو فى الآخر كقول كعب الغنوى [(٢)] :

حليمٌ إذا ما الحلمُ زيَّن أهلَه مع الحِلْم فى عين العدوِّ مَهيبُ

وكذا قول الحماسى [(٣)] :

وما مات منّا سيّدٌ فى فراشه ولا طُلَّ منا حيثُ كان قتيلُ

فإنه لو اقتصر على شمول القتل بقومه ، لأوهم ضعفهم ، فأزال هذا الوهم بقوله :

ولا طُلَّ منا حيث كان قتيل

---

(١) صوب الربيع : انصباب المطر فى الربيع . وديمة تهمى : المطر المستمر فى سكون . والبيت فى الديوان :

فسقى بلادك غير مفسدها صوب الغمام وديمة تهمى

وهو من قصيدة يهدد فيها المسيب بن علس . { ديوانه ص ٨٨ }

(٢) كعب الغنوى : شاعر إسلامى والبيت فى رثاء أخيه أبى المغوار .

(٣) لم يمت فى فراشه : كناية عن موته فى الحرب ، طل : أهدر ، والبيت للسموءل بن عادياء .
{ الحماسة ٨٢٤ }

ومنه قول أبى الطيب [1] :

أشدُّ من الرياح الهُوج بطْشًا وأسرعُ فى الندى منها هُبوبا

فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش ، لأوهم أنه عنف كله ، فأزال هذا الوهم بقوله :

وأسرع فى الندى منها هبوبا

ولم يتجاوز فيهما عن صفتى الريح ، وكأنه نظر فى الندى إلى قول ابن عباس : « كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس ، وكان أجودَ ما يكون فى رمضان كالريح المُرْسلَة » [*] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فسوف يأتى اللهُ بقوم يحبُّهمْ ويحبُّونه أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين ﴾ [2] فإنه لو اقتصر على قوله (أذلة) ، لتوهم أن ذلتهم عن عجز ، فأزال الوهم بقوله : ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ .

* * *

---

(١) البيت للمتنبى من قصيدة يمدح فيها على بن سيار مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضروبا فأعذرُهم أشفعهم حبيبا

{ ديوانه ١/١٤٢ }

(*) المرسلة : المنطلقة بالخير . (٢) سورة المائدة آية ٥٤

٧ - التتميم

إشارة : إلى التتميم ، وهو أن يزاد فى كلام زيادةٌ ، لا لإزالة غير المقصود ؛ بل لفائدة أخرى :

إما **للمبالغة** : كقوله تعالى : ﴿ ويُطْعِمون الطعام على حُبِّه ﴾ [١] أى : مع حب الطعام ، فإن الإطعام مع شدة المحبة له : والحاجة إليه ، أبلَغ فى الفضيلة . وقال الفضيل بن عياض : أى حب الله . وكلاهما جيد ، إلا أن الأول أجود من جهة اللفظ ، والثانى أجود من جهة المعنى .

أو **للاعتراض** : على وجه التنزيه ، كقوله تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات -سبحانه - ولهمْ ما يَشْتَهون ﴾ [٢] فإن قوله (سبحانه) اعتراض للتنزيه .

أو **للدعاء** : / كقول أبى الطيب [٣] : /٤٤ ب

وتحتقِـــرُ الدنيـــا احتقـــارَ مُجَـــرِّبٍ يرى كلَّ ما فيها - وحاشاك - فانيا

فإن قوله (وحاشاك) اعتراض للدعاء .

ومنه قول عوف الشيبانى :

إن الثمانيــــن - وَبُلِّغْتَهـا - قد أحوجتْ سمعى إلى تَرجُمَانْ [٤]

أو للتنبيه : كقوله [٥] :

واعلــمْ - فعلــمُ المــرء ينفعه - أنْ ســـوف يأتـــى كـــلُّ ما قُدرا

وقوله :

---

(١) سورة الإنسان آية ٨ (٢) سورة النحل آية ٥٧

(٣) من قصيدة يمدح فيها كافوراً ومطلعها :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحَسْـبُ المنايا أن يَكُـنَّ أمانيا

{ ديوانه ٤/ ٢٩٠ }

(٤) الترجمان : المترجم من لغة إلى أخرى . والبيت لعوف بن محلّم الشيبانى (الأمالى - للقالى ١/ ٥٠) .

(٥) أنشده أبو على الفارسى ولم يعزه إلى أحد . معاهد التنصيص ١/ ٣٧٧ .

فلا هجرهُ يبدو - وفى اليأس راحة - ولا وَصْلُـه يبـدو لنا فنكـارمُهْ [١]

أو يكون تخصيصا لأحد مذكورَين للمبالغة ، كقوله تعالى : ﴿ ووصينَا الإنسان بوالديه حملتْه أمهُ وهْناً على وَهْنٍ ، وفِصَالُه فى عامينَ ، أنِ اشكُرْ لى ولوالديكَ ﴾ [٢] .

وقد يأتى اعتراض فى اعتراض ، كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسمُ بمواقع النُّجوم - وإنَّهُ لقسمٌ - لو تعلمون - عظيمٌ - إنَّهُ لقرآنٌ كريم ﴾ [٣] فيه اعتراض بين الصفة والموصوف : وبين القسم والمقسَم عليه .

وهم وتنبيه :

قال المعاصر [٤] : مما يجئ الاعتراض بين كلامين متصلين معنًى قوله تعالى : ﴿ فأتوهُنَّ من حيثُ أمركُمُ اللهُ ، إنَّ اللّه يُحبُّ التوّابين ويُحبُّ المتطهّرين ، نساؤكم حَرْثٌ لكُمْ ﴾ [٥] فإن قوله : « نساؤكم حرث لكم » بيان قوله : « فأتوهن من حيث أمركم اللّه » ، يعنى أن المأتى الذى أمركم به ، هو مكان الحرث ؛ دلالة على أن الغرض الأصيل فى الإتيان ، هو طلب النسل ، لا قضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من حيث يتأتى فيه هذا الغرض . انتهى كلامه . وفيه نظر :

أما أولاً : فللمنع من الاتصال المعنوى ، فلا يكون اعتراضا ، لتوقفه على الاتصال ، فإن علمك الاتصال بالبيان كان ردا .

وأما ثانياً : فإن قوله : ﴿ فأتوهُنَّ مِنْ حيثُ أمركُم اللّهُ ﴾ كما يحتمل أن يكون المراد به موضع النسل ، كذا يحتمل أن يكون المراد غيره من كونه بالعقد أو الملك ، فلا يصلح أن يكون قوله ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ بيانا له .

وأما ثالثاً : فإن البيان يجب أن يكون أَبْيَنُ من المبيَّن ، وليس ، بل هو أبهم ، فيحتاج إلى بيان ، والمحتاج إلى بيان لا يصلح أن يكون بيانا .

---

(١) البيت لابن ميادة : الرماح بن أبرد ، وميادة أمه ، ويكنى أبا شراحبيل ، الشعر والشعراء ٧٧١ .

(٢) سورة لقمان آية ١٤

(٣) سورة الواقعة آية ٧٥ - ٧٧

(٤) الإيضاح ص ١١٦

(٥) سورة البقرة آية ٢٢٣

وأما رابعاً : فإنه لو كان بيانا ، لقال :

نساؤكم حرث لكم فأتوهن فى موضع النسل ، ولم يقل ، بل قال : ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ .

وأما خامساً : فإن كون النسل غرضا ، لا يمنع أن يكون قضاء الشهوة / ٤٥/ أ أيضا غرضا ، لجواز اجتماع غرضين لشئ واحد ، ثم الذى يدل على أن قضاءها غرض أنه ذكر الشهوة المانعة من الإقبال إلى الله بالعلم والعمل .

وأما سادساً : فإن أحدهما وإن كان حرثا ، لكن لا يمنع ذلك أن يكون الآخر أيضا حرثا ، لكنْ حرث الآخرة ، فإن كسر الشهوة مما يعين على طلب الآخرة بإقبال النفس على مطالبها من غير معارضة الشهوة .

* * *

المساواة

إشارة : إلى المساواة :

المراد منها : مساواة اللفظ للمعنى من غير زيادة عليه ولا نقصان . وحيث عُرف الإيجاز والإطناب ، سهل معرفة المساواة .

وهو كلام لو حُذف منه شئ من لفظه اختل معناه ، ولم يحتج إلى زيادة عليه لفظا ، كقوله تعالى : ﴿ ولا يَحيقُ المكرُ السَّيئُ إلاَّ بأهله ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وإذا رأيتَ الذين يَخوضُون فى آياتنا فأعرِضْ عنهمْ حتى يَخوضوا فى حديثٍ غيره ﴾ (٢) .

وقول النابغة (٣) :

فإنك كالليل الذى هُو مُدْرِكى ... وإن خِلْتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

* * *

---

(١) سورة فاطر آية ٤٣ (٢) سورة الأنعام آية ٦٨

(٣) أى أنك واصل إلى إيذائى ، وإن خلت أن البعد عنك مؤمن ، والبيت من قصيدة يمدح فيها النعمان ويعتذر له . مطلعها :

عفا ذا حسا من فرتنى ، فالفوارع ... فجنبا أريك ، فالتلاع الدوافع

(ديوانه ص ١٠٨)

الفن الثانى
فى علم البيان

وهو مبنى على مقدمة ، وثلاثة أركان ، وخاتمة .

أما المقدمة : ففى تعريفه وبيان موضوعه .

إشارة : علم البيان : علم يعرف منه كيف يُدَلّ على معنى خارجى يتوسط الوضع والعقل معاً [١] .

والدلالة إما وضعية محضة ، وهى : دلالة اللفظ أو هيئته على ما وُضع له ، وتسمى مطابقة ، كدلالة البيت على السقف والحائط معا ، ودلالة هيئة الفعل وهيئة المركب على ما وُضعتْ له .

أو عقلية محضة ، كدلالة لفظة (ديْز) مقلوب زيد إذا سمع وراء الجدار من اللافظ [٢] .

أو مشتركة بينهما ، وهى على قسمين :

دلالة تَضَمُّن ، وهى دلالة اللفظ على جزء ما وُضع له ، كدلالة البيت على السقف وحده ، أو الحائط وحده .

ودلالة التزام ، وهى دلالة اللفظ على مصاحب المسمَّى الخارج عنه ، سواء كانت الدلالة بسبب انتقال الفعل من المسمَّى وحده ، أو بواسطة ملفوظ به ، أو مقدر [٣] معقول .

والأول : كدلالة السقف على الحائط .

والثانى : كدلالة أسد يرمى ، على الشجاع .

والثالث : كدلالة الضاحك على الإنسان ، بواسطة حكم العقل بأنه لم يوجد من مفهوم الضاحك غير الإنسان .

---

(١) اشتهر تعريف علم البيان بأنه : علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه .

(٢) فى الأصل : إذا سمع وراء الجدار على اللاقط ، وهو سهو .

(٣) « أو مشترك معقول » هكذا فى الأصل ، وهو لا يتمشى مع السياق .

ومن قبيل الالتزام ، دلالة زيد كالأسد على شجاعته ، وكثير الرماد على كثرة ضيافته .

والأول هو : التشبيه ، والثانى هو : الكناية ، والثالث هو : المجاز .

ومسائل علم البيان تنحصر فيها ، لأن اللفظ إما أن يستعمل فيما وُضع له أوْ لا ، والأول : إما أن يراد ما وُضع له ، أوْ لا .

والأول : الحقيقة ، وليس كلامنا فيها ، والثانى : الكناية .

والثانى أى : المستعمل فى غير ما وُضع له ، لا يجوز أن يكون المراد هو ما وضع له ، وإلا لزم أن يكون العدول عنه إلى ما لم يوضع له عبثاً ، فبقى أن يكون المراد هو ما لم يوضع له اللفظ ، وحينئذ لا بد من وجود قرينة تدل على أن المراد مالم يوضع له اللفظ ، وإلا لكان إلغازاً لا بياناً .

ثم القرينة إما أن تكون للتشبيه [٤] أو غيره .

والأول : هو التشبيه .

والثانى : هو المجاز .

وقد رجحت دلالة الالتزام ، لتلذذ النفس بها بسبب تصرفه فيها ، وهى موضوع علم البيان ، فإن المتكلم يدل على المعنى الخارجى بتوسط العقل ، وأحد الثلاثة من التشبيه والمجاز والكناية .

وهم وتنبيه :

/٤٥ ب قال المعاصر [٥] : / علم البيان : علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ، ثم قال بعد تقسيم الدلالة إلى الأقسام الثلاثة :

ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية ؛ لأن السامع إن كان عالماً بوضع الألفاظ ، لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، وإلا لم يكن كل واحد منها دالا ، وإنما يتأتى بالدلالات العقلية ، لجواز أن يكون للشئ لوازم بعضها أوضح لزوماً من بعض .

---

(٤) فى الأصل : ثم القرينة إما أن يكون هو التشبيه أو غيره .   (٥) الإيضاح ص ١١٩ .

وفيه نظر ، لأن كون علم البيان باحثا عمّا ذكره ممنوع ، وإلا لبحث أيضا فى الدلالة الوضعية ، لكونها أوضح من التضمن والالتزام ، ولا نسلّم أن الدلالات الوضعية ليس بعضها أوضح من بعض ، لأن دلالة بعضها - كالضرورات - كدلالة السماء والأرض و ما شاكلهما على معانيها ، ودلالة بعضها أوضح ، لكون التأمل أكثر ، أو أوثق ، أو لكونها أشهر .

إن سُلّم فلا نسلّم امتناع كون بعض الطرق وضعية وبعضها عقلية ، ولم نتعرض لهذا القسم .

والحق أن علم البيان لا يبحث فى الدلالة العقلية من حيث الوضوح وعدمه ، بل من حيث التذاذ النفس بها ، لكونها متصوفة فيها ، ولها مدخل منها ، ألا ترى أن قولك : زيد بحر فى العلوم [٦] ، ليس مثل قولك : كثير العلوم ، وإنه كثير الرماد ، ليس مثل كثير الضيافة فى التذاذ النفس وقبول الطبع .

إن قلت : إذا كان علم البيان باحثا عن الدلالة العقلية ، فما باله لا يبحث فى التضمنية ، لأنها أيضا عقلية ؟

قلنا : لأنها مشروطة بعلم السامع بحقيقة المسمى ، فإن لم يحصل العلم بها فلا دلالة لزوال شرطها ، وإن حصل كان انتقال الذهن إلى جزء المسمى انتقالاً طبيعياً لا صناعياً ، فلا تلتذ به النفس ، ألا تراها كيف تلتذ بالعلوم المكتسبة دون الضرورية ! .

* * *

(٦) فى الأصل : زيد بحر العلوم .

الركن الأول
فى التشبيه

إشارة : التشبيه :

هو تشبيه شئ بشئ ، ليدل على حصول صفة المشبه به فى المشبه ، ويشترط أن تكون من أظهر صفاته وأخصها به ، وإلا لم يُعلم حصولها فى المشبه ، كما إذا شبه زيد بالأسد فى بخره .

وأن يكون وجودها فى المشبه به أظهر من المشبه ، وإلا لزم الترجيح من غير مرجح ، اللهم إلا فى التشبيه المقلوب لقصد المبالغة فى تلك الصفة / وهو فى الحقيقة إفادة اللازم بعبارة الملزوم ، فإن تشبيه زيد بالأسد ملزوم بشجاعته ، لكون الشجاعة أظهر صفاته وأخصها به . ٤٦/ أ

وقد عظَّم علماء البلاغة أمر التشبيه ، لكونه أعلق بالطبع ، وألذ للنفس ، وله نفع عظيم فى باب الخطابة : فى المدح والذم ، والافتخار وغيرها .

ويجوز أن يكون **التشبيه بحرف التشبيه** كقول ابن الرومى (١) :

بذلَ الوعــدَ للأخلاَّءِ سَمْحا ... وأبى بعد ذاكَ بَذْلَ العَطاء

فغدا كالخِلافِ يُورق للعيْن ... ويأبــى الاثمارَ كلَّ الإباءِ

ويجوز أن يكون **بغير حرف** ، كقول من يخاطب الحجاج :

أســـدٌ علـــىَّ وفى الحروب نعامةٌ ... فَتْخَاءُ تَنْفِر مِن صفير الصافرِ (٢)

---

(١) الإخلاء : الأصدقاء . الخلاف : شجر من الصفصاف ، والبيتان من قصيدة يعاتب فيها أبا القاسم الشطرنجى مطلعها :

يا أخى : أين ربع ذاك اللقاء ؟ ... أيـــن ما كان بيننا من صفاء ؟

(ديوانه ١/٦٦ ط دار الكتب . والأسرار ١٣٢ ، ١٧٣)

(٢) فتخاء : ضعف ولين فى المفاصل ، والبيت لعمران بن عطان ، الحماسة البصرية ١/٧٠ وشعر الخوارج ١٦٦ ، وديوان الخوارج ١٥٥ .

ويجوز أن يكون **بغير حرفه ، ولا يُحمل المشبه به على المشبه** ، بل يكتفى بالمعنى كقول أبى تمام :

وطــولُ مُقــام المرء في الحيّ مُخْلقٌ   لديباجتيـــه ، فاغتـــربْ تتجـــدّدِ

فإنـــى رأيــتُ الشمسَ زِيدَتْ محبّةً   إلى الناس أنْ ليستْ عليهم بسرمَدِ (٣)

ويجوز أن يكون **التشبيه فى وصفين متضادين** لشئ واحد كقول البحترى :

دانٍ على أيدى العُفَاةِ وشاسعٌ   عـــن كـل نِدّ فى الندى وضَريب

كالبدر أفرط في العُلُوّ وَضَوْءُهُ   للعصبة السارين جِدُّ قريب (٤)

ويجوز أن **يشبه شئ بشيئين متباينين فى حالتين** ، كقول امرئ القيس (٥) :

كـــأنّ قلـــوبَ الطير رطْبا ويابسا   لدى وكْرها : العُنّاب والحشفُ البالى

فشبه قلوبها رطبا بالعناب ، ويابسا بالحشف البالى ، واتفق أهل العلم بالشعر كعمرو بن العلاء (٦) والأصمعى (٧) وغيرهما على أن أحداً لم يقل فى هذا المعنى أحسن من هذا البيت .

---

(٣) مخلق لديباجتيه : بلى صفحة الوجه ، وهو كناية عن كراهة النفوس له . وسرمد : دائم . والبيتان من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف الطائى مطلعها :

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد   وعـــاد قتادا عنـــدها كـــل مرقد

(ديوانه ٢/٢٣ والأسرار ١٤١)

(٤) العفاة : جمع عاف وهو طالب الفضل أو سائل الرزق ، والعصبة السارين : الجماعة التى تسير ليلاً ، والبيت من قصيدة يمدح فيها اسحق بن إسماعيل بن توبخت مطلعها :

كم بالكثيب من اعتراض كثيب   وقوام غصن فى الثياب رطيب

(ديوانه ١/٢٤٩ ، والأسرار ص ١٣٠ ، ١٥١ والتبيان ١٠٩)

(٥) العناب : ثمر أحمر ، الحشف البالى : ردئ التمر . والبيت من قصيدة مطلعها :

ألا عـــم صباحا أيهــــا الطلل البالى   وهل يعمَّن من كان فى العصر الخالى

(ديوانه ص ٣٨)

(٦) هو أبو عمرو بن العلاء المازنى ، كان أعلم الناس بالعربية والشعر ومذاهب العرب وتوفى سنة ١٥٤ هـ . (مراتب النحويين ص ١٣)

(٧) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلى كان أتقن القوم للغة وأعلمهم بالشعر .

(مراتب النحويين ص ٤٦)

إشارة : يجوز أن يكون لشئ واحد صفات ، تشبه بكل صفة منها أشياء ، كالزند ، فإنه باعتبار إيرائه يشبه به : الجواد ، والذكى ، والنُجْح فى الأمور .

وباعتبار إصلاده ، يشبه به : البخيل والبليد ، والخيبة فى السعى .

وكالقمر ، فإن له اعتبارات ستة ، بكل اعتبار يشبه به شئ :

الأول : باعتبار انتقاله من النقصان إلى الكمال كقول أبى تمام (٨) :

٤٦/ ب / لهفى على تلك الشواهد فيهما ... لو أُمْهِلتْ حتى تصيرَ شمائلا

لغدا سكوتهُما حِجىً ، وصباهما ... حِلمًا ، وتلك الأرْيَحِيةُ نائلا

ولأعقب النجم المُرِذُّ بديمةٍ ... ولعاد ذاك الطل جَوْدًا وابلا

إن الهلال إذا رأيتَ نموه ... أيقنتَ أن سيصير بدرا كاملا

الثانى : باعتبار انتقاله من الكمال إلى النقصان كقول المعرى (٩) :

وإن كنتَ تبغى العيش فابغ توسُّطاً ... فعند التناهى يَقصُر المتطاولُ

تُوقَّى البدورُ النقصَ وهْىِ أهِلَّةٌ ... ويدركها النقصانُ وهى كواملُ

الثالث : باعتبار أنه في نصف مسافته يتوجه إلى الكمال ، وفى النصف الآخر يتوجه إلى النقصان ، كقول ابن بابك (١٠) فى مدح الأستاذ أبى على (١١) :

---

(٨) لهفى : حزنى ، الشواهد : العلامات ، الشمائل : السجايا والطباع .
الحجى : العقل . الأريحية : هزة ونشوة تعترى المرء للأفعال الخيرة . المرذ : المطر الخفيف . الديمة : مطر يهطل فى سكون . الطل : المطر الضعيف . جود : المطر الغزير . الوابل : المطر الشديد . والبيت من قصيدة يرثى فيها ابنى عبد الله بن طاهر مطلعها :

ما زالت الأيام تخبِر سائلا ... أن سوف تفجع مهملاً أو عاقلاً

(ديوانه ١١٣/٤ شرح التبريزى ط دار المعارف والاسرار ص ١٥٤)

(٩) التناهى : بلوغ النهاية . توقى البدور النقص : تسلم منه . وهما البيتان الأخيران من قصيدة مطلعها :

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل ... عفاف وإقدام وحزم ونائل

(سقط الزند ص ١٩٦)

(١٠) ابن بابك من شعراء الصاحب بن عباد ، وهو عبد الصمد بن منصور بن الحسن . وشطر الملك : نصف الملك . والبيت فى الأسرار ص ١٥٦ .

(١١) هو أبو على الحسن بن أحمد .

وقد استوزره فخر الدولة بعد الصاحب بن عباد [١٢] بشركة أبى العباس الضبىّ [١٣] :

وأعرتَ شطْرَ الملك ثوب كماله والبدْر فى شطر المسافة يكمُلُ

الرابع : باعتبار أنه يدوم من أول الليل إلى آخره إذا كان بدراً ، ويغبّ ، أى : يغيب ، إما فى أوله ، أو فى آخره ، إذا لم يكن بدرا ، كقول أبى بكر الخُوارزمىّ [١٤] :

أراك إذا أيســـرتَ خَيَّمت عنــدنا مقيماً ، وإن أعســـرتَ زرتَ لِماما

فما أنت إلا البدْرُ ، إن قَلَّ ضَوْءُهُ أغـــبَّ ، وإن زاد الضيـــاءُ أقـاما

الخامس : باعتبار بُعْده فى جِرمه ، وقربه بضوئه ، كقول البحترى فى البيتين وقد سبقا عن قريب [١٥] .

السادس : باعتبار ظهوره بكل مكان إذا ظهر ، كقول أبى الطيب [١٦] :

كالبدرِ مـــن حيث التفتَّ رأيتَه يُهدِى إلى عينيك نوراً ساطعا

وهم وتنبيه :

قال المعاصر [١٧] : عبارة الخوارزمى فى بيتيه المذكورين لا تنهض بمراده ، لأن الإغباب : أن يتخلل وقتى الحضور وقت الغيبة ، وليس القمر على هذه الصفة ؛ لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى يكون السرار [١٨] .

---

(١٢) الصاحب بن عباد وزير وأديب مشهور عاش فى القرن الرابع الهجرى . ت ٣٨٥ هـ .

(١٣) احمد بن ابراهيم الضبى . اليتيمة ٣٤٩/٣ .

(١٤) هو محمد بن العباس المعروف بالخوارزمى وكان كاتبا وشاعرا . وتوفى سنة ٣٨٣هـ ، خيمت : أقمت ، لماما : بين الحين والحين ، أغبَّ : زار بين حين وآخر . اليتيمة ٢٢٤/٤ و البيت فى الأسرار ص ١٥٦ .

(١٥) ص ١٥٣ من الكتاب وهما :

دانٍ علـــى أيدى العفاة وشاسع عـــن كل ند فى الندى وضريب

كالبدر أفرط فى العلوّ وضوءه للعصبة السارين جـــدُّ قـــريب

(١٦) فى الديوان ١٣٠/١ . وقافيته « ثاقبا » .

(١٧) الايضاح ص ١٢٢ .

(١٨) السرار : الليلة الأخيرة من الشهر .

وهذا وهم ، بل خلل ظاهر ؛ لأن الإغباب لو كان معناه ظهور شئ فى وقت دون وقت ، فهو حاصل للقمر ، لأنه فى أول الشهر يظهر فى أول الليل ويغيب فى آخره ، وفى آخر الشهر يغيب فى / أول الليل ويظهر فى آخره . ٤٧/ أ

إشارة : التشبيه قد يكون تشبيه المبصَر بالمبصَر ، كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة ، والقد بالرمح ، والليل بالجمل .

والمسموع بالمسموع ، كتشبيه الصوت الضعيف بالهمس .

والمشموم بالمشموم ، كتشبيه النكهة بالعنبر .

والمذوق بالمذوق ، كتشبيه الريق بالخمر .

والملموس بالملموس ، كتشبيه الجلد الناعم بالحرير .

والمعقول بالمعقول ، كتشبيه العلم بالحياة.

والمعقول بالمبصَر ، كتشبيه المنية بالسبع .

أو بالعكس ، كتشبيه العطر بخُلُق الكريم ، كقول الصاحب فى القاضى أبى الحسن : (١٩)

يا أيها القاضى الذى نفسى لهُ ... مــع قــرب عهد لقائه مشتاقهْ

أهــديتُ عطراً مثل طيبِ ثنائه ... فكأنما أهــــدِى لــــه أخــلاقَهْ

وتشبيه المبصر بالمخَيّل كقول الشاعر : (٢٠)

وكــأن مُحْمَــرَّ الشقيق ... إذا تَصَــوَّبَ أو تصعدْ

أعــــلامُ ياقــوت نُشِــرْ ... نَ على رماحٍ من زَبَرْجَدْ

---

(١٩) الصاحب هو اسماعيل بن عباد ، وكنيته أبو القاسم ، والقاضى أبو الحسن هو القاضى الجرجانى صاحب الوساطة بين المتنبى وخصومه . والبيتان فى الأسرار ٢٧٠ ، ديوانه ٢٥٣

(٢٠) البيتان للصنوبرى ، والشقيق نبات أحمر يطلق عليه شقائق النعمان ، تصوَّب : مال إلى أسفل . تصعد : استقام إلى أعلى . الياقوت والزبرجد من الأحجار الكريمة . والبيتان فى الأسرار ص ١٨٣ ، وحسن المحاضرة ٤٢٧/٢

وقول الآخر :

كلُّنا باسط اليــدِ نحــو نَيْلُوفــرٍ نَدِى
كـدبابيس عسجــدٍ قُضْبها من زبرجدِ [٢١]

أو المبصَر بالموهوم ، كقول امرئ القيس : [٢٢]

ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغْوالِ

ومنه قوله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كأنّه رءوسُ الشياطين ﴾ [٢٣]

وهم وتنبيه :

قال المعاصر [٢٤] ما معناه :

المعنى الذى يشترك فيه الطرفان قد يكون تحقيقاً ، وقد يكون تخييليا. والتخييلى : هو الذى لا يمكن وجوده فى المشبه به إلا على وجه التخييل ، كقول القاضى التنوخىّ [٢٥] :

وكأنّ النجومَ بين دُجاها سُنَــنٌ لاح بينهنّ ابتداعُ

فإن المعنى المشترك فيه هو الهيئة الحاصلة من أشياء مشرقة ، بينهما شئ مظلم ، وهذا المعنى غير موجود فى المشبه به إلا تخييلا . قال : ومثله قول أبى طالب الرَّقّىّ :

ولقــد ذكــرتُــكِ والظلامُ كأنهَ يومُ النوى وفؤادُ من لم يعشَقِ [٢٦]

---

(٢١) النيلوفر : نبات يطفو على سطح الماء الراكد ، والعسجد : الذهب . والبيتان منسوبان للصنوبرى أيضا . والبيتان فى الاسرار ص ١٩٨ . ونهاية الأرب ٢٢٢/١١

(٢٢) صدر البيت : « أيقتلنى والمشرفى مضاجعى » : ديوانه ص ٣٣ . والدلائل ٩١ .

(٢٣) سورة الصافات آية ٦٥ .

(٢٤) الإيضاح ص ١٢٣ ونص عبارته : والمراد بالتخييل : ألا يمكن وجوده فى المشبه به إلا على تأويل .

(٢٥) القاضى التنوخى هو على بن محمد بن داود ، والدجى : الظلام ، والبدعة ضد السنة والبيت فى الأسرار ص ٢٦٠ . واليتيمة ٣٣٦/٢

(٢٦) فى الأصل : ولقد ذكرتك فى الظلام . والبيت فى الاسرار ص ٢٦٣ ، اليتيمة ٢٩٨/١

فإنه تخيل وجود الظلام فى يوم النوى ، وقلب من لم يعشق ، ثم شبه الظلام بهما ، وذكر أبياتا أخر فى المعنى .

وفيه نظر ؛ لاحتمال ألا يكون المشترك بين الطرفين فى البيت الأول ، هو : الهيئة المذكورة ، بل الهداية ، فإن كل واحد من النجوم والسنن يهتدى به ، وذكر الدجى والابتداع لكون الشئ يُظهِر حسنه الضدُّ .

/٤٧ ب وألا يكون المشترك / فى البيت الثانى هو : الظلام ، بل عدمَ الاهتداء ، فإن يوم النوى يكون فيه للمحب قلبان : قلب إلى المحبوب المفارق ، وقلب إلى الوطن وتعلقاته ، وذلك يوجب التحير الذى هو عدم الاهتداء ، و كذلك قلب من لم يعشق ، لصلابته لا يهتدى إلى مقاصد العشاق ، فشبه الظلام الذى لا يهتدى فيه ، لتراكم بعضه بعضا ، بهما لذلك ، على أن ذلك من التشبيهات المقلوبة للمبالغة ، والمشبه به فى الحقيقة : هو النجوم فى البيت الأول ، والظلام فى البيت الثانى .

وكما لا يلزم من تشبيه الدواء الحار بالنار ، تخييلُ وجود الصورة النارية فى الدواء ، بل لازمُها وهو الحرارة ، كذلك لا يلزم من تشبيه السنن بالنجوم تخييل وجود صورة النجوم فى السنن ، بل لازمها وهو : الاهتداء . كذلك تشبيه يوم النوى وقلب من لم يعشق بالظلام ، لا يستلزم تخييل صورة الظلام فيهما ، بل لازمه وهو : عدم الاهتداء ، واللازم الأعم لا يستلزم وجود ملزومه .

وهم وتنبيه :

يجب الاحتياط فى وجه الشبه [٢٧] ؛ لئلا يوقع الجهلُ به فى الغلط ، كما وقع مَن حكم بأن قليل النحو مصلح ، وكثيره مفسد ، لما اشتهر أن النحو فى الكلام كالملح فى الطعام ، والملح كذلك ، والنحو أيضا كذلك بحكم التشبيه ، ولم يروا أن وجه الشبه هو : استعمالُ كل واحد منهما مصلح ، وترك استعماله

---

(٢٧) فى الأصل : فى وجه التشبيه .

مفسد ، كما أن [٢٨] استعمال قليله مصلح ، وكثيره مفسد .

وكذلك ابن شرف القيروانى [٢٩] وقع فى الغلط فى قوله :

غيرى جنَى ، وأنا المعَاقَب فيكُم فكـــأننـــى سبّابـــة المتنَدِّمِ

بسبب جهله بوجه الشبه ، فإنه توهم أن بينه وبين سبابة المتندم اشتراك : فى أن المعاقب غير المذنب ، ولم يدر أن المتندم هو المعاقب بعضّ سبابته ، ولذلك قال ابن رشيق : « أنت سرقت المعنى من النابغة الذبيانى وأفسدته . أما الأخذ فقوله : [٣٠]

لكلّفتنـــى ذنـــبَ امـــرئٍ وتركتَهُ كذى العُر يُكْوى غَيْرُه ، وهْو راتعُ

وأما الإفساد ، فلأنه ليس قولك مثله ، فإن صاحب العُر لا يألم البتة ، وإنما يألم المكوى من الإبل الذى لا عُرّ به . أما المتندم فهو : المذنب والمتألم معاً بعضّ سبابته » .

إشارة : وجه الشبه : إما واحد ، أوْ لا ، والثانى : إما أن يكون مع التعدد هيئةٌ / بها يصير شيئا واحدا ، أوْ لا ، وعلى التقديرات الثلاثة : إما أن يكون محسوسا أوْ لا : فيصير ستة ، وهكذا المشبه والمشبه به ، كل واحد ستة ، فإذا ضرب أقسام وجه الشبه فى أقسام المشبه يصير ستة وثلاثين ، ثم إذا ضرب أقسام المشبه به فيها يصير مائتين وستة عشر قسما ، وهذا بحصر العقل ، لا بحسب الواقع بالفعل ، فإن بعضها يأتى بعد فى حيز الإمكان . ٤٨/ أ

مثال وجه التشبيه الواحد المحسوس وطرفاه محسوسان : تشبيه الخد بالورد فى الحمرة .

---

(٢٨) فى الأصل : (لأن استعمال قليله مصلح) وهذا لا يتمشى مع سياق الكلام .

(٢٩) فى الأصل : ابن أشرف القيروانى . وصحته ابن شرف وهو شاعر وناقد من القيروان بشمال أفريقية وله كتاب : قراضة الذهب ، وكان معاصراً لابن رشيق صاحب كتاب العمدة . والشاعر يعنى أنه يعاقب على غير ذنب جناه ، كما يعض اصبعه حال ندمه على شئ لم يقترفه الاصبع . أنوار الربيع ٥/٢١١ .

(٣٠) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة مطلعها :

عفا ذا حسا من فرتنى ، فالفوارع فجنبا أريـــك ، فالتـــلاع الدوافع

والعر : الجرب ، وراتع : منعم بالطعام والشراب والمأوى (الشعر والشعراء ١/١٦٠) .

ومثال الواحد المعقول : تشبيه الشجاع بالأسد فى الجرأة ، وتشبيه الصحابة بالنجوم فى الاهتداء فى قوله عليه السلام : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتمْ اهديتم » (٣١) . ومنه قوله تعالى :

﴿ هُنّ لباسٌ لكمْ وأنتمْ لباسٌ لهنّ ﴾ (٣٢)

وجه الشبه : كون كل واحد من الزوجين صائنا لصاحبه عن اطلاع الغير على عورتهما ، كما أن اللباس كذلك ، يصون اللابس عن ذلك ، قال الزمخشرى (٣٣) : وجهه أن كل منهما يشتمل على صاحبه كاشتماله على لباسه .

قال المعاصر : إنه وجه حسى ، وفيه نظر (٣٤) .

ومثال المركب المحسوس وطرفه مركبان (٣٥) ، تشبيه الثريا بعنقود العنب الأبيض فى التدوير والبياض والهيئة المجتمعة ، كقول أُحَيْحَه بن الجُلاَح :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى ... كعنقــود مــلاّحية حين نوّرا (٣٦)

وقول بشار :

كــأن مُثــارَ النقع فوق رءوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكبهْ (٣٧)

---

(٣١) ورد الحديث بصيغة أخرى ، عن أنس بن مالك عن النبى أنه قال : ان مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداه . (مسند أحمد ١٥٧/٣ ط بيروت) .

(٣٢) سورة البقرة آية ١٨٧ .

(٣٣) الكشاف ١٧٤/١ ط ٢ الاستقامة .

(٣٤) هذه العبارة لم نعثر عليها فى هذا الباب من كتاب الايضاح للخطيب القزوينى ، وانما يذكر قول السكاكى فيقول : قال الشيخ صاحب المفتاح ، وفى أكثر هذه الأمثله فى معنى وحدتها تسامح . الإيضاح ص ١٢٧ .

(٣٥) اعتبر القزوينى هذا البيت مثالا لوجه الشبه المركب المحسوس وطرفيه مفردين . الإيضاح ص ١٢٧ . والحق أن الطرفين هنا ليسا مركبين ، بل مقيدان ، والتقييد لا ينافى الإفراد ، لأن المقصود بالمفرد : ما ليس هيئة منتزعة من متعدد .

(٣٦) الثريا : مجموعة من الكواكب تبدو لنا متقاربة ، والملاحية : عنب أبيض حباته طويله ، نوّر : طاب ونضج . والبيت فى الأسرار ص ١٠٨ الاغانى ١٥٩/١٥

(٣٧) مثار النقع : ما ثار من الغبار ، والبيت من قصيدة يمدح فيها مروان بن محمد وقيس عيلان . مطلعها :

جفا وده فازورٌ أو مل صاحبه ... وأزرى به أن لا يزال يعاتبه

(ديوانه ٤٦)

فشبه الهيئة الحاصلة من بياض السيوف ومثار النقع بالهيئة الحاصلة من نور الكواكب وظلمة الليل ، والكل محسوس . ومثله قول أبى طالب الرقىّ :

وكـــأن أجـــرامَ النجوم لوامعاً　　　دررٌ نثرن على بِساط أزرقِ [٣٨]

ومثاله وطرفاه مفردان ، قول ذى الرمة [٣٩] :

وسقطٍ كعين الديك عاورتُ صاحبى　　　أباها ، وهيـــأنا لمـــوقعهـــا وكْرا

شبه المفرد المحسوس بمثله فى هيئة اجتماع الحمرة والتدوير .

ومثله تشبيه الشمس وقت طلوعها بمرآة فى كف المرتعش كقوله [٤٠] :

والشمسُ كالمرآةِ فى كفّ الأشلّ

إلا أن الهيئة فيه : حاصلة من ثلاثة أشياء : شبه اللون ، والتدوير ، والحركة الارتعاشية .

ومثله قول الوزير المهلبى [٤١] :

والشمس من مشرقها قد بدتْ　　　مشـــرقـــةً ليس لها حـــاجبُ

كـــأنهـــا بوُتقـــةٌ أحْمِيـــتْ　　　يجـــول فيهـــا ذهبٌ ذائبُ

ويجوز أن تكون الهيئة بين حركتين متضادتين ، كقول امرئ القيس [٤٢] :

/ مِكَـــرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبلٍ مُدبرٍ معاً　　　كجُلمودِ صخرٍ حطّهُ السيلُ من عَلِ　　/٤٨ ب

---

(٣٨) اليتيمة ٢٤٤/١

(٣٩) وسقط : ما تساقط من النيران بين الزندين ، عاورت : ناويت ، والبيت من قصيدة مطلعها :

لقد جشأت نفسى عشية مشرف　　　ويوم لوى حزوى فقلتُ لها صبرا

والبيت فى الأسرار ص ١٨٦

(ديوانه ١٤٣٦/٣ ط دمشق)

(٤٠) وعجز البيت : لما رأيتها بدت فوق الجبل . وهو من أرجوزه لجبار بن ضرار ابن أخى الشماخ . والبيت فى الأسرار ص ٢٠٧ ديوان المعانى ٣٥٩/١ .

(٤١) هو أبو محمد الحسن بن محمد الشاعر الكاتب توفى سنة ٣٦٢ هـ . والأسرار ص ٢٠٨ ، اليتيمة ٢٠٢/٢

(٤٢) البيت من معلقة امرئ القيس ديوانه ص ١٩ .

أراد أن سرعة حركته فى الإقبال والإدبار توجب حصول هيئة منهما بحيث يُرى كَفله ولَبَبهُ (٤٣) دفعة واحدة ، فشبه هذه الهيئة بالهيئة الحاصلة للصخرة ، وهى : رؤية أطرافها دفعة واحدة بسبب سرعة حركتها الحاصلة من جهة الطبع والقسر فيها .

ومثله قول الآخر (٤٤) :

حُفّـتْ بسَـرْوٍ كـالقيـان تلحّفَتْ ... خُضْـرَ الحـرير على قوام مُعتدلْ

فكأنهـا والريـحُ جـاء يُميلها ... تبغى التعانُقَ ، ثم يمنعُها الخجلْ

فإنه شبه الهيئة الحاصلة للسرو بالدنو والافتراق ، بالهيئة الحاصلة للمحب بحركتى الإدبار والإقبال للعناق .

مثاله وطرفاه متعددان قول امرئ القيس (٤٥) :

كـأن قلـوب الطيـر رَطبا ويابسا ... لدى وكْرها العنّابُ والحشَفُ البالى

ويسمى هذا ملفوفا (٤٦) .

وأما المفروق (٤٧) فكقول المرقش (٤٨) :

النشرُ مسْكٌ ، والوجوهُ دنا ... نيـرٌ وأطـرافُ الأكفّ عَنَمْ

---

(٤٣) ومعنى البيت : أنه يصف هذا الفرس فى سرعته بمنزلة هذه الصخرة التى قد حطها السيل فى سرعة انحدارها ، وأن هذا الفرس حسن الإقبال والإدبار كهذه الصخرة .

والكفل بالتحريك : العجز ، واللبب : ما يشد على صدر الدابة .

(٤٤) القيان جمع قينة وهى الجارية ، وتلحّفت : اتخذت لحافا ، والبيتان لبرقوقا واسمه الأخيطل الأهوازى . وقيل إنهما لأحمد بن سليمان بن وهب ، وقيل إنهما لابن المعتز . والبيتان فى الأسرار ص ٢٤١ ، حماسة ابن الشجرى ٢٢٣ ، والمطول ٣٢٥ .

(٤٥) البيت سبق ذكره وقد ورد فى ديوانه ص ٣٨ .

(٤٦) التشبيه الملفوف : أن يؤتى بالمشبهين أولا ، ثم يؤتى بالمشبهين بهما بعد ذلك .

(٤٧) والتشبيه المفروق : ان يؤتى بالمشبه والمشبه به معاً حين تتعدد التشبيهات .

(٤٨) هو المرقش الأكبر ، ربيعة بن سعد بن مالك ، والعنم : شجر لين الأغصان ولونها أحمر يشبه بها البنان المخضوب بالحناء . الأسرار ص ١٢٣ ، المفضليات ، الصناعتين ١٨٩ .

وكقول أبى الطيب [٤٩] :

بدت قمراً ومالت خُوطَ بانٍ وفاحت عنــبراً ورنتْ غزالاً

مثال المركب العقلى ، قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهُم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبُه الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجدهْ شيئاً ووجدَ اللّه عنده فوفَّاهُ حسابَه ﴾ [٥٠] شبه أعمال الكفار بالسراب ، ووجه الشبه أن لهما منظرا مطمعا ومَخبراً مؤيسا .

وكذا قوله تعالى : ﴿ مثلُ الذين حُمِّلُوا التوراةَ ثُم لم يَحْملوها كمثل الحمار يَحْملُ أسْفَاراً ﴾ [٥١] .

شبه الذين يحفظون التوراة ولم يعرفوها ولم يعملوا بها ، بالحمار الذى يحمل الكتب ولم يعرفها ولم يعمل بما فيها .

مثال الشبه المتعدد وطرفاه مفردان : تشبيه الرجل العالم بالشمس فى إظهار الأمور الخفية و عموم النفع .

ومثاله وطرفاه متعددان : زيد كالأسد بأساً ، وكالبحر جوداً ، وكالسيف مضاء .

ومثال المتعدد الحسى : تشبيه فاكهة بأخرى فى اللون والطعم والرائحة .

ومثال المتعدد العقلى : تشبيه طائر بالغراب فى حدة النظر وإخفاء السفاد .

ومثال المختلف : تشبيه زيد بالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشأن .

والفرق بين وجه الشبه المركب والمتعدد : أنك لو حذفت من المتعدد بعضها لاستقام المعنى فى الباقى ، بخلاف المركب .

ومثال تشبيه المفرد بالمركب : تشبيه الشاه الجبلى بحمار أبتر مشقوق الشفه والحوافر نبت على رأسه شجرتا غضا .

---

(٤٩) البان : شجر مستقيم الساق لين ، والخوط : الغصن الناعم . ديوانه ٣/٢٢٤ .

(٥٠) سورة النور آية ٣٩ . (٥١) سورة الجمعة آية ٥ .

ومثال العكس : قول أبى تمام [٥٢] :

يا صاحبـَـيَّ تَقَصَّيا نظريْكما | تريا وجوه الأرض كيف تُصَوَّرُ
تريا نهــاراً مُشمساً قد شابه | زَهْــرُ الربـى فكأنما هُو مقْمِرُ

ومثال تشبيه المفرد بالمتعدد ، ويسمى تشبيه الجمع ، قول البحترى [٥٣] :

كأنمــا يَبْسَــمُ عــن لؤلؤٍ | مُنضَّــد أو بَــردٍ أو أقاحْ

وقول امرئ القيس [٥٤] :

كـأن المُـدامَ وصـوبَ الغمام | وريـحَ الخُزَامى ونَشْرَ القُطْر
يُعَــلُّ بــه بـرْدُ أنيابها | إذا طَـربَ الطائـرُ المستحرْ

ومثال العكس قول الآخر :

صُـدغُ الحبيـب وحـالى | كـلاهمـا كالليـالـى
وثَغْـره فـى صفـاء | وأدمعـى كاللآلـى [٥٥]

وهم وتنبيه :

قال المعاصر [٥٦] : وجه الشبه إما غير خارج عن حقيقة الطرفين ، أو خارج .

والأول : إما تمام حقيقة الطرفين ، كتشبيه إنسان بإنسان فى كونه إنساناً ، أو جزؤهما ؛ كتشبيه بعض الحيوانات العجم بالإنسان فى كونه حيواناً .

---

(٥٢) البيتان من قصيدة يمدح فيها المعتصم ومطلعها :

رقت حواشي الدهر فهى تمرمر | وغـدا الثرى فى حلية يتكسر

(ديوانه ٢/١٩٤)

(٥٣) فى الديوان « كأنما يضحك » بدلاً من « كأنما يبسم » . والبيت من قصيدة يمدح فيها عيسى بن إبراهيم مطلعها :

بات نديما لـى حتى الصباح | أغيد مجدول مكان الوشاح

(ديوانه ١/٤٣٥)

(٥٤) المدام : الخمر ، الغمام : السحاب ، الخزامى : نبت طيب الريح ، القطر : العود الذى يتبخر به . والبيت من قصيدة مطلعها :

أحـار بن عمرو كأنى خمره | ويعدو على المرء ما يأتمر

(ديوانه ص ١٥٧)

(٥٥) المراد بالصدغ هنا : الشعر المتدلى بين العين والأذن ، والثغر : ما يبدو من الأسنان ، والبيتان للوطواط (حدائق السحر ١٤٤) (٥٦) الإيضاح ص ١٢٦ .

وقد وهم ، لأن شرط وجه الشبه ، أن يكون فى المشبه به أظهر منه فى المشبه، وإلا لزم أن يكون تشبيه أحدهما / بالآخر ترجيحا من غير مرجح ، وهو محال ، /٤٩ أ والذاتيات ليست كذلك ، لتساويها فى الرتبة والظهور ، فإن زيداً مثلاً ، ليست إنسانيته مثل إنسانية عمرو ، ولا أظهر ، حتى نشبه به عمرو ، كذلك حيوانية حيوان من الحيوانات ليست بأظهر من حيوانية عمرو حتى تشبه به ، وإنما يكون فى العرَضيات اللازمة أو المفارقة .

إشارة : قال السكاكى [٥٧] : التحقيق فى وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلى ، وذلك أنه متى كان حسيا - وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً فى الطرفين ، وكل موجود فله تعين - فوجه الشبه مع المشبه متعين ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به ، لامتناع حصول المحسوس المتعين ههنا مع المشبه كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على امتناعه إن شئت ، وهو استلزامه إذا عدمت حمرة الخد دون حمرة الورد ، أو بالعكس : كون الحمرة معدومة موجودة معاً ، وهكذا فى أخواتها ، بل يكون مثله فى المشبه به ، لكن المثلين لا يكونان شيئا واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين - كما عرفت - واحد ، فيلزم أن يكون أمرا كليا مأخوذا من المثلين بتجريدهما عن التعيين ، ولكن ما هذا شأنه فهو عقلى ، ويمتنع أن يقال : المراد بوجه الشبه : حصول المثلين فى الطرفين ، فإن المثلين متشابهان ، فمعهما وجه تشبيه ، فإن كان عقليا ، كان المرجع فى وجه الشبه العقل فى المآل ، وإن كان حسيا ، استلزم أن يكون مع المثلين مثلان آخران ، وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما ، ويلزم التسلسل . هذه حكاية ألفاظه .

ولقائل أن يقول : هل يفرق بين المعقولات والمحسوسات ؟

إن قال : لا ، فقد كابر حكم العقلاء .

إن قال : نعم ، قلنا : فالوجه الفارق بينهما هو الذى جعل المحسوس من وجه الشبه قسيما للمعقول منه ، على أنه لو قال : وجه الشبه أمر كلى ، لوجوده فى الطرفين ، والكلى لا يدركه الحس ، بل العقل ، فيكون وحه الشبه عقليا ، لاستغنى عن هذا التطويل .

* * *

---

(٥٧) المفتاح ص ١٧٩ .

أداة التشبيه

إشارة : أداة التشبيه : حرف ، وغير حرف .

فالحرف هى : الكاف ، نحو : زيد كالأسد ، وكأن ، نحو : كأن زيدا الأسد ، والكاف هى الأصل ، ولذلك قال الزمخشرى [٥٨] : كأن زيدا الأسد أصله : إن زيدا كالأسد فيكون / الفارق تأكيد التشبيه وعدم تأكيده . ٤٩/ ب

وغير الحرف : اسم ، وفعل .

فالاسم نحو : مثل وشبه ، وما اشتق منهما .

والفعل نحو : علمت زيداً أسداً ، وإن أريد ظن التشبيه قيل : ظننت زيدا أسداً .

وأصل الكاف : أن يليه المشبه به إذا كان التشبيه بمفرد ، وأما إذا كان بمركب فيليه بعض أفراد ذلك المركب كقوله تعالى : ﴿ واضربْ لهمْ مَثَل الحياة الدنيا كماء أنزلنْاهُ من السماءِ فاختَلطَ به نباتُ الأرضِ فأصبحَ هَشِيماً تَذْروهُ الرياحُ ﴾ [٥٩] ليس المراد تشبيه الدنيا بالماء ، بل بنضرة وبهجة حصلتا للنبات بسبب اختلاط الماء به ، ووجه الشبه مآلهما إلى الفناء . وليس كذلك قوله تعالى : ﴿ كُونوا أنصارَ اللّه كما قالَ عيسى ابنُ مريمَ للحَوارِيِّينَ مَنْ أنْصارِى إلى اللّه ﴾ [٦٠] ؛ لأن المراد : كونوا ككون الحواريين لما قال لهم عيسى : من أنصارى إلى الله ؟

وهم وتنبيه :

قال المعاصر [٦١] ما معناه : غرض التشبيه يعود إلى المشبه ما لم يكن تشبيه قلب . وهو على وجوه ستة :

---

(٥٨) المفصل للزمخشرى : ص ٣٠١ ط ١٣٢٣ هـ وانظر القرآن إعجازه وبلاغته ص ١٣٩ للمحقق .

(٥٩) سورة الكهف آية ٥٤ ، والهشيم : النبات اليابس الهش كالتبن وغيره . وتذروه : تفرقه .

(٦٠) سورة الصف آية ١٤ ، والحواريون : أصحاب عيسى . (٦١) الإيضاح ص ١٣٣

الأول : رفع توهم امتناع صفة غريبة لموصوف كقول أبى الطيب : [٦٢]

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنت منهم　　　فإنّ المسكَ بعضُ دم الغزالِ

أراد أن الممدوح فاق الأنام فى الأوصاف الفاضلة ، إلى حد بطل معه أن يكون واحداً منهم ، بل صار نوعا آخر أشرف من الإنسان ، كما أن المسك كذلك .

الثانى : بيان حال المشبه ، كتشبيه ثوب بثوب فى لون من الألوان إذا علم لون المشبه به دون المشبه .

الثالث : بيان مقدار حاله ، كقوله : « مِدادٌ مثلُ خافيةِ الغرابِ » [٦٣] ؛ وقول الآخر [٦٤] :

فأصبحتُ من ليلى الغَداة كقابضٍ　　　علــى الماء خانتـه فُروجُ الأصابع

شبه مقدار حاله مع ليلى بمقدار حال ماسك الماء بكفه ، فى عدم حصول شئ من غرضه .

الرابع : تقرير حالة نفس السامع ، كتشبيه من لا يحصل من سعيه على شئ طائل ، بمن يرقم فى الماء .

الخامس : تزيين الشئ أو تشويهه ، للترغيب أو التنفير ، كتشبيه وجه أسود بمقلة الظبى ، ووجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة ، وقد جمعهما ابن الرومى فى بيت واحد وهو قوله : / [٦٥]　　/ ٥٠ أ

---

(٦٢) البيت من قصيدة يرثى فيها والد سيف الدولة . ومطلعها :

نعـد المشرفيه والعوالى　　　وتقتلنا المنون بلا قتال

(ديوانه ٣/١٥١ ط بيروت ، والأسرار ص ١٣٨ ، ١٥٩)

(٦٣) وتكملة البيت : وقرطاس كرقراق السحاب . والخوافى جمع خافية ، وهى ريشات عشر فى مقدم جناح الطائر تختفى حين يضم الطائر جناحيه ، والبيت للحسن بن وهب .

(٦٤) البيت لمجنون ليلى قيس بن الملوح بن مزاحم . ديوانه ص ١٩٧ ط بيروت والأسرار ص١٣٩ ، وفى الكامل لمجنون بنى عامر ١٦٦ :

فأصبحت مـن ليلى الغداة كناظر　　　مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب

(٦٥) مجاج النحل : العسل .

تقول : هذا مُجاج النحلِ، تمدحُه　　وإن تَعِبْ قلتَ : ذا قيءُ الزنابيرِ

السادس : الاستطراف ، لندرة المشبه به ، إما مطلقا ، كتشبيه فحم فيه حجر متوقد ببحر من المسك موَّجه الذهب ، أو عند حضور المشبه ، كقوله (٦٦) :

ولأزورْدِيَّـــةٍ تزهـــو بزُرقتها　　بين الرياض على حُمْر اليواقيتِ

كأنها فوقَ قامات ضَعُفْن بها　　أوائل النار فى أطراف كبريت

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت ليست بنادرة مطلقا ، بل عند حضور المشبه . وفى هذا الكلام نظر من وجهين :

الأول : أن أبا الطيب قال :

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنت منهم (٦٧)

قال : تفق الأنام

فكيف يفسر بأنه بطل أن يكون منهم لما بينهما من التنافى ؟

الظاهر أنه قال : أراد أنه منهم فى الصورة الإنسانية ، وتجاوز عنهم فى الكمالات النفسية . قلنا : حينئذ لا يتم الشبه بالمسك ، لأنه قد خرج عن صورة الدم إلى صورة أخرى .

إن قال : ما ذكرته لازم على تقدير أن يكون (من) فى منهم للتبعيض ، وأما إذا كانت لابتداء الغاية ، كقوله تعالى حكاية : ﴿ خلقْتَنِى من نارٍ وخلقتَه من طِينٍ ﴾ (٦٨) فلا يلزم ، ويتم التشبيه والتفسير .

قلنا : لا يتم حينئذ وجه الشبه ، لأنه جعل المسك بعض دم الغزال ، ولم يجعله من دمه ، بمعنى أن يكون أصله منه ، وإلا قرر أنه لم يرد به تشبيه

---

(٦٦) لازوردية : زهر البنفسج ، واليواقيت : أحجار كريمة . والبيتان لابن الرومى والبيت الثانى فى الديوان :

كأنها وضعاف القضب تحملها　　أوائــل النار فى أطراف كبريت

(ديوانه ١/٣٩٤ والاسرار ص ١٤٧)

والأبيات نسبها العسكرى لابن المعتز ، ديوان المعانى ٢/٢٤

(٦٧) البيت فى الاسرار ص ١٣٨ ، ديوانه ٣/٢٠　　(٦٨) سورة ص آية ٧٦

الممدوح بالمسك ، بل أراد أنه : كما لا يستبعد ارتقاء دم الغزال فى الكمال إلى غاية لم يلحقها غيره من الدماء ، وهى : صورة المسك ، كذلك لا يستبعد ارتقاء بعض الممدوح فى الكمالات الإنسانية إلى غاية لا يلحقها أحد من بنى نوعه .

الثانى : أن المعانى التى جعلها غاية للتشبيه يمكن التعبير عنها بغير طريق التشبيه ، بل بألفاظ دالة عليها بالمطابقة ، فالعدول إلى التشبيه يحتاج إلى مخصص هو : الغاية فى الحقيقة ، وما ذكره غاية لمطلق التعبير ، سواء كان بتشبيه أو بغيره .

والحق أن عامة أنواع التشبية والمجاز والكناية شئ واحد . وهى المزية التى بها تمتاز الدلالة المركبة من الوضع والعقل ، عن الدلالة الوضعية الصرفة من ارتياح النفس ، وحسن موقع المعنى فيها ، لكون الدلالة بسبب تصوفها .

* * *

التشبيه المقلوب

/٥٠ ب **إشارة** : / لكون غرض التشبيه : الدلالة على معنًى بطريق العقل لفائدة تقدمت ، جاز ترك التشبيه ، والاكتفاء بذكر طرفيه ، وقلبُ التشبيه ، يجعل المشبه مشبها به ، لأن كلَّ واحد فيهما ينهض بالغرض ، أما تركه فعلى وجهين :

الأول : أن يترك التشبيه بالمطابقة ، لا بالالتزام : بأن يذكر الطرفان من غير آلة التشبيه ، ولا حمل المشبه به على المشبه ، فإن ذكرهما يستلزم انتقال العقل منهما إلى المشابهة بينهما كقول ابن بابك (٦٩) :

وأعرْتَ شطْر الملك ثوبَ كماله ... والبدرُ فى شَطْر المسافة يكمُلُ

فإنه لما ذكر أن كل واحد من الممدوح والبدر موصوف بالكمال : هذا فى نصف المسافة ، وذاك فى نصف الملك ، انتقل العقل من ذاك إلى التشبيه ، والغرض أنه كما يجوز أن يدل على معنى فى المشبه بالالتزام بذكر التشبيه بالمطابقة كذلك يجوز أن يدل على نفس التشبيه بالالتزام بذكر المعنى بالمطابقة ، فإنَّ كل واحد منهما محصِّل للغرض .

الثانى : أن يترك التشبيه بين شيئين ، ويشك فى المفاضلة بينهما ، فإن الشك فى المفاضلة يستلزم الحكم بثبوت الفضل لهما ، وثبوت أصل الفضل لهما يسلتزم التشبيه بينهما فيه ، لا فى المفاضلة ، لأنها مشكوك فيها ، وذلك كقولهم : واللهِ ما أدرى أنور الصباح يخفى فى ضوء وجهه ، أم نور الشمس مسروق من نور جبينه ؟ ومنه قول أبى إسحق الصابى (٧٠) :

تشابه دمعى – إذ جرى – ومُدامتى ... فمِن مثل ما فى الكأس عينى تسكُبُ

فــواللّه مـا أدرى : أبالخمر أسبلَتْ ... جفـونِى ؟ أم من عبرتى كنت أشربُ ؟

---

(٦٩) سبق التعريف به ص ١٥٤ من هذا الكتاب . والبيت فى الأسرار ص ١٥٦ .

(٧٠) أبو إسحاق الصابى هو إبراهيم بن هلال بن هارون الحرانى ، وكان كاتباً وشاعراً وتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، والمدام : الخمر ، أسبلت : سالت الدمع . يتيمة الدهر ١٨/٢

ويجوز أيضا مع الشك فيهما ، تشبيه كل واحد من الطرفين بالآخر ، كقول الآخر :

رقَّ الزجاجُ ، وراقت الخمرُ فتشابها فتشاكـلَ الأمْـرُ

فكأنما خمـرٌ ولا قـدحٌ وكأنما قـدحٌ ولا خمرُ (٧١)

وأما قلب التشبيه كقول محمد بن وهيب (٧٢) :

وبـدا الصباح كأن غُرّتَهُ وجهُ الخليفة حين يُمتدَحُ

فإنه وإن كان لا فرق بين التشبيه وقلبه فى الدلالة على اشتراك الطرفين فى أصل المعنى ، لكنهما يختلفان فى زيادة المعنى وظهوره . كما تقدم : أن من شرط التشبيه كون وجه الشبه أظهر فى المشبه به من المشبه . وفائدة قلب التشبيه نقل تلك الزيادة من المشبه به إلى المشبه ، لقصد المبالغة ، وعدل عن النص على تلك الزيادة بإيراد أفعل التفضيل ، لمزية عرفتها للدلالة العقلية على الوضعية ، ألا ترى أن قولك : « أبو حنيفة أظهرُ فى الفقه من أبى يوسف » ليس له موقع فى النفس وقبول الطبع مثل قولك : « أبو يوسف كأبى حنيفة » .

وهم وتنبيه :

قلبُ التشبيه وإن كان من محاسن الكلام لما قلناه ، لكن لا يوجد فى كلامه تعالى ، لأن كلامه على وجه التحقيق / لا على المبالغة التى تشبه الكذب ، ٥١/ أ وقد توهم المعاصر (٧٣) وجمعٌ من أرباب البلاغة وجودَه فيه ، ومثلوا بقوله : ﴿ أفمنْ يخلقُ كمنْ لا يخلق ﴾ (٧٤) قالوا : لأن الخطاب للذين شبَّهوا من لا يخلق بمن يخلق .

---

(٧١) البيتان للشاعر الصاحب اسماعيل بن عباد . ديوانه ١٧٦

(٧٢) هو محمد بن وهيب الحميرى فى مدح الخليفة المأمون بن الرشيد من قصيدة مطلعها :

العذر إن أنصفت متضـح ومشهود حبك أدمع سفح

(معجم الشعراء ٣٥٨)

(٧٣) الايضاح ١٣٥

(٧٤) سورة النحل آية ١٧ .

والجواب : المنع من أن الكفار شبهوا ، بل عبدوا من لا يخلق مكان من يخلق ، وليس ذلك بتشبيه ، أما البارى تعالى فقد سلب التشبيه ؛ لأنه استفهم على وجه الإنكار الذى هو فى قوة السلب ، وفرق بين التشبيه وسلبه ، فإن التشبيه مشروط بكون وجه الشبه أظهر فى المشبه به من المشبه ، وسلبه لا يستلزم ذلك ، لأنه ليس فيه شبه ، حتى يكون أظهر أو أخفى ، وحينئذ لا فرق بين التقديم والتأخير فى سلب التشبيه ، وإنما قدم من يخلق ، لشرفه فقط .

ومثلوا أيضا بقوله حكاية : ﴿ إنما البيعُ مثلُ الربا ﴾ [75] والأصل تمثيل الربا بالبيع .

والجواب : أنه ليس من كلامه تعالى ، وإنما هو كلام مستحِلِّى الربا ، ولا ريب أن الربا أظهر عندهم فى الحل من البيع ، فجعلوه مشبها به ، لحصول شرطه فيه دون البيع ، والحكاية يجب أن تطابق المحكى .

مثلوا أيضا بقوله تعالى : ﴿ أفرأيْتَ من اتَّخذَ إلٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ [76] فإن الأصل تشبيه الهوى بالإلٰه دون العكس .

والجواب : أنه ليس من التشبيه فى شئ ، لأن مراده : أفرأيت من جعل عوض إلهه هواه ، ولم يرد تشبيه هواه بإلٰهه ، ولا العكس ، وذلك لأنهم لم يصرحوا بالتشبيه بينهما ، بل جعلوا الهوى مكان الإلٰه فى الاتباع ، وعلى تقدير التشبيه يكون حكاية ، ولم يكن من كلامه تعالى .

* * *

---

(٧٥) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

(٧٦) سورة الفرقان آية ٤٣ .

وجه الشبه

إشارة : إلى تقسيمات وجه الشبه باعتبارات أخر غير ما تقدم ، وذلك ثلاثة أنواع :

الأول : التمثيل وعدمه

وهو أن يشبه شئ بشئ فى وصف منتزع من أمرين ، كتشبيه الحسود بالنار فى كون كل واحد منهما بقاؤه فى ايذاء الغير ، وفناؤه فى عدمه ، كقول ابن المعتز (٧٧) :

اصبر على مضَض الحسو ... دِ فـــإنّ صبْــــرك قـــاتلهْ

فالنار تأكــــل نفسهَـــــا ... إن لـــــم تجـــدْ مـا تأكلُهْ

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مثُلهمْ كَمثلِ الذى استوقدَ ناراً فلمّا أضاءتْ ما حَولَهُ ذهبَ اللّهُ بنورهمْ وتركَهُمْ فى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرون ﴾ (٧٨) فإنه شبه حال المنافقين بحال المستوقد / المذكور فى أمر مأخوذ من أمرين ، هما : الطمع فى مطلوب لمباشرة أسبابه ، وتعقبه الحرمان والخيبة . ٥١/ ب

وغير التمثيل ما عداه .

الثانى : باعتبار إجماله وتفصيله .

والإجمال : إما لوصف ظاهر لكل أحد ، كقولك : زيد أسد ، أو كالأسد أو كأنه أسد .

أو خفى ، كتشبيه من شبه بنى المهلب بالحلقة لما سأله الحجاج : « أيّهم أنْجَد ؟ » قال : « كانوا كالحلقة المفرغَة لا يُدرَى أين طرفاها » أى : ليس فيهم من ينص عليه بالأنجدية ، لتناسب شرائط النجدة فيهم ، كما أن الحلقة ليس فيها جزء ينص عليه أنه مبدأ أو منتهى ، هكذا ذكره عبد القاهر (٧٩) .

---

(٧٧) المضض : الألم والتعب ، ديوان ص ٣٨٩ .

وفى الديوان : اصبر على حسد الحسود . وانظر الأسرار ص ١٠٩ .

(٧٨) سورة البقرة آية ١٧ . (٧٩) أسرار البلاغة ص ١٠٧ .

ونسب الزمخشرى هذا التشبيه إلى الأنمارية ، قيل : هى فاطمة بنت الخُرْشُبِّ سئلت عن بنيها : أيهم أفضل ؟ فقالت : عمارة ، لا ، بل فلان ، لا بل فلان ، ثكلتُهم إن كنت أعلم أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها . ولا منافاة بين النقلين .

وهذا النوع أربعة أقسام :

الأول : أن يوصف كل واحد من طرفيه ، كقول أبى تمام [٨٠] :

صدفْتُ عنه ، ولم تصدِفْ مواهبهُ عنـــّى ، وعادَهُ ظنى ، فلم يَخبِ

كالغيثِ إنْ جِئْتَـــهُ وافـــاكَ ريقه وإنْ تـــرحّلت عنـــه لجّ فى الطلَبِ

الثانى : أن يوصف المشبه به فقط كقول النابغة [٨١] :

فإنك شمسٌ ، والملُوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهن كوكبُ

وقول زياد الأعجم [٨٢] :

وإنّـــا ومـا تُلقِى لنا إن هَجَوْتَنا لكالبحر ، مهما تُلق فى البحر يَغْرق

الثالث : أن يوصف المشبه فقط ، كقولك : زيد العالم كالشمس .

الرابع : أن يهمل وصف الطرفين معا ، نحو : عمرو كالبحر .

والتفصيل : أن يذكر وجه الشبه ، نحو : زيد فى العلم كالبحر ، وفى النجدة كالأسد . ومنه قول ابن الرومى (*) :

---

(٨٠) صدف : أعرض وانصرف ، ريقه : أفضله . والبيتان من قصيدة يمدح فيها الحسن بن سهل مطلعها :

أبدت أسى أن رأتنى مخلس القصب وآل ما كـــان مـــن عجب إلى عجب

(ديوانه ١/١١٣)

(٨١) البيت من قصيدة يعتذر فيها للنعمان بن المنذر ويمدحه مطلعها :

أتانى - أبيت اللعن - إنك لمتنى وتلك التـــى أهتم منها وأنصب

(ديوانه ص ٥٦ والأسرار ص ١٦٠)

(٨٢) هو زياد بن سليمان الأعجم من شعراء الموالى فى العصر الأموى ولقب بالاعجم ، لأنه كان ألكن .

(*) ديوان المعانى ١/١٦٦ ، حماسة ابن الشجرى ٢٦٤

يا شبيهَ البدر في الحسن وفي بعد المنال

جُـدْ فقد تنفجـر الصخـرة بالماء الزلال

وقول أبي بكر الخالدي (٨٣) .

يا شبيـه البـدرِ حسناً وضيـاءً ومنـالاً

وشبيـهَ الغصـنَ ليناً وقـوامـا واعتـدالاً

/ أنت مثلُ الورد ونسيمـ..........ـاً

٥٢/ أ

ويجوز أن يقام ملزوم وجه الشبه مقامه ، كتشبيه الكلام بالعسل في الحلاوة ، وبالماء في السلاسة ، وبالنسيم في الرقة . والمراد : لازم كل واحد منها ، وهو : ميل الطبع لموافقته إياه .

الثالث : باعتبار قربه وبعده .

فالقريب لقربه سببان :

الأول : هو أن يكون مجملاً فإن الإجمال أقرب إلى الفهم من التفصيل .

الثاني : أن يكون قليل التفصيل ، فإنه أقرب إلى الفهم من كثيره ، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالإجّاصة (٨٤) في اللون والشكل ، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة .

والبعيد ، لبعده أيضا سببان :

الأول : كثرة التفصيل ، كتشبيه الشمس عند طلوعها بالمرآة من الذهب بكف المرتعش .

---

(٨٣) الخالدي : هو محمد بن هاشم شاعر كان يقوم مع أخيه على دار كتب سيف الدولة الحمداني .

(٨٤) الإجاصة : والجمع إجّاص ، قال الجوهري : الإجاص دخيل لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب ، والإجاص : نوع من الفاكهة : اللسان مادة أجص .

الثانى : ندرة حضور المشبه به فى الذهن ، إما عند المشبه ، كتشبيه البنفسج بنار الكبريت [٨٥] ، كما تقدم ، أو مطلقا ، كتشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال [٨٦] كما تقدم ، وتشبيه الشقيق بأعلام من ياقوت منشورة على رماح من زبرجد [٨٧] ، وكتشبيه الشمس عند طلوعها بالمرآة من الذهب فى كف المرتعش [٨٨] فإنه صالح أيضا لتمثيل الغرابة.

إشارة : كلما كان وجه الشبه أتمّ ، كان التشبيه أفضل ، ولذلك رجح قول امرئ القيس [٨٩] :

حملتُ رُدَيْنيًا كـــأنَّ سِنَانه   سَنا لهبٍ لم يتّصلْ بدخانِ

على قول الآخر [٩٠] :

يُتابــــعُ لا يبتغــى غيره   بأبيضَ كالقبس الملتهبْ

لتقييد الأول بعدم اتصال الدخان ، بخلاف الثانى والتشبيه فى المقيد أتم من المطلق .

وكذلك رجح قول بشار [٩١] :

كــــأن مُثـــــار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافَنا ليـــلٌ تهـاوى كواكبهْ

على قول أبى الطيب [٩٢] :

يزورُ الأعادى فى سماء عَجاجةٍ   أسنّتُه فـــى جانبيها الكـــواكِبُ

---

(٨٥) انظر ص ١٨٨ من هذا الكتاب .   (٨٦) انظر ص ١٧٦ من هذا الكتاب .

(٨٧) انظر ص ١٧٥ من هذا الكتاب .   (٨٨) انظر ص ١٨٠ من هذا الكتاب .

(٨٩) الردينى : رمح منسوب إلى امرأة تسمى ردينة اشتهرت بصناعة الرماح . وسنا الرمح : نصله ، وفى ديوانه ذكر منفردا ص ٤٧٧ ، والعمدة ٥٢/٢ والصناعتين ٢٤٧ والأسرار ص ١٨٩ .

(٩٠) البيت لعنترة بن شداد من قصيدة فى قتل ورد بن جابس نضلة الاسدى ومطلعها :

وغادرنى نضلة فى معرك   يجـــر الأسنة كالمحتطب

(ديوانه ص ٣٢ ، والأسرار ص ١٨٨)

(٩١) البيت من قصيدة يمدح فيها مروان بن محمد وقيس عيلان ، وقد سبق ذكره .

(ديوانه ١٣٨/١ . والأسرار ص ٢٠٠)

(٩٢) ديوانه ١٠٧/١ الواحدى ، والبيت فى الأسرار ص ٢٠٠ .

لتقييد الأول بكون الكواكب متهاوية كالسيوف ، أى : لها حركات متخالفة من الصعود والنزول وغيرهما ، بخلاف الثانى ، وكذا على قول الآخر (٩٣) :

تبنى سنابكُها من فوق أرؤسهم   سقْفاً كــواكبــهُ البيضُ المباتيرُ

/ لعدم تقييد الكواكب بالحركة المخصوصة ، كما تتحرك السيوف المسلولة ٥٢/ ب فى أيدى الرجال فى الحرب .

ورجح قول الشاعر فى الآذريون :

مــداهــنُ مــن ذهبٍ   فيها بقايا غاليه (٩٤)

على قوله فيه :

ككــأس عقيــق فــى قرارتهــا مِسْك (٩٥)

لأن فى الأول شبهاً من وجهين :

أحدهما : عدم شمول السواد فى المدهن .

وثانيهما : الشكل المخصوص ، وهو تلطخ قعر المدهن . لا على وجه الاستدارة . ولا تحسبن أن وجه الشبه إذا كان مطلقا ، كان أرجح من المقيد ، لكونه أظهر عند النفس ، وأبعد من الغرابة ، لأن مبنى علم البيان على عكس ذلك ؛ لأن الأخص أو الأبهم ، أبهم ، والأبهم يصرف النفس عنه أكثر ، وكلما كان تصرفها أكثر ، كان أوقع وألذ ، وقد عرفت أن عامة علم البيان : هى هذه اللذة ، ولها مرتبة عظيمة عند النفس ، ولذلك قال الجاحظ : « أين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ، ولذة السبع بلطخ الدم وأكل اللحم ، من سرور الظفر بالأعداء، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه !؟ » . وهذا هو السبب فى استهجان

---

(٩٣) البيت لعمرو بن كلثوم العتابى ، والمباتير : القاطعة . الشعر والشعراء ٥٤٩ وطبقات ابن المعتز ١٢٣ والأسرار ص ٢٠١

(٩٤) ينسب البيت لعبد الله بن المعتز . العمدة ١٨٣/٢ والأسرار ص ٢٠٢ .

(٩٥) البيت ينسب لعبد الله بن المعتز أيضا . وصدره : « وحمل آذريونه فوق أذنه » الأسرار ٢٠٢ ، ديوان المعانى ٢٦/٢

الشبه بالمشهور المبتذل ، والاحتيال فى إخراجه إلى الغرابة بقيد يبهمه بعض الإبهام ، كقول الشاعر (٩٦) :

فردَّت علينا الشمسُ والليل راغمٌ   بشمسٍ لهم مـن جانب الخِدْرِ تَطْلُعُ

فـوالله ما أدرى ؟ أأحـلامُ نائمٍ   ألَمّت بنا ؟ أم كان فى الركب يُوشَعُ ؟

فإن التشبيه بالشمس وإن كان مبتذلا ، لكن حسنه فى تقييده المشبه به ، بالشك فيه ، وكقول الآخر (٩٧) :

عزماتهُ مثلُ النجوم ثواقبا   لو لم يكن للثاقبات أفُولُ

حسَّنه وصفُه للثاقبات بالأفول ، وكقول الآخر (٩٨) :

مهما الوحش إلا أنّ هاتا أوانسٌ   قنا الخَـط إلا أنّ تلك ذوابـلُ

حسَّنه وصفُه للمشبه بالإنس ، ووصفه للمشبه به بالذبول ، ومن أحسن ما جاء منه قول الآخر (٩٩) :

يكـاد يحكيك صوبُ الغيْثِ مُنْسكبا   لو كان طلْقَ المُحيّـا يُمْطـر الذهبا

والبدرُ لو لم يَغِبْ ، والشمس لو نطقتْ   والأُسْد لو لم تُصَد ، والبحُر لو عذُبا

---

(٩٦) الخدر : الخباء ، ألمت : طافت ، يوشع ، فتى موسى الذى رد الله الشمس بدعائه . والبيتان لأبى تمام من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى ومطلعها :

أما أنه لـولا الخليط المودع   وربع عفا منه مصيف ومربع

وبين البيتين المذكورين بيت ثالث وهو :

نضـا ضـوْها صبـغ الدجنة فانطوى   لبهجتها ثوب السماء المجزع ٣١٩/٢

(٩٧) البيت لرشيد الدين الوطواط المتوفى سنة ٥٧٣ هـ . الثواقب : الساطعة ، الأفول : الغروب ، حدائق السحر ١٤٢ .

(٩٨) البيت لأبى تمام من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الله الزيات مطلعها :

متى أنت عن ذهيلة الحى ذاهل   وقلبـك منها مـدة الدهر آهل

(ديوانه ١١٦/٣ والتبيان ص ١٧١)

والمها : البقرة الوحشية ، والقنا : الرمح .

(٩٩) البيتان لبديع الزمان الهمذانى صاحب المقامات المعروفة . اليتيمة ٢٩٣/٤

/ وقد يخرج عن الابتذال بقلب التشبيه كقول الشاعر : (١٠٠) /٥٣ أ

في طلعةِ البدر شئٌ مِن محاسنها ... وللقضيبِ مِن تثّنيها

وقد يجمع بين القلب والشرط ، فيزداد الكلام حسنا وبلاغة ، كقول ابن بابك (١٠١) :

ألا يا أرض الحَزنْ من أبْرق الحمى ... نسيمُكَ مسروق ووصفكُ منتحَلْ

حَكَيْتِ أبا سعْد ، فنشرُكِ نشْرُه ... ولكنْ له صدقُ الهوى ، ولكِ الملَلْ

فإنه مع القلب قيَّده بشرط عدم الملل .

وربما يتخلص عن الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات ، كقول امرئ القيس (١٠٢) :

له أيْطَلا ظبْيٍ : وساقا نعامةٍ ... وإرخاءُ سِرحانٍ ، وتقريبُ تَتْفُلِ

وكقول الآخر :

كأنما يَبْسِمُ عن لؤلؤٍ ... مُنضد ، أو برَد ، أو أقاحْ (١٠٣)

* * *

---

(١٠٠) البيت للبحترى من قصيدة يمدح فيها المتوكل مطلعها :

أنافعى عند ليلى فرطُ حبها ... ولوعةٌ لى أبديها وأخفيها

والشطر الأول من البيت : « فى حمرة الورد شكل من تلهيها » ، والقضيب : الغصن اللدن .
(ديوانه ٤/ ٢٤١٠)

(١٠١) الحزن : الأرض السميكة ، أبرق الحمى : مكان ، النشر : الرائحة الطيبة . والبيتان لابن بابك ، عبد الصمد بن منصور .

(١٠٢) الأيطل : الخاصرة ، سرحان : الذئب ، تتفل : ولد الثعلب . والبيت من معلقة امرئ القيس ص ٢١ .

(١٠٣) منضد : مستو ، برد : قطع الثلج الصغيرة ، أقاح : نبات أبيض النوار . والبيت للبحترى من قصيدة يمدح فيها عيسى بن إبراهيم ، وقد سبق ذكرها . ديوانه ١/ ٤٣٥

مراتب التشبيه

إشارة : أقوى مراتب التشبيه : حذف أداته ووجه شبهه معاً ؛ لأن ذكر الأداة يدل على ثبوت مزية للمشبه به على المشبه ، التى باعتبارها استحق أن يشبه به ، دون العكس ، فحذفها يوهم عدم تلك المزية ، وذكر وجه الشبه يدل على انتفاء وجه آخر له ، فحذفه يوهم عموم التشبيه فى جميع صفات المشبه به ، فإذا قلت : زيد أسد ، تُوهِّم أن جميع صفات الأسد حاصلة فى زيد ، من غير زيادة للأسد .

ودون هذه المرتبة : حذف أحدهما دون الآخر ، فإن كل واحد من قولك : زيد كالأسد ، وقولك : زيد أسد فى الشجاعة ، له قوة ينفرد بها دون الآخر كما عرفت .

ودونهما فى المرتبة : أن يذكر أداة التشبيه ووجهه معا ؛ لأنه مقابل للرتبة الأولى ، ويدل على تشبيه شئ بشئ فى صفة واحدة ، مع ثبوت مزية للمشبه به .

وأما قلبُ التشبيه فهو فى الرتبة الثانية ؛ لأن فيه قوةً باعتبار القلب ، ونقل مزية المشبه به إلى المشبه . وضعفاً باعتبار عدم إيهام شمول التشبيه للصفات كلها .

وزاد المعاصر [١٠٤] على هذه المراتب أربع أخرى ، باعتبار حذف المشبه مع الأربع المذكورة ، ولم يذكر وجه القوة ولا وجه الضعف ، ولا قلب التشبيه ، وليس بشئ ؛ لأنه إن دلت قرينة على تعين المشبه فهو فى رتبة ذكره من حيث التشبيه ، وإن وقع التفاوت فهو باعتبار انضمام المجاز إليه ، ولا كلام فيه ، أو الكلام فى التشبيه فقط ، وإن لم يكن قرينة ، فذلك غير جائز الوقوع ، فلا حاجة إلى ذكره .

هذا إذا كان المشبه مقدرا ، وإلا كان استعارة إن اقتصر على ذكر المشبه به ، وإلا لم يجز .

---

(١٠٤) الإيضاح ص ١٥٠

/ وقسم أيضا التشبيه إلى مقبول ومردود [١٠٥] . /٥٣ ب

فالمقبول : هو الذى يكون للمشبه به مزية ما على المشبه .

والمردود : بخلافه ، وليس أيضا بشئ يُحتاج إلى ذكره ؛ لأنا جعلْنا ثبوت تلك المزية شرطا للتشبيه فى أول ركن من التشبيه ، فيعلم من انتفائه انتفاء التشبيه المقبول ، ويعلم من انتفاء القبول كونه مردودا ، والله أعلم بالصواب .

* * *

---

(١٠٥) الإيضاح ص ١٤٩ .

الركن الثانى
فى المجاز

إشارة : إلى الحقيقة والمجاز .

وإن كان المجاز هو المقصود بالذات هنا ، لكن لكون أصله الحقيقة ، وأنه مقابل لها تقابُلَ الإيجاب والسلب ، فحقيق بنا أن نتكلم أولا فى الحقيقة :

الحقيقة : هى لفظ مستعمل فيما وُضع له من حيث هو كذلك .

فقولنا : لفظ ، جنس يشمل الحقيقة وغيرها . ولم يقل : اسم ؛ ليشمل الأفعال والجمل ، فإن الحقيقة كما تكون اسماً ، كذلك تكون فعلاً وجملة ، وليس القدْر المشترك بين الثلاثة غير اللفظ .

وقيَّدناه بالاستعمال ؛ لأن الكلمة قبل أن تستعمل لا تكون حقيقة ولا مجازا .

وقيدنا الاستعمال بأن يكون فيما وُضع له ، ليخرج المجاز .

وذكرنا الحيثيّة ، ليخرج المجاز الذى صار حقيقة فيما تجوِّز فيه ؛ لأنه مجاز بالنسبة إلى الوضع الأول ، وإن كان حقيقة بالنسبة إلى الوضع الثانى ، ويسمى مثل هذا اللفظ حقيقة لغوية ، إن كان الواضع الثانى أيضا أهل اللغة ، كالقارورة والخابية [1] الموضوعتين أولاً لكل ما يُقَر فيه المائع أو يخبأ فيه ، ثم نقلتا إلى الزجاج والخزف المعلومين .

وحقيقة اصطلاحية : إن كان شخصا معينا أو أشخاصا معينين كاصطلاحات النحاة والنظار.

وحقيقة عرفية : إن كان عرفاً عاماً ، كالدابة الموضوعة فى اللغة لكل ما يدب من أنواع الحيوانات ، ثم استعملت فى العرف فى الحمار والفرس ، ولذلك يسبق الذهن اليهما عند إطلاقهما ، ويدل على الوضع الأول : اشتقاقهما من

---

(١) الخابية : وعاء من زجاج أو خزف يوضع فيه السوائل ، فاذا استعملت فى كل وعاء فهى مجاز للعموم ، وإن استعملت فى الزجاج والخزف فهى حقيقة .

دب يدب ، وصدْق المشتق منه في شئ يستلزم صدق المشتق عليه ، واستعمالها في كل ما يدب ، قال تعالى : ﴿ وما مِنْ دَابّة في الأرض ولا طائرٍ يطيرُ بِجنَاحَيْهِ ﴾ [٢] الآية .

ولفظ الحقيقة مشتق من الحق ، وهو الثبوت ، وهى فعيلة بمعنى فاعلة ، أي : ثابتة في أصل الوضع ، وليست بمعنى المفعولة / كما قيل ، [٣] وإلا لم تحتج ٥٤/ أ إلى التاء ؛ لأن الفعيل الذى بمعنى المفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث ، كالقتيل والجريح ونحو : الأكيلة والذبيحة شاذة ، وليست التاء فيه للدلالة على نقله من الوصفية إلى الاسمية كما قيل ؛ لعدم اطّراده .

المجاز

إشارة : إلى المجاز :

المجاز : لفظٌ مستعمل في غير ما وُضع له من حيث هو كذلك .

وقد عرفت فائدة إيراد اللفظ دون الاسم ، وفائدة القيود كلها في حد الحقيقة [*] ، فلا حاجة إلى الإعادة .

والمجاز مشتق من جاز الشئ يجوز جوازاً ، أي : سار : كذا قاله الجوهرى [٤] فتكون مَفْعَلا بمعنى الفاعل ، أي : لم يثبت في موضوعه ، بل سار عنه .

قول المعاصر [٥] : إن المجاز بمعنى المجاز الذى هو طريق ، لأنه طريق إلى المعرفة ، ليس بشئ ؛ لأنه إذا كان شئ في مقابلة شئ يجب أن يفسر كل واحد منهما بما يقابل تفسير الآخر ، على أنه لو قيل له : لم سمى المجاز بالمجاز ولم

---

(٢) سورة الأنعام آية ٣٨ . وتمام الآية ﴿ ..... إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون ﴾ .

(٣) قال الخطيب القزويني : الحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من قولك : حققت الشئ أحقه إذا أثبته ، أو فعيل بمعنى فاعل . الايضاح ص ٣٩٥ ط بيروت . (*) ص ١٨٢

(٤) هو اسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ وله كتاب : تاج اللغة وصحاح العربية المعروف باسم الصحاح . فالحقيقة : الثبوت على الشئ أو الوضع ، والمجاز : عدم الثبوت .

(٥) الإيضاح ص ١٥٣ .

تسم الحقيقة به ، لأنها أيضا طريق إلى معرفة معناه ؟؟ لم يكن له جواب غير ما ذكرناه .

والمجاز كما يكون في الاسم ، كذلك يكون في الفعل و الجملة نحو : أحياني طلعتك ، فإنه كما أن لفظ أحيا مجاز فيه ، كذا إسناده إلى طلعتك أيضا مجاز ، ولا يكون المجاز الإسنادى إلا لغويا ، لأن دلالة المركبات على معانيها بالوضع، لا بالعقل .

ومن قسَّم المجاز الى لغوى وعقلى ، فذلك مبنى على أصله الفاسد ، وهو أن دلالة المركب على معناه بالعقل أو الوضع ، وقد عرفت فساده فى أول الكتاب (٦) ، بل يقسم إلى الإفرادى والتركيبى .

ومن حق الكلام فى المجاز المفرد أن يتقدم على الكلام فى التشبيه ؛ ليطابق الوضعُ الطبعَ ؛ لأن المجاز يفيد التصوير ، والتشبيه يفيد التصديق ، والتصوير مقدم على التصديق بالطبع ، وإنما قدمنا التشبيه ، تقليداً لمن سبقنى ، وغفولا عن هذا المعنى .

وأما المجاز التركيبى وإن كان مفيداً للتصديق ؛ لكن الأوْلى أن يُضم بحثه إلى المجاز المفرد ؛ لئلا يلزم الفرقة بين قسمَىْ شئ واحد ، وانما فرقت بينهما ، وقدمت المجاز التركيبى ، تقليدا وغفولا .

وكذلك البحث فى المجاز التركيبى وإن كان يشبه أن يكون من مسائل علم المعانى ؛ لكونه من عوارض الإسناد ، لكن الأولى أن يجعل من مسائل علم البيان ، كما / فعل السكاكى (٧) لمشاركته المجاز الإفرادى فى الدلالة على المعنى المراد بشركة العقل ، ولئلا يقع الفرق بين قسمى شئ واحد ، وانما ذكرته في علم المعانى تقليداً وغفولا ، فمن قدر على الترتيب المشار إليه من النساخ على وجه غير مخل ، فليفعل مُثاباً مأجورا . /٥٤ ب

إشارة : المجاز إن اعتبر مع القرينة فهو ملزوم للمعنى المراد بتوسط الوضع والعقل معاً ، فإنك إذا قلت : رأيت أسداً يرمى ، ينتقل الذهن من سماع اللفظ

(٦) ص ١٩ من هذا الكتاب .

(٧) المفتاح ص ٢٠٨ وما بعدها .

إلى الحيوان المفترس الدامى ، انتقالاً بواسطة الوضع ، ثم ينتقل منه إلى الرجل الشجاع بتوسط الحكم باستحالة إسناد الرمى إليه ، انتقالا بالعقل .

وكذلك إذا قلت : « سل القرية » ينتقل الذهن بسبب الوضع الى معنى القرية ، ثم بواسطة استحالة تعلق السؤال بالقرية ، ينتقل انتقالا ثانيا إلى أهلها انتقالا عقليا ، وكذا فى سائر أنواع المجاز ، ينتقل العقل من اللفظ المعروف ، بالقرينة الى المعنى المراد انتقالين :

أحدهما وضعى ، وثانيهما عقلى ، وهذا هو معنى دلالة الالتزام .

وقرائن المجاز وإن كانت كثيرة ، لكن يجمعها أمر واحد ، وهو ما يدل على تعذر حمله على معناه الحقيقى ، وهى قرينة صارفة ، ولا يكفى ذلك فى الاهتداء الى المراد ؛ لأن علم إرادة شئ لا يستلزم إرادة شئ آخر بعينه ، فلابد من قرينة هادية : والهاديه هى نسبة من النسب الآتى ذكرها بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى ، فالعقل بواسطة القرينتين يهتدى إلى المعنى المراد المجازى ، وهكذا المعنى الحقيقى غير مراد ، وكلما كان غير مراد كان المعنى المجازى مرادا .

ويحتج على المقدمة الأولى بالقرينة الصارفة ، وعلى الثانية بالقرينة الهادية ، وهذا هو نوع من الاكتساب الذى بسببه اختيرت الدلالة الالتزامية المجازية على الدلالة المطابقية ، وأهل البلاغة سمّوا القرينة الهادية بالعلاقة ، ولا مشاحة فى الاصطلاح .

وهو على أقسام :

(أ) الاستعارة .

(ب) نسبة السبب إلى المسبب .

(ج) نسبة الكل إلى الجزء .

(د) نسبة الملزوم إلى اللازم .

(هـ) نسبة المطلق إلى المقيد .

(و) نسبة العام إلى الخاص .

(ز) نسبة الناقص إلي الزائد .

(ح) نسبة الحالّ إلى المحَلّ .

(ط) نسبة الشئ إلى غير زمانه .

وكل واحد منها ، - غير الأولى - ينعكس ، فيصير سبعة عشر قسماً .

/٥٥ أ (ى) / نسبة الشئ إلى ضده .

(ك) نسبة المصدر إلى فاعله .

(ل) نسبته إلى مفعوله .

ونحن نبين كل واحد من هذه الأقسام على الترتيب إن شاء الله تعالى .

* * *

الاستعارة

إشارة : إلى الاستعارة .

الاستعارة : هى أن يطلق لفظ المشبه به على المشبه ، ويراد أنه هو هو فى أخص صفاته [*] .

وشرطها : أن لا يذكر المشبه ولا يقدَّر ؛ لأنه لو ذكر أو قدر ، كان تشبيها لا استعارة ، وهو الذى عليه المحققون من أهل البلاغة ، كالقاضى الجرجانى [٨] ، والزمخشرى [٩] والسكاكى [١٠] ، وأحد قولَىْ عبد القاهر [١١] .

ويؤيده أنك إذا قلت : زيد أسد ، وأردت أنه هو هو ، فقد أحَلْت [١٢] :

إما لفظاً ، فلاستحالة الجمع بين العوض والمعوض عنه فى اللغة ؛ فإن لفظ المشبه به استعمل عوضاً عن لفظ المشبه .

وإما معنًى ؛ فلأن الفرق بين التشبيه والاستعارة ، أنك إذا قدَّرت أنَّ شِبه شجاعة الأسد مثلاً حاصلة فى زيد ، فهو التشبيه ، وإن قدرت أن عين شجاعته حاصلة فيه فهو الاستعارة ، فلو ذكر المشبه أو قدِّر ، لزم حمل أحد المتباينين على الآخر ؛ لأن شجاعة الأسد مقوِّمة له ، وليست مقومة لزيد .

إن قلت : يقدر أن المشبه من جملة أفراد المشبه به ، فيكون حمل العام على الخاص .

قلنا : سيجئ البحث فى استحالة هذا التقدير ، فلو كان الحمل جائزاً لما توقف على المستحيل .

(*) هذا التعريف ينطبق على الاستعارة التصريحية ، ولا يدخل فيه الاستعارة المكنية .

(٨) انظر الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٤٠ الطبعة الثالثة عيسى الحلبى .

(٩) الكشاف ٥٨/١ وانظر قول الزمخشرى فى قوله تعالى : ﴿ صم بكم عمى فهم لا يرجعون ﴾ البقرة آية ١٨ .

(١٠) المفتاح ص ١٨٩ .

(١١) أسرار البلاغة ص ٣١٣ .

(١٢) أحلت : أى جنحت إلى المستحيل .

وليس كذلك حملُ المشتق على الجامد ؛ لأن المشتق غير موضوع لجنس بعينه ، بل لذات ما قام بها المشتق منه ، ومن جملة أفراد تلك الذات ما حُمل هو عليه ، فيكون حمل الكلى على الجزئى ، لا حمل أحد المتباينين على الآخر ، وليس كذلك التشبيه ؛ لأن المسوغ لحمل المشبه به على المشبه ، هو ذكر أداة التشبيه أو تقديرها ، ولكون صفة به تقدر أنها بعينها موجودة فى المشبه فى الاستعارة وشبيهتها تقدر فى التشبيه لا عينها ، صارت الاستعارة أبلغ من التشبيه .

فانظر إلى حسن موقع قول زهير فى النفس ، وملاءمته للطبع :

لَدى أسدٍ شاكى السلاحِ مُقَذَّفٍ (١٣)

والى قول البحترى :

وبــــدرٌ أضـــاء الأرضَ شرقاً ومغربا   وموضِعُ رِجلى منه أسودُ مظلمُ (١٤)

وكما تجئ الاستعارة فى الأسماء ، كذا تجئ فى الأفعال ، كقول أبى دُلامة يصف بغلته :

أرى الشهباء تعجِنُ إذ غدونا   برجليها ، وتخبزُ باليدين (١٥)

استعار لحركتى يديها ورجليها تعجن وتخبز ، لمشابهةٍ بينهما وبين حركتى العاجن والخابز .

---

(١٣) وتمام البيت : له لبد أظفاره لم تقلم . وشاكى السلاح ، أى : سلاحه شائك . والبيت من معلقته المشهورة التى يمدح فيها الحارث بن عوف وهرم بن سنان ومطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم   بحــــومانــة الدراج فالمتثلم

(شرح ديوانه ص ٢٣ ط دار الكتب)

(١٤) البيت من قصيدة يعاتب فيها على بن يحيى المنجم ويستبطئ الفتح بن خاقان مطلعها :

على أى أمر مشكل أتلوم   أقيــم فأثوى أم أهم فأعزم

(ديوانه ١٩٨/٣ والأسرار ٣٧٥)

(١٥) الشهباء : البيضاء ، الغداة : أول النهار ، وأبو دلامة هو زند بن الجوان من شعراء الدولة العباسية . الأغانى ١١٥/٩ ، طبقات ابن المعتز ١٦ - ٢١ .

/ وهم وتنبيه :　　　　/٥٥ ب

ظاهر كلام أهل البلاغة أن المستعار هو الذى قدِّر فيه أن المشبه هو المشبه به ، إذا أطلقت اسم الأسد مثلا على الشجاع ، قدرت أنه هو الأسد ، لا أن شجاعته شبيهة لشجاعته ، وإلا لكان تشبيهاً لا استعارة ، ولهذا التقدير استحق اسم المشبه به .

وهذا بالإطلاق غير صحيح ، بل يجب أن يقيد بما هو مشبه به ، وإلا لكان شاملا لصفات أخر غير مرادة ، مذمومة فى المدح ، أو محمودة فى الذم ، فلا يكون مدحاً أو ذما بالإطلاق ، وإنما يستحق المشبه اسم المشبه به ، كأن يقدر أن المشبه به إنما يستحق اسمه لصفة وقع فيها التشبيه ، وعين تلك الصفة يقدر وجودها فى المشبه ، فيستحق إطلاق اسم المشبه به عليه ، لا بمعنى أنه يستحقه ، لأنه هو هو ، وإلا لكن المستعار حقيقة لا مجازا .

ولِما ذكرنا من التعليل امتنع وقوع الاستعارة فى الأعلام ؛ لأنها لم توضع باعتبار المعانى ؛ بل باعتبار تشخصها ، مع قطع النظر عن أجناسها ، اللهم إلا إذا اشتهر علم بصفة حتى ظن أن التسمية معللة بتلك الصفة فيلتحق حينئذ بالأجناس فى جواز استعارته : كما تستعار لفظة حاتم لكل كريم ، ومادر لكل بخيل .

والحاصل : أن الاسم جنساً كان أو علما إذا اشتهر مسماه بلزوم صفة له ظُنَّ أنه مشتق منها ، فيجرى مجرى المشتقات فى إطلاق الاسم على كل ما وُجد منه تلك الصفة .

وبعضهم صرح بالدعوى وقال : لو لم يكن نقل اسم المشبه به إلى المشبه تابعا لنقلِ معناه إليه ، لما وقع التعجب ممن وصف المستعار ببعض صفات المستعار له ، كقولَ ابن العميد (١٦) :

---

(١٦) البيتان لأبى الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد زعيم الكتاب فى القرن الرابع الهجرى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ وفيهما يصف غلاماً جميلاً وقف يظله من الشمس . والبيتان فى الأسرار ص ٣٤٥ . و اليتيمة ٣/ ١٦٠ ، لطائف اللطف ١٤٩ الثعالبى ببروت .

قامتْ تُظلِّلنـــي مـــن الشمسِ　　نفسٌ أعـــز علـىَّ مـــن نفســى

قامـــت تظللنـــى ، ومِن عجبٍ　　شـــمسٌ تُظَلِّلنـــى من الشـمسِ

وقول الآخر (١٧) :

لا تعجبـــوا مِـــن بِلىَ غُلالته　　قـــد زُرّ أزراره علــــى القمـــرِ

وقول الآخر (١٨) :

ترى الثياب من الكَتّانَ يلمحُها　　نـــورٌ مـــن البدر أحيـانـاً فُيبليها

فكيف تنُكر أن تُبلِى معاجـرُها　　والبدرُ فى كل وقت طالعٌ فِيها ؟

والجواب يقلب الدليل عليه بأن نقول : لو كان المعنى منقولا بتمامه ، لما وصف بصفة المستعار له ، لكنه وصف ، فلا يكون المعنى بكماله منقولا ، ويدور حول ما قررناه من كلام السكاكى ، وهذه حكايته (١٩) : مبنى دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق التأويل :

متعارف : وهو الذى له غاية الجرأة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة.

/٥٦ أ　وغير متعارف ، وهو الذى له تلك الجرأة ، وتلك / القوة ، لا مع تلك الصورة ، بل مع أخرى على نحو ما ارتكب المتنبى هذا الادعاء فى عدِّ نفسه وجماعةٍ من جنس الجن ، وعدِّ جِماله من جنس الطير حين قال (٢٠) :

نحنُ قومٌ مِ الجنّ فى زِىّ ناسٍ　　فوق طَير لها شخوصُ الجمالِ

مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية .

---

(١٧) بلى غلالته : قدم قميصه ، والبيت لابن طباطبا ابو الحسن محمد بن أحمد المتوفى سنة ٣٢٢ هـ . والبيت فى الأسرار ص ٣٤٨ . وديوان المعانى ٣٤٥/١ .

(١٨) المعاجر جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها . والبيتان لأبى المطاع ناصر الدولة الحمدانى . والبيتان فى الأسرار ص ٣٤٩ . واليتيمة ٧٤/١ ، والزهرة ٣٤٦/١ .

(١٩) المفتاح ص ١٩٨ .

(٢٠) م الجن : من الجن . والأصل : نحن قوم من الانس فى زى الجن ، فوق جمال لها شخوص الطير . يريد على سبيل المبالغة : نحن قوم من الانس فى زى الجن فوق جمال لها شخوص الطير .

ومن البناء على هذا التنويع [٢١] قولهم :

تحية بينهم ضَربٌ وجيعُ [٢٢]

وقولهم : عتابك السيف ، وقوله تعالى : ﴿ يَوم لا يَنْفعُ مالٌ ولا بَنُونَ إلاَّ مَنْ أتى اللّهَ بقلْبٍ سليم ﴾ [٢٣] ومنه قول الشاعر :

وبلـــدةٍ ليس بهـــا أنيـــسُ ... إلا اليعافيُر ، وإلا العِيسُ [٢٤]

وهم وتنبيه :

ذهب بعض أهل الصناعة [*] إلى جواز إطلاق اسم المستعار مع ذكر المستعار له نحو : زيد أسد . وقد عرفتَ فساده [*] .

ورام عبد القاهر [٢٥] التحقيق ، وقال ما معناه :

إن حسن دخول أدوات التشبيه على المشبه به ، بأن يكون معرفة ، لا يكون مستعاراً ، نحو : زيد الأسد ، وهو شمس النهار .

وإن حَسُنَ دخول بعضها دون بعض ، بأن يكون نكرة ، نحو : زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال : زيد كأسد ، وحسن : كأن زيداً أسد ، جاز أن يعد من المستعار .

---

(٢١) فى الأصل : ومن البناء على هذا النوع . والمراد التنويع ، وهو نوع من أنواع البلاغة .

(٢٢) وهو عجز بيت لعمرو بن معديكرب . وصدره : « وخيل قد دلفت لها بخيل » وقد ذكره سيبويه في الكتاب ٣٦٥/١ . والخزانة ٥٣/٤ ، وديوانه ١٣٠

(٢٣) سورة الشعراء آية ٨٨ ، ٨٩ .

(٢٤) ذكره سيبويه وقال جعل اليعافير والعيس هو الأنيس ، الكتاب ٢٦٤/١ . اليعافير : جمع يعفور وهو الغزال ، والعيس : الابل . والبيت للشاعر الجاهلى جران العود النميرى عامر بن الحارث . ديوانه .

(*) (النكت) من كتاب ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٧٩ ط دار المعارف .

(*) انظر كتاب الوساطة للقاضى الجرجانى ص ٤١ ط ٣ عيسى الحلبى .

(٢٥) الأسرار ص ٣٧٣ .

وإن لم يحسن دخول شئ منها : بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كان عدُّه من المستعار أحسن ، كقولك : فلان بدر يسكن الأرض ، وشمس لا تغيب ، وقول الشاعر [٢٦] :

شمسٌ تألّقُ والفِـــراقُ غروبُها عنّا ، وبدرٌ والصدودُ كسوفُهُ

فإنه لا يحسن دخول شئ من الأدوات فيها إلا بتغيير صورته ، كقولك : كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا يغيب .

والجواب : المنع فى قوله : « إذا ذكر المشبه به نكرة غير موصوفة مع المشبه، جاز عدُّه من المستعار » فإنه مجرد دعوى . ولا نسلم أنه إذا صدر مثله من البليغ لا يكون تشبيها ، وما الذى أوجب تعريف المشبه به فى هذه الصورة ؟ .

وكذا قوله : « إن كان نكرة موصوفة ، كان عده من المستعار أحسن » .

ممنوع ؛ إذ هو عين محل النزاع ، ولا نسلم جواز : فلان بدر يسكن الأرض ، / أو هو شمس لا تغيب ، أنه من كلام البلغاء ، وقول الشاعر : ٥٦/ ب

شمسٌ تألّقُ ....

ليس فيه ذكر المشبه ، فلا يصلح للاحتجاج .

إشارة : كما أنه يبالغ فى التشبيه فيقلب ، ويجعل كل واحد من الطرفين مكان الآخر ، كذلك يبالغ فى الاستعارة ، ويوصف المستعار له بصفة أبلغ من اسم المستعار ، كقول أبى الطيب [٢٧] :

أسدٌ ، دمُ الأسدِ الهِزْبرِ خضابهُ موتٌ ، فريصُ الموتِ منه يَرْعَدُ

---

(٢٦) تألق : تتألق : تلمع ، والصدود : الانصراف . والبيت للبحترى من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان مطلعها :

شرخ الشباب أخو الصبا وأليفه والشيب تزجيــه الهوى وخفوقه

(ديوانه ١٤٢٣/٣ والأسرار ص ٣٧٣)

(٢٧) المراد بالهزبر هنا : الضخم الشديد ، والخضاب : اللون ، والفريص : لحمة بين الجنب أو الثدى وبين الكتف ترتعد عند الخوف . والبيت من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمد الطائى مطلعها :

اليــوم عهــدكم فأين الموعد هيهات ليس ليوم عهدكم غد

(شرح ديوانه للشيخ ناصف اليازجى ٤٣/١ والأسرار ص ٣٧٤)

ويمتنع حمله على التشبيه ، وإلا لزم التناقض ، وهو كون المشبه أدْوَن من المشبه به بحكم التشبيه ، وأعلى منه بحكم الوصف الذى ليس للمشبه به . وليس من ذلك قول البحترى (٢٨) :

وبَدرٌ أضاءَ الأرض شرقاً ومغْربا ومَوضِـعُ رِجلى منه أسودُ مظلمُ

لأنه وإن شابه قول أبى الطيب فى استحالة حمله على التشبيه ، لكن ليس فيه المبالغة المذكورة ، لكون الوصف أدْون من الاسم ، وهو كون موضع رجله أسود مظلما ، وإنما أراد أنه حصل للممدوح صفة عجيبة غريبة ليس له فيها نظير ، وغرضه إثبات هذه الصفة له ، لا تشبيهه بالبدر ، ولا استعارة اسم البدر له ، أنه أمر مفروغ منه ، يسلم لكل أحد ، كما تقول : زيد كرجل شأنه كذا وكذا ، فإنك لم ترد تشبيه زيد بالرجل ، بل إثبات صفة له .

التجريد

قيل : وكذا يستعمل اسم المشبه به على وجه يستحيل جعله تشبيها واستعارة ، بأن يذكر المشبه ، ولا يجرى المشبه به عليه ، كقولك : رأيت بفلان أسداً ، ولقينى منه أسد ، يمتنع حمله على البابين ؛ لفقدان شرط التشبيه : وهو كون المشبه به يجرى على المشبه ، وشرط الاستعارة ، وهو عدم ذكر المشبه ، ويسمى ذلك تجريدا .

وفيه نظر ؛ لأنه إن صح أنه من كلام البلغاء ، أمكن تأويله بجعل الباء زائدة فى المثال الأول ، فتكون تشبيهاً ؛ لحصول الشرط وهو الإجراء .

وبتقدير المضاف فى المثال الثانى ، أى : من جانبه ، أو صورته ، فيكون مستعاراً ، لحصول الشرط أيضا .

وأما قوله تعالى فى وصف الكفار : ﴿ لَهُمْ فِيهاَ دَارُ الخُلْد ﴾ (٢٩) فليس بتشبيه ولا باستعارة ، بل حقيقة ؛ لأن النار لهم دار الخلد ، كما أن الجنة للمؤمنين كذلك .

---

(٢٨) البيت سبق ذكره ص ١٨٨ من هذا الكتاب . (٢٩) سورة فصلت آية ٢٨ .

واعلم أن الاستعارة تنقسم باعتبارات خمس :

باعتبار الطرفين .

وباعتبار / الجامع .

وباعتبار الثلاثة .

وباعتبار اللفظ .

وباعتبار الخارج عن أركانه .

إشارة : إلى قسمة الاستعارة باعتبار الطرفين :

طرفاها : إما أن يمكن اجتماعهما ، أوْ لا .

والأول : وفاقية ، والثانى : عنادية .

مثالهما ، قوله تعالى : ﴿ أوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فأحْيَيْنَاهُ ﴾ (٣٠) أراد : من كان ضالا فهديناه ، استعار الموت للضلال لجامع الجهل ، ولا يجتمعان ؛ لأن الضلال هو سلب الهداية عمن شأنه الهداية ، والميت ليس كذلك .

واستعار الإحياء للهداية لجامع العلم ، وممكن اجتماعهما .

ومن العنادية : استعارة الموجود للمعدوم ؛ لجامع بقاء الآثار الحسنة للمعدوم ، وبالعكس ؛ لجامع انتفاء فائدة الوجود ، وكل من كانت آثاره الحسنة أكثر أو أشرف من الأموات ، كان استعارة الموجود له أحسن ، وكل من كانت فائدة الوجود منه أقل من الإدراكات ، كان استعارة المعدوم له أحسن .

وقد يستعار أحد المتعاندين للآخر ، للتهكم أو التلميح ، كقوله تعالى : ﴿ فبشّرْهُمْ بعذابٍ أليم ﴾ (٣١) وتسمى استعارة تهكمية أو تلميحية ، ويمكن أن يكون الجامع بين التبشير والإنذار انتقال النفس عنهما عند ورودهما عليها .

---

(٣٠) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

(٣١) سورة آل عمران آية ٢١ ، والتوبة آية ٣٤ ، والانشقاق آية ٢٤ .

إشارة : إلى قسمتها باعتبار الجامع :

الجامع إما أن يكون خارجاً عن الطرفين أو خارجا عن أحدهما دون الآخر ، لاستحالة أن يكون داخلا فيهما كما تقدم فى التشبيه (٣٢) .

الأول : كاستعارة الحى للعالم ؛ لجامع عروض الكمال للنفس بواسطتهما ، واستعارة الميت للجاهل ؛ لجامع عروض النقصان لهما .

والثانى على قسمين :

الأول : أن يكون داخلاً فى المستعار منه ، خارجا عن المستعار له ، كاستعارة الأسد للشجاع ؛ لجامع الشجاعة ، وهى ذاتية للأسد دون الشجاع ؛ لكونها فضلاً مميزاً له عن باقى الحيوانات ، وهى عارضة للرجل الشجاع .

والثانى : أن يكون بعكس ذلك ، وإنما يتصور ذلك إذا خفى الذاتى ، وظهر العرَضى عند الحس ، فيجعل الظاهر أصلا ، وإن كان [فى الحقيقة فرعا] (٣٣) .

وينقسم أيضاً الجامع إلى المبتذل والغريب .

والأول : كاستعارة الشمس لزيد ؛ لجامع الشهرة ، والأسد له ؛ لجامع الشجاعة ، والبحر له ؛ لجامع كثرة العلم أو العطاء.

والثانى : كاستعارة الاقتيات للإذهاب ؛ لجامع الإعدام فى قول طفيل الغنوى:

وجعلتُ كُورى فوق ناجيةٍ ... يقتاتُ شحمَ سَنامِها الرحْلُ (٣٤)

وكاستعارة الاحتباء للهيئة الحاصلة من قربوس السرج ، والعنان لجامع السكون والتأدب / فى قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له ٥٧/ ب بالتأدب :

---

(٣٢) انظر ص ١٨٤ من هذا الكتاب .

(٣٣) فى الأصل عبارة مطموسة ؛ فوضعنا بين قوسين ما يتفق والمعنى .

(٣٤) الكور : الرَّحل ، ناجية : الناقة السريعة التى تنجو براكبها ، والاقتيات : الأكل . ديوانه ١٠٨ .

وإذا احْتَبى قَربوسه بعِنانه   عَلك الشكيمَ إلى انصراف الزائر [٣٥]

وكاستعارة السيلان للاجتماع لجامع السرعة فى قول ابن المعتز :

سألتْ عليه شعابُ الحىّ حين دعا   أنصارَه بوجوهٍ كالدنانير [٣٦]

وكقول الآخر : [٣٧]

وسالتْ بأعناقِ المَطِى الأباطحُ

وهم وتنبيه :

قال المعاصر [٣٨] : الجامع إما داخل فى الطرفين أو خارج عنهما .

والداخل ، كاستعارة الطيران للعدو ؛ لجامع قطع المسافة ، وهو داخل فى الطرفين . وكقول امرأة من بنى الحارث :

لو يشأ طار به ذو ميْعة   لاحقُ الآطال نَهْدٌ ذو خُصَلْ [٣٩]

وكاستعارة الفيض لانتشار الصبح ، وأصله للماء فى قوله [٤٠] :

كالفجر فاض على نجوم الغَيْهَبِ

---

(٣٥) احتبى : اشتمل . القربوس : السرج ، والعنان : سير اللجام ، علك الشكيم : مضغ الحديد المعترضة فى فمه . أردا أن فرسه يظل واقفا فى مكانه حتى يعود إليه صاحبه ، وقد أراد بالزائر نفسه ، والبيت لمحمد بن يزيد بن مسلمة .

(٣٦) البيت لعبد الله بن المعتز فى الإيضاح . والبيت ليس فى الديوان ، والشعاب : جمع شعب وهو الطريق فى الجبل وانظر دلائل الاعجاز ٥٩ ، ٧٨ بلا عزو .

(٣٧) الأباطح : جمع أبطح وهو سبيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى . وصدر البيت : أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ، والبيت ليزيد بن الطثرية . ديوانه ٦٤ ، وانظر الشعرا والشعراء ص ٨ والدلائل ٥٩. والتبيان ص ٤٥ .   (٣٨) الايضاح ص ١٦٤ .

(٣٩) ذو ميعة : نشاط و همة ، لاحق الآطال : ضامر الخصر ، النهد : الحسن القوى ، ونسبه العينى لعلقمة .

(٤٠) هو عجز بيتٍ صدرُه : يتراكمون على الأسنة فى الوغى . وفى الديوان كالصبح فاض . والبيت للبحترى من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق مطلعها :

رحلوا فأية عَبرة لم تسكبِ   أسفاً ، وأى عزيمة لم تغلب

(ديوانه ٨٢/١)

وكاستعارة التقطيع للتفريق فى قوله تعالى : ﴿ وقطّعناهم فى الأرض ﴾ (٤١) بجامع إزالة الاجتماع ، وهى داخلة فى الطرفين . وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع ، بجامع ضم الخرق ، وهو داخل فى الطرفين .

قلت : قد تقدم لنا كلام فى استحالة كون وجه الشبه فى التشبيه داخلا فى طرفى التشبيه ، وكذلك نقول باستحالة كون الجامع فى الاستعارة داخلا فى الطرفين ؛ لعين تلك العلة المذكورة هناك ، فإن الجامع هو وجه الشبه بعينه .

ولا نسلم أن الجامع مما ذكره من الأمثلة ، هو ما ذكره : فإن الجامع بين الطيران والعدْو فى المثال الأول ، وهو السرعة لا قطع المسافة ، والسرعة عارضة للطرفين .

والجامع بين فيض الماء وانتشار الصبح فى الثانى ، هو هيئة الحركة ، لا نفسها ، وهى خارجة عن الطرفين .

والجامع بين التقطيع والتفريق فى الثالث : هو كونهما مأبوسين من الاجتماع ، فإن التقطيع للثياب وغيرها من الأجسام ، وهو إزالة الاجتماع مع يأس الاجتماع ، فإذا كان التفريق بين قوم على هذا الوجه كان مشبها بالتقطيع فى الوجه المذكور ، والجامع هو وجه الشبه ، واليأس من الاجتماع ليس بداخل فى / الطرفين . /٥٨ أ

والجامع بين الخياطة والسرد ، هو الهيئة الحاصلة لكل منهما ، لا ضم الخرق ، والهيئة خارجة منهما .

إشارة : إلى قسمتها باعتبار أركانها كلها :

الاستعارة بهذا الاعتبار ستة أقسام :

(أ) استعارة محسوس لمحسوس بجامع حسى .

(ب) استعارة محسوس لمحسوس بجامع عقلى .

(ج) استعارة محسوس لمثله بجامع حسى وعقلى معا .

(د) استعارة معقول لمعقول بجامع عقلى .

---

(٤١) سورة الأعراف آية ١٦٨ .

(هـ) استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلى .

(و) عكسه بجامع عقلى .

مثال الأول ، قوله تعالى : ﴿ فأخرجَ لهمْ عِجلاً جَسداً له خُوَارٌ ﴾ (٤٢) استعار اسم ولد البقرة لصورة أظهرها السامرى بجامع الهيئة المخصوصة ، والكل محسوس ، وإنما قال : جسداً ، ليخرج الصورة المنقوشة على الحائط المشابهة لولد البقرة فى الصورة فقط ، فإنها ليست بجسد .

وقوله تعالى : ﴿ وتركْنَا بعضَهُمْ يومئذٍ يَمُوجُ فى بعض ﴾ (٤٣) استعار موج الماء لحركة الإنس والجن ويأجوج وماجوج بجامع الهيئة المخصوصة ، والكل محسوس .

مثال الثانى : قوله تعالى : ﴿ وآيةٌ لهمُ الليلُ نَسْلَخُ منه النهارَ ﴾ (٤٤) استعار اسم كشط الجلد وإزالته عن الحيوان ؛ لإزالة الضوء عن مكان الليل ، وهما محسوسان ، بجامع تعاقب الانفصال على الاتصال ، وليس المراد إخراج النهار من الليل كما قيل ، وإلا لقال : (فإذا هُمْ مُبْصِرون) مكان « فإذا هم مظلمون » .

ومن ذلك استعارة الثقلين للكتاب والعترة فى قوله عليه السلام : « إنى تاركٌ فيكم الثُّقلين :« كتاب اللّه وعترتى ... » الحديث . سواء كان مستعارا من اسم الجن والإنس بجامع العموم ، هذا فى الدين ، وذاك فى الدنيا على ما قاله الامام فخر الدين ، أو يكون مستعارا من ثقلى المسافر ، وهما : متاعه وهمته على ما نشر الجوهرى للثقلين ، فإن الطرفين محسوسان والجامع عقلى على التقديرين .

وهم وتنبيه :

قيل ان إطلاق العقيم علي الريح فى قوله تعالى : ﴿ إذْ أرسلْنَا عليهم الريحَ العَقيمَ ﴾ (٤٥) من هذا النوع من الاستعارة ؛ لأنه أطلق اسم الحيوان الأنثى علي الريح بجامع عدم ترتب الفائدة عليهما .

---

(٤٢) سورة طه آية ٨٨ .
(٤٣) سورة الكهف آية ٩٩ .
(٤٤) سورة يس آية ٣٧ .
(٤٥) سورة الذاريات آية ٤١

وردّه المعاصر [٤٦] ؛ لكونه صفة لا اسما ، وزعم أنه مستعار مما هو فى المرأة من الصفة المانعة من الحبل ، لصفة الريح المانعة من المطر وإلقاح الشجر ؛ لجامع عقلى ، وهو الامتناع عن الفائدة .

وفيه نظر ؛ لجواز أن يكون العقم موضوعا للقدْر المشترك بين الصفتين ، وإطلاق القدر المشترك على جزئيتين [٤٧] حقيقةٌ لا مجازا ، فضلا عن كونه مستعارا ، وفائدة أصالة الحقيقة وعدم الدلالة على المجاز .

مثال الثالث : استعارة لفظ الشمس لزيد بجامع حسن الطلعة ونباهة الشأن .

/ ومثال الرابع : استعارة الرقاد للموت بجامع عدم ظهور الأفعال فى قوله ٥٨/ ب تعالى : ﴿ مَنْ بعثَنا من مَرْقدِنَا ؟ ﴾ [٤٨] ، والكل معقول .

مثال الخامس : استعارة اسم كسر الزجاج لتبليغ الرسالة بجامع البتّ فى الأمر فى قوله تعالى : ﴿ فاصْدَعْ بما تُؤمَر ﴾ [٤٩] يريد : اقطع أمرك فى التبليغ قطعاً لا يُرجى التئامه ، كما أن الزجاجة إذا كسرت أيس من التئامها ، والمستعار منه محسوس ، والمستعار له والجامع عقليان .

مثال السادس : استعارة صفة البطر وهو الطغيان لزيادة الماء ، لجامع التجاوز عن الحد والمستعار منه معقول ، والمستعار له محسوس والجامع عقلى [٥٠] .

* * *

---

(٤٦) الايضاح ١٦٨ .

(٤٧) فى الأصل : على جزئيتان . أى : الريح والمرأة

(٤٨) سورة يس آية ٥٢ .

(٤٩) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٥٠) كما فى قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملنا كم فى الجارية ﴾ سورة .... الآية ....

الاستعارة الأصلية والفرعية

إشارة : إلى تقسيمها باعتبار لفظها :

الاستعارة : إما أصلية وإما فرعية .

والأصلية : فى أسماء الأجناس مصدراً كان كاستعارة القتل للضرب الشديد ، أو غير مصدر كاستعارة الأسد للشجاع .

والفرعية : هى الاستعارات الواقعة فى الأفعال ، وفى المشتقات من الأسماء ، وفى الحروف ؛ وذلك أن الاستعارة فرع على التشبيه ، لكونها مبالغة له ، فلا تصح إلا حيث يصح ، ولا يصح التشبيه فى غير الأجناس أو الأعلام التى تجرى مجراها نحو : حاتم ومادر ، وأبى الحسن ، وذلك لأن التشبيه يستدعى حصولُه حصولَ وصفٍ للمشبه به ، هو الجامع بين الطرفين فى الاستعارة ، ولا توصف الأفعال ولا المشتق منها ، ولا الأسماء ، ولا الحروف ، نعم إذا صار الاسم المشتق كالاسم فى كون ذاته مقصودة دون المعنى القائم بها ، جاز أن يوصف حينئذ ، كقولهم : شجاع باسل ، وجواد فياض ، وعالم نحرير ، وإذا لم توصف هذه الألفاظ لم يشبه بها ، وإذا لم يشبه بها لم يستعر منها ، فإن وقعت الاستعارة فى الأفعال والمشتقات كانت معللة باستعارة مصادرها ، وإن وقعت فى الحروف كانت معللة باستعارة عواملها أو معمولاتها ، فاستعارة (على للباء) فى قول الشاعر :

مررتُ على وادى السباع ولا أرى ... كـــوادى السباع حيـــن يُظلِم واديا

معللة باستعارة مررت ، لأشرفت ، واستعارة مررت معللة باستعارة المرور للإشراف .

وكذا استعارة (يا فى النداء للهمزة) معللةٌ باستعارة المنادى البعيد للقريب النائم بجامع ضعف إدراك النداء .

/ والاستعارة الواقعة فى حروف الجر على ضربين : /٥٩ أ

أحدهما : أن يراعَى فيها الفعل المستعار منه كما روعى فى استعارة على للباء فى البيت المذكور [٥١] ، وكقوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذوعِ النَّخْلِ ﴾ [٥٢] لما استعار الصلب للتمكين ، راعى التمكين فى التعدية بفى دون على . أى : لأصلبنكم فى جذوع النخل وهى المرشحة .

وثانيهما : أن يراعَى الفعل المستعار ، كقولهم : (نطقتْ الحال بكذا) ، فإن نطقت مستعار لدلت [*] ، ولم يقل نطقت على كذا ، كما يقال ، دلت على كذا ، وهى المجردة ، ويأتيك شرح المرشحة والمجردة .

وأما قولهم : (فلان فى نعمَة ورفاهية) ، فليس التشبيه والاستعارة فى شئ كما توهمه المعاصر [٥٣] وانما هو من باب حذف المضاف ، أى : فى زمان نعمة ورفاهية .

الاستعارة

المطلقة ، والمجردة ، والمرشحة

إشارة : إلى قسمتها باعتبار الخارج عن أركانها :

وهى بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : مطلقة ومجردة ومرشحة .

والمطلقة : أن لا يذكر معها صفة ، بل تطلق .

والمجردة : أن يذكر مع المستعار له ما يلائمه ، سواء كان صفة له ، نحو : رأيت أسداً عند الأمير أو فى الحرب ، وبحراً يناظر ، وشمساً لا تغيب .

---

(٥١) يقصد قول الشاعر :

مررت على وادى السباع ولا أرى كوادى السباع حين يظلم واديا

(٥٢) سورة طه آية ٧١. استعار « فى » لعلى ، والذى قوّى استعارة « فى » لأصلبنكم وهى مستعار منه فالاستعارة مرشحة .

(*) استعار نطقت لدلت ، والذى أضعف استعارة الباء « نطقت » لأنها ملائمة لها ، فتقول نطقت بكذا ، ولا تقول نطقت على كذا .

(٥٣) الايضاح ص ١٦٩ .

أو غير صفة ، مثل قول كثير [٥٤] :

غَمْرُ الرداء ، إذا تبسّم ضاحكاً غَلِقَـــتْ لضَحْكتـــه رقابُ المالِ

وأصل الغمر : أن يكون للماء ، ثم استعير للعطاء بجامع كونهما ساترين ، هذا للعِرْض ، وذاك للبدن ، ففيه استعارتان .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ فأذاقهَا اللّه لبأسَ الجُوعِ والخَوفِ ﴾ [٥٥] أصله : أصابهم اللّه بالجوع والخوف ، فاستعار للجوع والخوف اللباس ، بجامع أنهما شملاهم كما يشملهم الثوب ، ثم استعار الإذاقة للإصابة بجامع الإدراك ، ولم يستعر لها الكسوة ، مع أن الترشيح أبلغ من التجريد ؛ لكون الإذاقة تستلزم الإدراك بحاستين : الذوق واللمس ، والكسوة تستلزم الإدراك باللمس فقط ، ثم لما استعار لهما اللباس ، صار اللباس أعم منهما ، فأضافه إليهما للتخصيص أى : لباساً من الخوف والجوع ، ولذلك لا يجوز ترك الإضافة ، فلا يعامل أذاق اللباسَ بالإطلاق .

سمعت مذاكرةً : أن بعض أهل الذمة سأل فاضلاً من المسلمين فى محفل عظيم ، هل يجوز ذقت اللباس ؟ ففطن الفاضل ، وقال : نعم يجوز ذقت لباس الخوف و الجوع وغيرها من البلايا / والشدائد ، شككْتَ فى أنه نبى ، أتشك فى أنه عربى ؟! .. ‎/٥٩ ب

وأما **المرشحة** : فهى التى تُقْرَن بما يلائم المستعار منه ، كقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشترَوا الضَّلالة بالهدى فَما رَبِحتْ تجارتُهمْ ﴾ [٥٦] لما استعار

---

(٥٤) غمر الرداء : كثير العطاء : غلقت رقاب المال : انتقلت إلى السائلين كما ينتقل الرهن إلى المرتهن إذا عجز الراهن عن سداد دينه فاستعار الغمر للعطاء ، وغلقت مناسب للعطاء ، والبيت لكثير عزة من قصيدة يمدح فيها عبد العزيز بن مروان مطلعها :

اربع فحى معارف الأطلال بالجزع من حرض فهن بوال

(ديوان كثير ص ٢٨٨ ط بيروت)

وقوله : « ففيه استعارتان ، أى استعارة مكنية فى الرداء ، واستعارة تخيبلية في غمر »

(٥٥) سورة النحل آية ١١٢ . (٥٦) سورة البقرة آية ١٦ .

الاشتراء للاختيار بجامع الإبدال رشحها بقوله : فما ربحت تجارتهم ، لملاءمة الربح فى التجارة الاشتراء المستعار منه ، وكقول بشار (٥٧) :

أتتْنى الشمسُ زائرةً ولـم تكُ تبرحُ الفَلَكا

وكقول أبى الطيب (٥٨) :

كبُــرْتُ حــول ديارهــم لمّا بدتْ منها الشموسُ وليس فيها المشرقُ

وكقول العباس بن الأحنف (٥٩) :

هى الشمسُ مسكنُها فى السماءِ فعَـــزِّ الفـــؤادَ عَـــزاءً جميلا

فلـــن تستطيــــع إليها الصعــودَ ولن تستطيـــع إليــك النـزولا

وكقول سعيد بن حُميد (٦٠) :

قلتُ : زورى ، فأرسلت : أنا آتيــك سُحْــــرَهْ

قلــت : فالليــل كان أخفـــى وأدنـــى مـسرّهْ

فأجـــابت بحُجّــةٍ زادت القلـب حسْرهْ :

أنـــا شمـسٌ ، وإنما تطلـعُ الشمس بكــرهْ

---

(٥٧) البيت من قصيدة ينسب فيها بسعدى مطلعها :

بعثت بذكـرها شعرى وقدمت الهوى شركا

(ديوانه ١٧١ ط بيروت ، والأسرار ٣٥٤)

(٥٨) من قصيدة يمدح فيها شجاع بن محمد بن أوس الأزدى ومطلعها :

أرق على أرق ومثلى يأرق وجـوى يزيد وعبرة تترقرق

(ديوانه ٣٣٧/٢ ، والأسرار ص ٣٤٦)

(٥٩) العزاء : الصبر ، والبيتان من مقطوعة مكونه من أربعة أبيات مطلعها :

لعمرى لقد جلبت نظرتى إليــك علىَّ بلاء طويل

(ديوانه ٢٢١ ، والأسرار ص ٣٤٩)

(٦٠) سحره : فى السحر آخر الليل . وسعيد بن حميد ، كاتب من كتاب العصر العباسى يجنح إلى الشعوبية . والأبيات فى الاسرار ص ٣٥٨ ؛ المفتاح ١٦٤

ومن الاستعارة ، استعارة العلو المكانى ، للعلو الرتبى ، بجامع تبديل الأخس بالأشرف ، ومن مرشحتها قول أبى تمام [٦١] :

ويصعدُ حتى يظنَّ الجهولُ بأن لـه حاجةً فى السماء

وقول ابن الرومى فى مدح آل نوبَخْت [٦٢] :

أعلاكم فى السماء مجدُكمُ فلستُم تجهلــون ما جُهــلا

شافهتهمُ البدرَ بالسؤال عن الأمــر إلى أن بلغتُم زُحَلا

وقد يُجمع بين التجريد والترشيح كقول زهير [٦٣] :

لدَى أسدٍ شاكى السلاحِ مقذّفٍ له لِبَــدٌ أظْفارُه لمْ تُقَلَّمِ

فإنه راعى المستعار له بقوله : شاكى السلاح ، والمستعار عنه بقوله : له لبد أظفاره لم تقلم .

ومبنى الترشيح على تناسى الاستعارة ، ولذلك هو أبلغ من مطلقتها ومجردتها ، فصفة الشئ إذا بولغ فى الاستعارة رشحت .

إشارة : قد ثبت فى صدر هذا الكتاب [٦٤] أن دلالة المركبات لغوية ، لا عقلية ، كما ظن ، وحينئذ نقول : لا مجاز عقليا عندنا ، بل كل المجازات لغوية ، وإن كان للعقل فى دلالتها على معانيها المجازية شركة مع الوضع .

وهو إما إفرادى أو تركيبى ، والإفرادى قد تقدم ، والتركيبى على نوعين :

٦٠/أ الأول : /إسناد صفة الشئ إلي غيره ، وهو الذى سمُّوه العقلى ، وقد تقدم، وقدمنا العذر فى تقديمه [٦٥] .

والثانى : التمثيل .

---

(٦١) ديوانه ٤/٣٤ ، والبيت فى الاسرار ص ٣٤٤ .

(٦٢) أسرة كانت معاصرة للشاعر واشتهرت بعلوم الفلك . والبيتان فى الأسرار ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، أنوار الربيع ٧٧

(٦٣) سبق الاستشهاد بالبيت فى أكثر من موضع من الكتاب .

(٦٤) انظر ص ١٩ من هذا الكتاب .

(٦٥) انظر ص ٢٤ من هذا الكتاب .

وهو نقل الكلام بأسْرِه إلى معنى آخر شبيه بمعناه الوضعى فإن سار عن ناقله واشتهر ، فهو المثل السائر .

مثال التمثيل ، قوله ﷺ : « ضَرب الله مثَلا صراطاً مستقيما ، وعلى جَنْبتَى الصراط سُور فيه أبوابٌ مفتّحة ، وعلى تلك الأبواب سُتُور مُرْخاةٌ ، وعلى رأسِ الطريقِ داعٍ يقول : ادخلُوا الصِراطَ ولا تَعْوجُوا » (٦٦) .

قال أبو عُبيد بن سلام (٦٧) : الصراط هو : الاسلام ، والستور : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعى : القرآن .

وفيه نظر ، والصحيح أن الصراط هو : الطريق إلى الله تعالى ، واستقامته هو : ترك الميل الى محارمه ، المعبَّرُ عنها باليمين والشمال فى قوله الآخر : (الجادة : الوسطى واليمين ، والشمال : مضلة) والسور هى : المحارم ، والأبواب هى : الشهوات ، والستور هى : الحدود ، والداعى هو : رسول الله عن الله ، والدعاء هو : القرآن المشتمل على الأمر بسلوك هذا الطريق وكيفية السلوك والحدود والنهى عن المحارم وأشياء أخر من الترغيب والترهيب والأمثال نافعة فى الإيمان وترك المحارم .

ومن الأمثال السائرة قولهم : (فلان يقدِّم رِجْلا ويؤخّر أخرى) (٦٨) يورَد لكل متردد فى قول أو فعل ، يفعل أوْ لا يفعل ، أصله لمن يتحير فى حركته وإقامته ، أيهما يفعل ؟ فيخطو خطوة بإحدى رجليه ، ثم يفتكر فى أخرى . والجامع عدمُ العلم بأن مصلحته فى أى الطرق .

---

(٦٦) الحديث فى مسند أحمد ١٨٢/٤ مروى بلفظ آخر « .... ادخلوا الصراط ولا تتفرجوا »

(٦٧) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعى قال عنه الجاحظ : كان مؤدبا لم يكتب الناس أصح من كتبه ، عاش ثلاثاً وسبعين سنة وتوفي بمكة سنة ٢٢٤ هـ . انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ٢١٧ - ٢١٩ ط الخانجى .

(٦٨) البيان والتبيين ٢٠٠/١ ، نقد الشعر ٨٩ ، وانظر دلائل الاعجاز ص ٥٤ ، والتبيان فى علم البيان ص ٤٤ .

ومنها قولهم : (ما زال زيد يفَتِّل من فلان ذِرْوته وغاربه حتى بلغَ منه ما أراد) (٧٠) أصله للبعير الصعب ، يورد فى كل تدبير لطيف ، لتحصيل المراد من الممتنع منه .

ومنها قولهم : (أراك تَنْفُخُ فى غير فَحم ، وتَخُطُّ على الماء) (٧١) يورَد لكل من فعل فعلاً غير منتج لمراده .

والأمثال كثيرة من أرادها طالع كتبها المختصة بها .

وهم وتنبيه :

ذكر المعاصر (٧٢) فى التمثيل أشياء ليست منه حتى ذكر قوله تعالى : ﴿ ولمَّا سكَتَ عن موسى الغَضَبُ ﴾ (٧٣) والحق أنه ليس من التمثيل فى شئ ، وإن كان من المجاز التركيبى (*) ؛ وذلك أن السكوت هو : عدم التكلم عما من شأنه أن يتكلم ، والغضبان حيث يتكلم بكلام غير مألوف منه بسبب هيجان القوة الغضبية ، وغلبتها القوة العاقلة والشهوية ؛ جاز إسناد الكلام إلي الغضب من إسناد الشئ إلى سببه ، كما يقال : هاج شيطان / فلان وتكلم كيت وكيت ، ويراد به غضبه ، وإذا سكنت سورة الغضب ، جاز إسناد السكوت إليه ؛ لأنه هو المقابل للتكلم دون السكوت ، واختير تكلم الغضبان على حركاته غير المعهودة ؛ لأن كلامه قد يخلو عن حركاته بخلاف العكس ، واختير إسناده إلى الغضب لا إلى صاحبه ؛ لصيرورة صاحبه عنده كآلة الفعل مسلوب الاختيار ، ولذلك اختير : « سكت عن موسى الغضب » على « سكن » . (٦٠/ ب)

وذكر أيضا (٧٤) قوله تعالى : ﴿ إنَّ فيِ ذلك لَذكْرَى لِمنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (٧٥) من باب التمثيل .

---

(٧٠) الغارب : ما بين السنام والعنق . انظر دلائل الإعجاز ص ٥٥ والتبيان ص ٤٤ ، وجمهرة الأمثال للعسكرى ٩٨/٢ .

(٧١) انظر الدلائل ص ٥٥ والتبيان ص ٤٤ ، نهاية الأرب ٦٠/٧

(٧٢) الإيضاح ص ١٧٣

(*) الآية مجاز عقلى علاقته السببية ، لأن الغضب جعل الغاضب مسلوب الاختيار لشدة سيطرة الغضب عليه ، فإذا هدأ الانفعال سكت عنه الغضب .

(٧٣) سورة الأعراف آية ١٥٤ .

(٧٤) الإيضاح ص ١٧٤ .

(٧٥) سورة ق آية ٣٨ ، جعلهم القرآن بلا قلب حيث إنهم لا يحسون ولا يشعرون ، فكأنهم أموات ، واستعار ذلك للكافرين حيث إنهم لا ينتفعون بالقرآن .

وليس كذلك ، وإنما هو من قسم الاستعارة العنادية ، كاستعارة الميت للحى بجامع فوات فائدة الحياة ، فإن فائدة القلب الانتفاع به ، فإذا كان الرجل بحيث لا ينتفع بقلبه ، فهو كالذى لا قلب له ، والله أعلم .

وهم وتنبيه :

ذهب كثير من علماء البلاغة إلى أن الاستعارة إما تحقيقية وإما تخييلية ، والتحقيقية تقدمت .

والتخييلية ، هى أن يخيل أمر من غير أن يكون له وجود ، ثم يستعار له أمر وجودى ، كاستعارة اليد للشمال ، والزمام للغداة ، أو القرّة فى قول لبيد (٧٥) :

وغَـداةِ ريـحٍ قد كشفتُ وقَرَّةٍ ... إذْ أصبحتْ بيد الشمال زِمامهُا

فإنه ليس للشمال شئ يستعار له اسم اليد ويجرى عليه إجراء الأسد على زيد مثلاً ، اللهم إلا فى الخيال ، وكذا الزمام للغداة أو للقرة .

وكاستعارة الأظفار لأمر مخيّل للمنية فى قول أبى ذؤيب (٧٦) :

وإذا المنيـةُ أنشـبتْ أظفارَها ... ألفَيْـتَ كـلَّ تميمـةٍ لا تَنْفَعُ

وكاستعارة اللسان لأمرٍ مخيل للحال فى قول الآخر (٧٧) :

ولئن نطقتُ بشكرِ بِرِّك مُفْصِحا ... فلسانُ حالـى بالشكـاية أنْطَقُ

ولى فى هذا الكلام نظر ؛ لأن الأصل أن تكون الاستعارة تحقيقية ، فلا يعدل

---

(٧٥) كشفت : هزمت . والقرة : شدة البرد ، الشمال : ريح تهب من جهة الشمال ، زمامها قيادها . والبيت من قصيدة مطلعها :

عفت الديار مَحلها فمقامها ... بمنـى تأبـد غولها فرجامها

وفى الديوان : « وغداة ريح قد وزعت » ديوانه ص ٣١٥ ط . الكويت .

(٧٦) تميمة : خرزة يحملها المرء لتمنع عنه الحسد ، وأبو ذؤيب الهذلى هو خويلد بن خالد بن محرث بن زيد بن مخزوم من الشعراء المخضرمين . والبيت من قصيدة مطلعها :

أمـن المنـون وريبها تتوجع ؟ ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

(الديوان ص ٣)

(٧٧) البيت لمحمد بن عبد الله العتبى ، وقيل إنه لأبى النضر بن عبد الجبار ، فى الإعجاز والإيجاز ٢٠٤ ، واليتيمة ٤/٤٠٤

عنها إلا للتعذر ، ولم يتعذر ؛ لاحتمال أن تكون اليد مستعارة فى قول لبيد عن طبيعة الشمال الفاعلة للبرد ، فإن نسبتها إليها كنسبة اليد إلى الأنسان ، والزمام مستعار فيه عن القوة القابلة لبرد الغداة (٧٨) أى : الهواء الحاصل فى الغداة ، بسبب بُعد الشمس عن هوائها ، فتكون تحقيقية .

وأن يكون المراد بالمنية فى قول أبى ذؤيب : ملك الموت ، وأطلق المسبب على السبب ، وأنث الضمير ؛ نظراً إلى اللفظ ، وأظفارها تكون / مستعارة لقدرة ملك الموت ، كما تستعار لها اليد ، فلا تكون تخييلية . ٦١/أ

وأن يكون اللسان فى قول الآخر مستعاراً لنفس الحال ، لا لأمر مخيل منسوب إليه ، فإن لكل أحد لسانين : مقاله وحاله ، فأضافه إلى الحال للتخصيص، فتكون الاستعارة تحقيقية .

وهكذا نقول فى كل ما جاء من هذا النوع ، ولنذكر الآن باقى أقسام المجاز .

* * *

(٧٨) فى الأصل : القابلة للبرد للغداة ، ومعنى ذلك أن المؤلف يلغى الاستعارة التخييلية أى : أن الغداة تكبح الرياح كما يكبح الزمام الفرس .

المجاز المرسل

إشارة : إلى نسبة السببية :

يطلق اسم السبب على المسبب وبالعكس .

أما الأول : فكقوله تعالى : ﴿ وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها ﴾ (٧٩) سمَّى جزاء السيئة سيئة ، بتسمية الشئ باسم سببه ، فإن السيئة سبب لجزائه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَن اعتْدى عليكم فاعتْدُوا ﴾ (٨٠) سمى جزاء الاعتداء اعتداء ، لعين ما قلناه ، وكقول النبى ﷺ : (اللهم أحْيِنى مِسْكيناً وأمتْنى مِسْكيناً واحْشُرنى فى زُمرة المساكين) أراد بالمسكنة : التواضع ، فأطلق عليه اسم سببه، فإن المسكنة سبب التواضع ، وكقوله عليه السلام ، (بُلُّوا أرحامَكُمْ ولو بالسُّؤال) (٨١) أراد : صِلوها ، فأطلق عليه اسم سببه ، وهو البلّ فى بعض الأجسام ، إذا أريد وصل بعضها ببعض ، ولذلك يطلق اسم اليبس على القطيعة ؛ لأنه سببها فى بعض الأجسام ، قال الشاعر :

فلا تُوبِسُوا بينى وبينكم الثرَى ... فإنَّ الذى بينى وبينكم مُثرى

وأما الثانى : فكقول المغيرة بن شعبة (٨٢) لعمه حين كان يكلم النبى وقبض لحيته : أمسك يدك عن لحية رسول الله قبل ألاّ تصل إليك ، أراد قبل أن تُقطع ، فأطلق اسم المسبب على سببه ، فإن القطع سببٌ لعدم الوصول .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا تَمْنُنْ تَستَكْثر ﴾ (٨٣) أراد : لا تعط لتستكثر من العطاء ، فأطلق اسم المسبب على سببه ، فإن العطاء سبب للمنّ ، ويجوز أن

---

(٧٩) سورة الشورى آية ٤٠ . (٨٠) سورة البقرة آية ١٩٤ .

(٨١) الحديث مذكور فى المجازات النبوية للشريف الرضى ص ٨٠ وفى رواية « انضحوا أرحامكم »

(٨٢) المغيرة بن شعبه يكنى أبا عبد الله ، شهد بيعة الرضوان وشهد اليمامة وفتوح الشام واليرموك والقادسية وولاه عمر البصرة ومات بالكوفة سنة خمسين هجرية ، وعمه هو : عروة بن مسعود الثقفى ، أسلم على عهد الرسول ﷺ . المعارف ص ١٢٨ ط ١٩٣٤ م .

(٨٣) سورة المدثر آية ٦

يكون المراد بـ « لا تمنن » : معناه الأصلي ، أي : لا تمنن على من أعطيته فتستكثر من محبته لك وثنائه عليك ، أو تستكثر من ثواب الله فلا يكون من هذا الباب .

إشارة : إلى نسبة الكلية والجزئية .

يطلق اسم الكل على الجزء وبالعكس :

أما الأول : فكقولة تعالى : ﴿ يَجْعَلُون أصابعَهُمْ فى آذانِهِمْ ﴾ (٨٤) أراد أناملهم . وقال : ﴿ فاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ وأيْدِيَكم ﴾ (٨٥) أراد : جزء اليد . وقال: ﴿ ومنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فإنه مِنّى ﴾ (٨٦) أراد : ومن لم يذقه ، / والذوق جزء الطعم ، قال الشاعر (*) : ٦١/ ب

دَع المكــــارمَ لا تـــرحَــلْ لِبُغْيَتِها فاذهب فإنّك أنت الطاعمُ الكاسى

أراد : الذائق

وأما الثانى : فكقوله تعالى : ﴿ كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجْهَه ﴾ (٨٧) أراد ذاته ، وقوله عليه السلام : (إنَّ هذا الدينَ متينٌ فأوغِلُوا فيه برفق ؛ فإنَّ المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) (٨٨) أراد بالظهر : المركوب ، وظهره جزؤه ، وقوله عليه السلام : (لا سَبْقَ إلا فى نَصْلٍ أو خُفٍّ أو حافرٍ)(٨٩) أراد بالنصل : النُشّاب ، وبالخف : الإبل ، وبالحافر : الفرس .

---

(٨٣) سورة المدثر آية ٦ . (٨٤) سورة البقرة آية ١٧ .

(٨٥) سورة المائدة آية ٦ . (٨٦) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

(*) البيت للحطيئة من قصيدة يمدح بغيضا ويهجو الزبرقان وقد شكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومطلعها :

والله ما معشر لاموا امرءاً جنبا مــن آل لأى بن شماس بأكياس

(والديوان ص ٢٨٤ ط ١ والشعر والشعراء ١/ ٢٤٥ ط بيروت)

(٨٧) سورة القصص آية ٨٨ .

(٨٨) الحديث كما ورد فى المجازات النبوية « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فان المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » والمنبت : الذى يسرع فى سيره ، ويُكدّ دابته ، وينقطع عن رفقته .

(٨٩) الحديث رواه أبو هريرة وهو مذكور فى سنن أبى داود ٣/ ٤٠ ط السعادة والنشاب : النبل.

إشارة : إلى نسبة اللزوم :

يطلق اسم الملزوم على اللازم وبالعكس :

أما الأول : فكقول عائشة لمّا أراد عمر أن يكفن أباها فيما أوصى به من ثوبين كانا عليه مع ثوب آخر جديد ، وأرادت هى غير ذلك : (واللّه ما وضعتَ الخُطمَ على أنفنا) (*) أرادت : أننا غير محكومين ، فإن وضع الخطم على الأنف ملزوم للحكمْ .

وقول النبى ﷺ للعباس بن مرادس (٩٠) لما قال له : أتجعل نهبى ونهب العبيد بين عينيه والأقراع ؟ : « اقطعوا عنّى لسانه » وأمر له بمائة ناقة . (**) أراد : أسكتوه عنى ، فإن قوله : قطع اللسان ، ملزوم للسان ، ملزوم للسكوت .

وقوله عليه السلام : « مَن استغنْى لهواً أو تجارةً ، استغنْى اللّه عنه » أراد بالاستغناء : الطرح ، فإن الاستغناء عن الشئ ملزوم لطرحه .

وأما الثانى : فكما ورد أنه عليه السلام كان : « إذا دخلَ العشْر الأواخرُ أيقظَ أهله وشدَّ المئزر » (٩١) أرادت : الاعتزال عن النساء ، فإن الاعتزال ملزوم لشد المئزر ، قال الشاعر (*) :

قـومٌ إذا حاربوا شدّوا مآزرهم　　　دون النساء ولو باتت بأطهار

وكقوله تعالى : ﴿ انطَلِقُوا إلى ظِلٍّ ذى ثلاث شُعَبٍ ﴾ (٩٢) أراد بالظل : الجسم ، فإنه من لوازمه ، ومنه أخذ ابن عباس : « الكافرُ يسجدُ لغير اللّه ، وظله / يسجد لِلّه » .　　　/٦٢ أ

(*) عبارة عائشة مذكورة فى اللسان مادة خطم ، والخطم وهو الحبل الذى يقاد به البعير كناية عن عدم رضاها بالتبعية .

(٩٠) العباس بن مرداس السلمى أسلم قبل فتح مكة وحضر مع الرسول يوم فتح مكة . وقد روى عن الرسول أحاديث . المعارف ١٤٦ .　　　(**) الحديث ورد فى البصائر ٢٨٣/٤ .

(٩١) عن عائشة رضى اللّه عنها « كان رسول اللّه إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشد المئزر » . صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ٧٠

(*) الأخطل ديوانه ١٧٢/١ ، شرح شواهد المغنى ٢٢١ والحماسة ١/ ٢٧٠

(٩٢) سورة المرسلات آية ٣٠ .

وكقول من قال : إن عمر جلد رجلين سبّحا بعد العصر ، أراد : صلّيا ، والتسبيح لازم للصلاة ، أخذه من قوله تعالى : ﴿ فلوْلا أنّه كان من المُسَبِّحِينَ ﴾[93] أى : من المصلين .

إشارة : إلى نسبة الإطلاق والتقييد :

يطلق اسم المطلق على المقيد ، وبالعكس :

أما الأول : فكما ورد عنه عليه السلام : (إذا دخل العَشْر الأواخِرُ أيقظ أهلَه) أراد : لأجل الصلاة ، والمفهوم من الإيقاظ مطلق .

ومنه قولهم : يا ابن الفاعلة ، أراد : يا ابن الزانية ، والفاعلة مطلقة ، والزانية مقيدة ، قال الشاعر :

كذب ابن الفاعلة يقول لجهله : مات الكـرامُ . وأنت حيٌّ تُرْزَق

ومن هذا إطلاق اسم الكتاب والبيت على كتاب اللّه وبيته .

وأما الثانى : فكقولهم : نصفُ السنة إقامة ، ونصفُها سَفَر ، أرادوا : بعض الأيام ، والنصف مقيد ، وكذا السنة .

وكقول شُريح [94] : « أصبحت ونصف الخلق علىّ غضبان » ، أراد بالنصف : البعض الذين حكم عليهم فى قضائه ،لا النصف بالحقيقة ؛ لأنه لم يحكم على بعض الناس ولا لهم ، ومنه قول الشاعر :

إذا مُـــتُّ كـــان الناس نصفين [95] شامتٌ لموتى ، ومثْنٍ بالذى كنت أنعل

إشارة : الى نسبة العموم والخصوص

يطلق اسم الخاص على العام وبالعكس :

أما الأول فكقوله تعالى : ﴿ إنّا رسولُ ربّ العالمين ﴾ [96] أراد : رسله .

وقال : ﴿ همُ العَدُوُّ فاحْذَرهُمْ ﴾ (*) أراد : الأعداء .

---

(93) سورة الصافات آية ١٤٣ . (94) قاض مشهور يتصف بالعدل والنزاهة .

(95) فى الأصل : « كان الناس نصفان » .

(96) سورة الشعراء آية ١٦ . (*) سورة سورة المنافقون : ٤ .

وقال : ﴿ تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكمْ ألاّ نَعْبدَ إلا اللّه ولا نشركَ به شيئاً ﴾ [٩٧] وهو أكثر من كلمة . ومن قولهم : كلمة الشهادة ، وكلمة (التوحيد) [٩٨] .

وأما الثانى ، فكقوله تعالى حكاية عن محمد : ﴿ وأنَا أولُ المُسْلمين ﴾ [٩٩] .

وحكاية عن موسى : ﴿ وأنَا أولُ المؤمنينَ ﴾ [١٠٠] وليس المراد كل المسلمين ولا كل المؤمنين ؛ لأن الأنبياء ومن تبعهم قبل موسى ومحمد عليهما السلام كانوا مسلمين ومؤمنين .

وكقوله تعالى : ﴿ والشعراء يتَّبعهُمُ الغَاوُون ﴾ [١٠١] ولم يُرِدْ كلهم .

إشارة : إلى نسبة الزيادة والنقصان :

يطلق الزائد على الناقص وبالعكس :

أما الأول : فكقوله تعالى : ﴿ ليسَ كَمِثْله شَئٌ ﴾ [١٠٢] أراد : ليس مثله ، ووجه مجازِيته ليس كما قال الإمام فخر الدين [١٠٣] إن أصل الكاف أن تكون لمعنى ، فإذا استعمل لا لمعنى ، كان مجازا ؛ لأن كلامه تعالى لا يُحمل / ٦٢/ ب إلا على الفائدة ، بل لأن مدلوله مثل المثل ، والمراد : نفىُ المثل ، فيكون مستعملاً فى غير ما وُضع له ، فيكون مجازاً ، وفائدة العدول ، هى فائدة المجازات الأخر ، وهو فى الحقيقة من باب إطلاق الملزوم على لازمه ؛ لأن مثل مثلِ الشئ مثلٌ لذلك الشئ ، فإذا انتفى الأول ، انتفى الثانى أيضاً ؛ لأن المغايرة بينهما تعارض الإضافة ، والذات واحدة .

ألا ترى أن جـ إذا كان مثلا لـ ب ، وب مثلا لـ أ

كان جـ مثلا لـ أ .

---

(٩٧) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٩٨) كلمة غير واضحة بالأصل ، فأثبتنا ما يتفق والسياق .

(٩٩) سورة الأنعام آية ١٦٣ .

(١٠٠) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(١٠١) سورة الشعراء آية ٢٢٤ .

(١٠٢) سورة الشورى آية ١١ .

(١٠٣) التفسير الكبير – الفخر الرازى : ١٥٣/٢٧ ط ١ .

فإذا أضفيت جـ إلى ب ، كان مثل مثل أ .

وإذا أضيف الى أ ، كان مثل أ

والذات لا تتغير بتغاير المضاف إليه ، فإذا انتفى ذات جـ ، انتفت الإضافتان معاً ، وكذا ب مثل الإضافة إلى ذات أ .

ومثل المثل بالإضافة إلى صفة أ ، هى المثلية .

وإذا انتفى ذاته ، انتفت الإضافتان معاً ، ولا يبقى غير ذات أ .

وأما الثانى : فهو نسبة الشئ إلى غير ما هو له بسبب تعلق الإضافة ، كقوله تعالى : ﴿ واسأل القريةَ ﴾ [١٠٤] والمراد : أهلها . و ﴿ نحنُ أنصارُ اللّه ﴾ [١٠٥] والمراد : أنصار دين اللّه . ﴿ وأشْربوا فى قلوبهم العجلَ ﴾ [١٠٦] والمراد : حب العجل . و﴿ ما وعدْتَنا على رُسُلك ﴾ [١٠٧] والمراد : على لسان رسلك . وقوله عليه السلام : « ما أنا من دَدٍ » والمراد : من أهل دد .

إشارة : إلى نسبة الحلول :

يطلق اسم المحل على الحال وبالعكس .

أما الأول : فكقوله عليه السلام : « لا يَفْضُض اللّه فاكَ » [*] أى : أسنانك . وقولهم : سقط السماء ، أى : المطر ، وجرى الوادى : أى السيل، وسال الميزاب : أى ماؤه ، ومنه تسمية العذرة بالغائط ؛ لأن الغائط محلها ، وهو الأرض المطمئنة .

وأما الثانى : فكقوله تعالى : ﴿ وأما الذين ابْيَضتْ وجوهُهم ففى رحمة اللّه هُمْ فيها خالدونَ ﴾ [١٠٨] أى : فى الجنة ؛ لأنها محل الرحمة ، ومنها تسمية الناقة باللبن ؛ لأنها محله ، قال الشاعر :

---

(١٠٤) سورة يوسف آية ٨٢ .

(١٠٥) سورة آل عمران آية ٥٢ والصف آية ١٤ .

(١٠٦) سورة البقرة آية ٩٣ .

(١٠٧) سورة آل عمران آية ١٩٤ .

(*) أنشد النابغة الجعدى للرسول عليه السلام شعراً فقال له « لا يفضض اللّه فاك » فبقى عمره لا تنقض له سن . الشعر والشعراء ٢٨٩ .

(١٠٩) سورة آل عمران آية ١٠٧ .

ولكـــن أبَـــــى قومٌ - أصيب أخوهم -

رضا العار ، واختاروا على اللبن الدما [١١٠]

ومنه قولهم : جف الماء ، وجف الدمع ، أى : منبع الماء وموضع الدمع .

إشارة : إلى نسبة الشئ إلى غير زمانه :

أما تسمية الشئ باسم ما مضى ، كتسمية المعْتَق بالعبد ، وتسمية من مضى عنه الضرب أنه ضارب .

وأما تسمية الشئ باسم ما يئول إليه ، كتسمية العصير خمرا ، قال تعالى : ﴿ إنى أرانى أعْصرُ خَمْرا ﴾ [١١١] وقوله ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفّارا ﴾ [١١٢] وقال : ﴿ إنَكَ مَيِّتٌ وإنّهم ميِّتون ﴾ [١١٣]

وأما تسمية الشئ / باسم ضده ، فكتسمية الأسود بالكافور ، والحى بالميت ، /٦٣ أ والميت بالحى ، والأعمى بالبصير ، و البصير بالأعمى .

وأما تسمية الفاعل بالمصدر والصادر منه ، فكتسمية زيد بالعدل والرضا ، إذا عرف بهما وكثر صدورهما عنه .

وتسمية المفعول به ، كتسمية الدينار ما يضرَب ، والملفوظ باللفظ.

وتسمية فاعل المصدر به ، أكثر من مفعوله به ؛ لكون نسبته إلى الفاعل أقوى .

* * *

(١١٠) اختاروا القصاص بدلاً من الدية .
(١١١) سورة يوسف آية ٣٦ .
(١١٢) سورة نوح ٢٧ .
(١١٣) سورة الزمر آية ٣٠ .

الركن الثالث
فى الكناية

إشارة : إلى تعريفها :

الكناية : لفظ أريد به ملزوم معناه الوضعى من حيث هو كذلك ، فإن لم يكن اللازم ملزوماً ، احتاج العقل فيها إلى تصرف ، بذلك التصرف يصير اللازم ملزوماً ، كقولنا : فلان كثير الرماد . والمراد : ملزوم كثرة الرماد ، وهو كونه مضيافاً ، وليس كونه كثير الرماد ملزوماً لكونه مضيافاً ، لجواز أن يكون ذا صنعة من الصناعات [1] النارية . فالعقل بواسطة حكمه بأن الحكم بكثرة الرماد ليس مما يمدَح به شخص أو يذم ، ينتقل إلى ملزوماتها ومعروضاتها ، فينفى واحداً منها بعد واحد حتى يطلّع على كونه مضيافاً فيسكن عنده ويقبله ؛ لكونه مما يمدح به .

وكذلك القول فى قولهم : « فلان نئوم الضحى » ، وأرادوا به أنه محتشم . وإنه « عريض القفا » ، وأرادوا به أنه ضعفان [2] .

فالفرق بين الكناية والمجاز ، فرقٌ ما بين العام والخاص ؛ لأن المجاز إذا فصل إلى أقسامه ، كانت الكناية من جملتها ، إلا أن اعتبار كون الشئ مجازاً غير اعتبارا كونه كناية ، فإن لفظاً إذا أطلق على ملزوم معناه ، مجاز باعتبار أنه مستعمل فى غير ما وُضع له ، وكناية باعتبار أن المراد ملزوم معناه .

وفرق آخر وهو : أن الكناية مجردة عن القرائن اللفظية ، والمجاز لا يجرد عن قرينة : لفظية كانت أو معنوية .

وهم وتنبيه :

فرّق السكاكى [3] بين المجاز والكناية ، بأن مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم ، ومبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم .

---

(١) فى الأصل : من الصناع النارية وهو غير مستقيم .

(٢) ضعفان : ضعيف الفهم أى أنه أبله .

(٣) المفتاح ص ٢١٣

ورد عليه المعاصر [٤] بأن اللازم ما لم يكن ملزوماً ، يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم ، فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم ، ولو قيل اللزوم من /الطرفين من خواص الكناية دون المجاز ، أو شرط لها دونه ، اندفع ٦٣/ ب الاعتراض ، وهذا بعد أن قال : الفرق بينهما : أن الملزوم فى الكناية مراد مع جواز إرادة لازمه ، بخلاف المجاز ؛ لأن القرينة لازمة للمجاز ، وهى صارفة عن إرادتهما معا ، ألا ترى أنك إذا قلت : فى الحمّام أسد ، يمتنع أن تريد معناه الحقيقى ، لقرينة قوله (فى الحمام) .

قلت : ليس القولان بشئ :

أما الأول ، فلأنه أراد أن مبنى المجاز الانتقال من الملزوم إلى اللازم بالنظر إلى القرينة فهو صحيح ، لكن الكناية أيضاً كذلك ؛ لأنه لا بد فيها أيضاً من قرينة وإن لم تكن لفظية . وإن أراد مع قطع النظر عن القرينة ، فالمجاز أعم من أن يكون الانتقال فيه من الملزوم إلى اللازم أو بالعكس أو غيرهما من أقسامه كما تقدم .

وأما الثانى ، فلأن قوله : اللزوم من الطرفين شرط فى الكناية ، إن أراد به اللازم ملزوما باعتبار القرينة كما قلناه فى المجاز ، فهو لم يُثبت للكناية قرينةً ، وإن أراد لا باعتبار القرينة ملزوم ، فهو باطل ؛ لأن الواقع خلافه كما تقدم .

وأما قوله : إن الملزوم مراد مع جواز إرادة لازمه فذلك لأن العقل ينتقل راجعاً من المراد بعد وصوله إليه إلى لازمه ؛ لأن إرادة الملزوم ، ملزوم لإرادة لازمه ، كذا أنواع المجاز ؛ لعدم كون المعنى المراد ملزوماً فى جميع أنواعه لينتقل العقل راجعاً إلى مدلول اللفظ ، كما مثّله مِن كون الأسد فى الحمام .

إشارة : المطلوب من الكناية :

إما إثبات ذات ، أو إثبات صفة معنوية ، كالكرم والشجاعة واللؤم .

فالأول كقول الشاعر [٥] :

الضاربين بكل أبيضَ مِخْذَمِ والطاعنيـن مَجامعَ الأضْغانِ

---

(٤) الإيضاح ص ١٨٢ .

(٥) مخذم : قاطع بتار ، مجامع الأضغان : القلوب ؛ لأنها موطن الأحقاد . والبيت لعمرو بن معديكرب ديوانه ١٦٢ .

كنى عن قلوب المطعونين بمجامع الأضغان . وكذا قول البحترى فى وصفه لقتل الذيب :

فأتبعتُها أخرى ، فأضللتُ نصلَها   بحيث يكون اللّبُّ والرعبُ والحقدُ (٦)

كل واحد من اللب والرعب والحقد كناية مستقلة عن القلب ، أى : قلب الفاعل لا المفعول ، لقرينة اللب ، والباء فى (بحيث) للاستعانة ، أى : باستعانة محل هذه الثلاثة ، فإن اجتماعها فيه لا يوجب شدة الضربة التى بها أضلَّ نصلها ، فليس كالبيت الأول كما دل عليه ظاهر كلام المعاصر (٧) .

قال المعاصر (٨) : يجوز أن تكون الكناية عن الذات : عدة معان ، كقولنا كناية عن الإنسان : حى مستوى القامة عريض الأظفار ، فإن كل واحد من هذه الثلاثة ليس بكناية ، بل مجموعها ، وهذا بناء منه على أن اللزوم بين الكناية والمكنى من الطرفين ، فإن كلَّ واحد منهما لا يستلزم الإنسان ، بل مجموعها ، وقد عرفت ما فيه .

إشارة : الكناية عن الصفة على ضربين : قريبة وبعيدة ، والقريبة : إما واضحة أو خفية :

والواضحة كقولهم : زيد طويل نجاده ، أو طويل النِجاد ، والفرق بين المثالين أن الأول لكون الصفة ذا ضمير للموصوف فيه بعض تصريح (*) بخلاف الثانى ، ومنه قول الحماسى :

أبَـــتِ الروادفُ والثُدِىُّ لِقُمْصِها   مسَّ البطون وأن تمسَّ ظهوراً (٩)

كنى عن كبر ثدييها وعجيزتها .

---

(٦) أضللت : أغمدت ، نصلها : سنان الرمح ، اللب : العقل . والبيت من قصيدة للبحترى يذكر فيها الذئب مطلعها :

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد   أما لكم من هجر أحبابكم بُدُّ

(ديوانه ٧٤٤/٢)

(٧) الإيضاح ص ١٨٢ .   (٨) الإيضاح ص ١٨٣ .

(*) فى المخطوط وضع الأول بدلاً من الثانى ، والثانى بدلاً من الأول .

(٩) الروادف : الأرداف ، الثدى : جمع ثدى ، والبيت فى الطراز ٤٢٤/١ ، وديوان الحماسة لأبى تمام ٣٣٨ ، والتبيان ٢٧١

والخفية كقولهم : فلان عريض القفا ، أرادوا أنه أبله أو ضعفان ، وذلك أن عند العرب كبر الرأس دليل على قلة العقل ، وصغره على نجابته ووفور عقله ، يدل عليه قول طرفة (١٠) :

أنا الرجلُ الضَّرْبُ الذى تعرفونه خَشاشٌ كــرأس الحيَّـةِ المتوقّدِ

وعند الحكماء الأمر بالعكس ؛ لأنهم أرادوا بالعقل غيرَ ما أرادته العرب .

والبعيدة : ما لا يصل العقل منها إلى المراد إلا بواسطة ، كقولهم : هو عريض الوسادة ، فإنه كناية عن عرض الرأس ، وعرض الرأس كناية عن البلاهة .

وأبعدُ منه ما لا يصل العقل منه إلى المراد إلا بانتقالات نحو : فلان كثير الرماد فإنه ينتقل أولاً من معناه إلى كثرة إشعال الحطب تحت القدر ، ومنها إلى كثرة الطبخ ، ومنها إلى كثرة الأكلة ، ومنها إلى كثرة الضيفان ، ومنها إلى كونه مضيافاً ، ومن ذلك قول الشاعر (١١) :

ومـا يَكُ فىّ من عَيْبٍ فإنى جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل

فإن العقل ينتقل من معنى جبان الكلب عن الهرير إلى كونه مؤدبا ، ومنه إلى وجود مانع من نباحه ، ومنه إلى كثرة الواردين عليه ، ومنه إلى أنه مشهور بالضيافة ، ومنه إلى أنه مضياف ، وكذا انتقل من معنى مهزول الفصيل إلى فقد أمه ، ومنه إلى قوة الداعى إلى نحره ، ومنه إلى صرف لحمها إلى الطباخ ، ومنه إلى كثرة الضيفان ، ومنها إلى أنه مضياف / ومن ذلك قول نصيب (١٢) : /٦٤ ب

---

(١٠) الضرب : الخفيف الحركة ، خشاش : الصغير الرأس الذكى ، المتوقد : الحاد السريع . والبيت من معلقته ص ٣٧ .

(١١) الفصيل : ولد الناقه حين يفصل عن أمه ، والبيت لابن هرمة المتوفى ١٤٥ هـ وقد ورد فى الحماسة ٤/١٦٥ والدلائل ٢٣٧ والمفتاح ١٩١ والايضاح ٣١ والتبيان ص ٣٨ والطراز ١/٤٢٢ ولم أعثر على البيت فى ديوان ابن هرمة ط دمشق .

(١٢) متن : نعم ، مأهولة وعامرة : ممتلئة . والبيت لنصيب الشاعر الأموى فى مدح عبد العزيز ابن مروان . والأبيات فى الدلائل ص ٢٣٨ والمفتاح ١٩١ والايضاح ص ٣٢٢ والتبيان ص ٣٩ .

لِعبد العزيز علــى قومه		وغيرِهــمُ مِنَــنٌ ظاهرهْ
فبابُــكَ أسهل أبوابهم		ودارُك مأهــولةٌ عامرهْ
وكلبُــكَ آنسُ بالزائرين		من الأم بالابنة الزائرهْ

وقول الآخر [١٣] :

يكاد إذا ما أبصَر الضيفَ مقبلاً		يكلِّمــــهُ مـــن حُبّه وهْو أعجمُ

وقول الآخر [١٤] :

لا أُمْتــعُ العــُوذَ بالفصال ولا		أبتـــاعُ إلاّ قـــريبةَ الأجـــلِ

وقول أبى الطيب يكني عن الكذب [١٥] :

تشتكى ما اشتكيتُ من ألم الشو		ق إليها والشـــوقُ حيثُ النحولُ

وقول الآخر [١٦] :

ضعيفُ العصا ، بادى العروق ، ترى له
عليها - إذا ما أجدب الناسُ - إصبعا

جعل « ضعيف العصا » كناية عن حسن الرعية ، وغاية الشفقة ، فإن من شأن السائس المشفق أن يختار لسياسته ما لان من العصى ، لا ما صلب ، وأراد

---

(١٣) البيت لابن هرمة وهو غير منسوب فى الحيوان ٣٧٧/١ والحماسة ٢٦٠/١ ومنسوب لابن هرمة فى البيان والتبيين ٢٠٥/٣ . والبيت فى ديوان ابن هرمه ص ١٩٨ . والدلائل ص ٢٣٩ ، والتبيان ص ٣٩ ، والطراز ٤٢٣/١ . وهو إبراهيم بن على بن هرمة وكنيته أبو إسحق .

(١٤) العوذ : النوق التى أنتجت حديثا ، الفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة . والبيت لابن هرمة من قصيدة هى أول ما قال من الشعر مطلعها :

يا دار سعـــدى بالجـــزع مـن ملل		حييت من دمنة ومن طلل (ديوانه ص ١٨٥)

(١٥) البيت للمتنبى من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة مطلعها :

ما لنا كلنا جوى يا رسول		أنا أهـوى وقلبك المتبول

(ديوانه ١٤٩/٣ ، والدلائل ٢٤١)

(١٦) أجدب الناس : أصيبوا بالقحط ، والبيت للراعى عبيد بن حصين من قصيدة مطلعها :

بنى وابش إنا هوينا جواركم		ومـــا جمعتنا نيـــة قبلهـــا معاً

(الشعر والشعراء ، ٢٤٦ ، والأغانى ١٦٨/٢)

بالإصبع الأثر الحاصل من حسن الرعية من التسمين والتوليد ، ويلزم من كون ضعيف العصا مدحاً ، أن يكون صلب العصا ذمّاً فى قول الآخر [١٧] :

صَلْبُ العصا ، بالضرب قد دمّاها

لأن الضدين لا يجتمعان فى شئ واحد من المدح أو الذم ، ويدلّ على كونه ذما قوله : (قد دمّاها) أى : أجرى الدم منها ، لكن جعله بعض البلغاء مدحاً كالأول ، وأنه كناية عن حسن الرعية والقدرة عليها ، وجعل قوله (قد دمّاها) من الدمى فى الحسن ، وفيه بُعد .

وهم وتنبيه :

قال الزمخشرى [١٨] وبعض أهل العربية ، واختاره المعاصر [١٩] : على أن قوله تعالى : ﴿ ولما سُقِطَ فى أيدِيهمْ ﴾ [٢٠] كناية عن شدة ندمهم على عبادة العجل ؛ لأن مَن شأن من اشتد ندمه أن يعضّ يده غما ، ويصير يده مسقوطاً فيها ؛ لأن فاه قد وقع فيها .

وفيه نظر ، والأولى أن يقول : إن الكناية فى أيديهم ، لا فى سقط ، وذلك أن جعل الأيدى كناية عن نفس الإنسان ظاهر غير منكر ، كما يقول العامل : قد جرى علىّ ما جرى من يديك ، يريد من نفسك ؛ لأن ما صدر منه يجوز ألا يكون من يده ، وأنّ يد الإنسان مظهر لأكثر أعماله ، فنسب أفعاله كلها إليها كناية عنه ، ومصادقته قوله تعالى : ﴿ ولا تُلقُوا بأيدِيكُمْ إلى التهْلُكَة ﴾ [٢١] على تقدير جعل الباء زائدة ، أراد : لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة ، ومعنى السقوط ، هو الانتقال من الأشرف إلى الأخسّ ، ضد الصعود مكانا - كان الطرفان - أو رتبة / ، والمراد به ها هنا السقوط الرتبى ، وإنما بناه للمفعول /٦٥ أ وعدّاه بفى ؛ لأنه ضمّنه معنى أوقع ، فإن الفعل اللازم إذا ضُمِّن معنى المتعدى عُدّى ، كقول الشاعر :

---

(١٧) صدر بيت وعجزه : « تود أن الله قد أفناها » والبيت من قصيدة لأبى العلاء بن سليمان يذكر فيها الإبل . اللسان ١٨ /٢٩٧

(١٨) الكشاف ١٢٦/٢ .

(١٩) الإيضاح ص ١٨٤ .

(٢٠) سورة الأعراف آية ١٤٩ .

(٢١) سورة البقرة آية ١٩٥ .

تمـــــرون الديار ولـــم تَعوجوا كلامكم عليّ - إذن - حرام

ضمَّن تمرون معني : تجوزون ، فعدّاه إلى الديار ، ومعنى الكلام : أوقع السقوط الرتبى فى نفوسهم ؛ أى عرفوا أنهم بعبادتهم العجل سقطوا عن رتبتهم . ونظير هذا التضمين قوله تعالى حكايةً : ﴿ وَفَرَّقْتَ بين بنِى إسرائيل ﴾ (٢٢) أى : أوقعت الفرقة بينهم .

وأما قراءة (سَقط) على بناء الفاعل ، على ما نقله الجوهرى عن الأخفش (٢٣) ، فساقط على ما قلناه ، وإضماره الندم على أن يكون فاعل مسقط ، أسقط منه ؛ لأن الندم لا يسقط ، بل يحصل ؛ لأنه لم ينتقل من محل أشرف إلى الأخسّ ، وتجويزه أسقط فى يديه ، ويستلزم ذلك جواز « أسقط فى أيديهما ، وأسقطوا فى أيديهم » من قياساته ، لأنه كان ميالا إلى القياس وليس بمسموع .

وهم وتنبيه :

قال علماء البلاغة : قد يكون المطلوب من الكناية إثبات نسبة ، كقولهم فى المدح : المجد بين ثوبيه ، والكرم فى بردَيْه ، وفى الذم : اللؤم فى جلده أو ثوبه ، ومنه قول زياد الأعجم (٢٤) :

إنّ السماحـــةَ والمـــروءة والندى فى قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابن الحشرج

أرادوا أن هذا النوع من الكناية لا يُطلَب به ثبوت صفة للممدوح ، بل ثبوت نسبة بينه وبين هذه الصفات ، وهى نسبة المعيَّة :

وفيه نظر ؛ لجواز أن يكون الباب واحداً ، إذ المطلوب منه أيضاً إثبات صفة للممدوح أو المذموم ؛ لأن اللفظ دال على المعية ، والمعية لازمة لاتّصاف المراد ،

---

(٢٢) سورة طه آية ٩٤ . (٢٣) عالمان لغويان سبقت ترجمتهما .

(٢٤) القبة : أكبر من الخيمة وهى خاصة بأعيان القوم ، ابن الحشرج : من ولاة الدولة الأموية ، وزياد الأعجم من الشعراء الأمويين اسمه زياد بن سليمان مولى عبد القيس ، ولقب بالأعجم لأنه كان ألكن . والبيت فى الأغانى ١٠/١٤٨ والشعر والشعراء ١/ ٤٣٠ والدلائل ص ٢٣٧ . والمفتاح ص ١٩٢ والإيضاح ص ٣٢٤ والتبيان ص ٣٨ . والطراز ١/٤٢٢ .

فكنى باللازم عن الملزوم ، وكأن الداعى لهم إلى ذلك اعتقادهم أن اللازم الذى يكنى به يجب أن يكون ملزوماً للزومه ، وليس المعية بملزومة للاتصاف ؛ لجواز أن يكون الممدوح غير الموصوف بالصفة ويشملهما جامع واحد من الثبوت أو المعيَّة ، فتصدق المعية دون الاتصاف ، فلا يكون اللازم ملزوماً حينئذ ، وإذا كان الأمر كذلك ، يجب أن تكون المعية هى المكنى عنها ، لا المكنى بها ليحصل اللزوم بين الطرفين .

والجواب : أنّا لا نسلم أن المعية هى المكنى عنها / وإن كانت مدلولاً ٦٥/ب عليها بالمجاز ؛ لأنها غير مقصودة ، إذ المقصود الاتّصاف ، فلا يصدق اسم الكناية على ما عرفتَ من حدِّها ، ولا نسلم أن من شرط الكناية اللزوم بين الطرفين كما تقدم .

إشارة : كما أن المعية فى المقام يكنى بها عن الاتصاف وإن كانت أعم ، كذلك المعية فى الحركة أو السكون يكنى بها عن الاتصاف ، أما الحركة فكقول أبى نواس (٢٥) :

فَمـــا جــازَه جُود ولا حَلّ دونه ... ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ

وأما السكون فكقول البحترى (٢٦) :

أوَ ما رأيتَ المجدَ ألقى رحْله ... فـــى آل طلحةَ ثُم لم يتَحولِ

كنى بالمعية بين الجود والممدوح فى حركاته عن اتصافه به ، وكما أن معية الممدوح وصفه بمدح فى محل واحد يكنى بها عن اتصافه بها ، كذلك عدم المعية

---

(٢٥) من قصيدة يمدح فيها الخصيب مطلعها :

أجـــارة بيتينـــا أبـــوكِ غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

(ديوانه ص ١٨٦ وانظر الدلائل ٢٣٩ والتبيان ٣٩ والطراز ٤٢٣/١)

(٢٦) البيت من قصيدة يمدح فيها محمد بن علي بن عيسى القمّي ويصف الفرس والسيف مطلعها :

أهـــلاً بذلكـــم الخيال المقبل ... فعل الذى نهواه أو لم يفعل

(ديوانه ١٧٤٩/٣ والدلائل ص ٢٤٠ والتبيان ص ٤٠ والطراز ٤٢٤/١)

فيه ، يكنى به عن عدم الاتصاف بها ، والبراءة منها كقول الشنفرى يصف امرأة بالعفة [٢٧] :

يَبيتُ بِمَنْجاةٍ من اللَّومِ بيتُها إذا ما بيــوتٌ بالملامةِ حلَّتِ

وإنما قال : يبيت دون يظل ؛ لأن الليل هو مظنة الفجور لا النهار ، على أنه روى أيضاً : يظل بمنجاة .

وهم وتنبيه :

ظن بعض من أثبت الكناية عن النسبة أن لها قسماً رابعاً ، وهو : أن تكون الكناية عن صفة ونسبة معا ، ومثَّل له بقولهم : كثر الرماد فى ساحة عمرو .

وردَّ عليه المعاصر [٢٨] بأنه ليس بكناية واحدة ، بل كنايتان : إحداهما عن المضيافية المطلقة ، والأخرى عن إثباتها لعمرو ، ثم قال : ومثل المثال المذكور بيتُ الشنفَرى .

وهذا الكلام فاسد : أما الظانّ ، فلأن كلامه سهو فى سهو ؛ لابتنائه على ثبوت الكناية عن النسبة . وأما المعاصر ؛ فلأن المثال ليس فيه غير كناية واحدة ؛ لأن المضيافية المطلقة غير مطلوبة ليكون الكلام بالنسبة إليها كناية مفردة ، إذ المطلوب مضيافية عمرو ، وذكر محل الرماد ؛ ليدل على الخصوصية المطلوبة ، فلا يكون كناية ، وإلا لكان زيد كثير الرماد ، كنايتين ، لكن ليس فليس . وقوله : « قول الشنفرى مثل المثال » ممنوع ؛ لأن الشنفرى كنى فيه بعدم المعية عن عدم الاتصاف ، بخلاف المثال .

إشارة : يجوز أن يكون كل واحد من الكناية والمكنى عنه عكسٌ نقيضٍ للآخر ، كما تقول فى عرض من يؤذى المسلمين : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » [٢٩] والمراد : ليس المؤذى لهم بمسلم .

---

(٢٧) المنجاة : الخلاص ، واللوم : العتاب . والبيت لعمر بن مالك المعروف بالشنفرى . والبيت ليس فى ديوان الشنفرى صنعة عبد العزيز الميمنى ط بيروت ضمن الطرائف الأدبية ، وهو مذكور فى الدلائل ص ٢٣٩ والمفضليات ١٠٩ .

(٢٨) الإيضاح ص ١٨٧ .

(٢٩) نص الحديث « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » . « أخرجه البخارى » ، فتح البارى ١٠١/١٤ .

ومنه قوله تعالى فى عرض المنافقين : ﴿ هُدًى للمتَّقين الذين يُؤمِنون بالغَيْبِ ﴾ (٣٠) أى : المنافق / ليس الكتاب له بهدى ، وهذا بناء علي أن المَراد بالغيب : الغيبة عن النبى وأصحابه ، فإن المنافق يؤمن بلسانه عندهم ، وإذا غاب عنهم يظهر كفره عند أصحابه ، ومن لوازم هذا النوع ألاّ يذكر الموصوف ، بل يستحيل ذكره ، لتقابل الصفتين . ٦٦/ أ

وهم وتنبيه :

قال السكاكى (٣١) : الكناية إن كان فيها عرض تسمى تعريضاً .

وإن كان بين الطرفين وسائط نحو : كثير الرماد ، يسمى تلويحاً ؛ لأن التلويح هو : أن تشير إلى غيرك عن بعد .

وإن لم يكن وسائط ، وكان فيها نوع خفاء تسمى رمزاً ؛ لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك .

وإن لم يكن يسمى إيماء ، كقول أبى تمام (٣٢) :

أَبَيْنَ ، فما يزرْنَ سوى كريمٍ   وحسْبُــك أن يزرن أبا سعيدِ

وقول الآخر (٣٣) :

متـــى تخلـــو تميمٌ من كريمٍ   ومَسلمةُ بن عمرو من تميمِ !

وقول الآخر (٣٤) :

إذا اللّه لم يُسق إلا الكرامَ   فسقّـــى وجـــوه بنى حنبل

وسقّـــــى ديارَهـــــمُ باكراً   من الغيث فى الزمن المُمْحِلِ

فإنه لا وسائط فيها ، ولا خفاء فى أن المراد كرم المذكورين فيها .

---

(٣٠) سورة البقرة آية ٢ ، ٣ . (٣١) المفتاح ص ٢١٧ .

(٣٢) أبين : رفضن ، حسبك : يكفى ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغرى الطائى . ديوان أبى تمام ص ٨٢ والدلائل ص ٢٤١ ، والطراز ٢/٤٢٤ . والتبيان ص ٤٠ .

(٣٣) يصف مسلمة بن عمرو بالكرم لأنه من تميم المشهورين بهذا الوصف ، والبيت فى الدلائل ص ٢٤١ والطراز ١/٤٢٤ والتبيان ص ٤٠ .

(٣٤) باكرا : مبكراً أول النهار ، الممحل : المجدب ، والبيتان لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

وفيه نظر ؛ لأن الكناية هي : ذكر اللازم وإرادة الملزوم ، واعترف السكاكي به ، وهذه الأبيات فيها ذكر الملزوم وإرادة اللازم الأعم ؛ لأن الحكم بأنهن لا يلدن غير الكريم ، ويستلزم كرم أبي سعيد ؛ لأنهن ولدنه ، وكون أبي سعيد كريماً ، لا يستلزم أنهن لا يلدن غير كريم .

وكذلك كون مسلمة بن تميم سبباً لعدم خلوِّ تميم من كريم يستلزم كونَ مسلمة كريماً دون العكس ؛ لجواز أن لا تخلو تميم من كريم ، ويكون الكريم غير أبي سعيد .

وكذلك جعلُ « سقى الله الكرام » سبباً لسقي وجوه بني حنبل ، يستلزم كرم وجوه بني حنبل دون العكس ؛ لجواز أن يكونوا كراماً ، وإن لم تكن تلك السببية، وحينئذ يجب أن تكون الأبيات من الرموز ، ولم تكن من الكناية ، أو تعمَّ الكناية بحيث تدخل فيها مثل هذه الأبيات .

إشارة : اتفق علماء البلاغة على أن الكناية أبلغ من التصريح ، كما أن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، والمجاز أبلغ من الحقيقة ، قال عبد القاهر (٣٥) : ليس ذلك لأن الكناية والاستعارة والمجاز تفيد زيادة معنى على ما يفيده التصريح والتشبيه والحقيقة ، بل لأن كل واحد يفيد تأكيد ما أفاده الآخر ؛ لأن الانتقال في الجميع من الملزوم إلى / اللازم ، فيكون إثبات المعنى بالدعوى وبينتها ، فيكون أبلغ من إثباته بالدعوى المجردة عن البينة . هذا حاصل كلامه ، وأراد بالبينة أنك إذا قلت : زيد كثير الرماد ، معناه : أنه مضياف ، لأنه كثير الرماد ، وإذا قلت : إنه أسد ، معناه : أنه شجاع ؛ لأنه أسد ، والأسد شجاع ، وإذا قلت : إنه يجعل أصبعه في أذنه ، معناه : أنه يجعل أنملته في أذنه ، لأنه يجعل أصبعه فيها ، والأنملة جزؤه (٣٦) .

٦٦/ ب

---

(٣٥) الدلائل ص ٥٥ - ٥٨ .

(٣٦) كون الكناية والمجاز أبلغ من التصريح والحقيقة لا نسلم به ، لأن لكل موقف ما يناسبه من الكلام سواء كان بالحقيقة أو بالمجاز بحيث لا يغني أحدهما عن الآخر في نقل المعنى أو رسم الصورة . انظر تفصيل هذا الكلام في كتابنا « القرآن اعجازه وبلاغته من ص ١٥٩ - ١٦٢ . المطبعة النموذجية .

قلت : هذا الحكم إن أطرد فى جميع الوارد فلا ينافي إيراد سبب آخر للعدول ، وهو ما أشرنا إليه فيما تقدم من مزية الدلالة العقلية على الوضعية الصرفة ؛ لأن الدلالة إذا أسندت إلى تصرف العقل ، كان المدلول أوقع فى النفس ، وألذ فى الطبع ، وإنما قلنا بعدم المنافاة ؛ لأن ما ذكره يكون جزء السبب ، وجزؤه الآخر ما ذكرناه ، أو يكون أحدهما سبباً فاعلياً ، والآخر غائياً ، فإن كل حادث لا بد له من السببين ، لكن قوله : الانتقال فى الجميع من الملزوم إلى اللازم ليس بمطرِّد ، لما تقدم أن الانتقال فى الكناية من اللازم إلي الملزوم ، سواء كان أعم أو مساوياً ، وأيضا عدم إفادة الاستعارة فائدة زائدة علي التشبيه ممنوع ؛ لما تقدم أن معنى قولنا : زيد أسد ، أن شجاعة الأسد حاصلة فى زيد ، ومعنى قولنا : إنه كالأسد : أن له شجاعة شبيهة بشجاعة الأسد ، ولا بد أن تكون لشجاعة الأسد خصوصية استحق الأسد لأجلها أن يكون مشبها به ، وتلك الخصوصية هي الفائدة الزائدة .

وتعليله أيضاً للاستعارة بأنه دعوى وبينة يجئ أيضاً فى التشبيه ، فإنه يقال : زيد شجاع ، لأنه يشبه الأسد .

هذا هو آخر مباحث علمى المعانى والبيان ، ونختمهما بآية من القرآن قد جمعت محاسن العلوم الثلاثة ، نذكر فيها حاصل ما ذكره السكاكى (٣٧) وغيره ، مع تصرفات واصطلاحات ، وزيادة فوائد يعرفها العالم المنصف إذا وقف على الكلامين .

* * *

(٣٧) المفتاح ص ٢٢١ .

خاتمة

قال تعالى : ﴿ وقيل يا أرضُ ابلعي ماءَكِ ويا سماءُ أقْلِعي ، وَغِيضَ الماءُ ، وقُضِيَ الأمْر ، واستَوتْ على الجُودِيِّ ، وقيل بُعْداً للقوم الظَّالمين ﴾ (٣٨) ولنذكر **محاسنها باعتبار كل علم من الثلاثة فى مسألة :**

المسألة الأولى : فيما يتعلق بعلم المعانى ، وذلك باعتبارين : باعتبار التقديم والتأخير ، وتعين الألفاظ ، وباعتبار الاختصار والإطناب .

والأول : إما باعتبار ترتيب الكلمات وتعينها ، أو باعتبار ترتيب الجمل وتعيينها ، فنقول : / بالاعتبار الأول : ٦٧/أ

إنه قدم : (قيل) لكونه أصلاً ، ولا موجب لتأخيرها .

ولم يذكر الفاعل ؛ إما لتعظيمه ، كما يقال : رُسم بكذا دون رسَم فلان ، أو ليكون للعقل تصرف فى الاهتداء إلى تعيينه ، فيكون أعلق بالطبع ، وألذ للنفس .

واختير : (يا) من بين أدوات النداء ، لبعد رتبة المنادِى عن المنادَى ، كما يقال فى عكسه : يا الله مع كونه أقرب إلينا من حبل الوريد .

واختير يا (أرض) بالضم دون الكسر بإضافتها إلى المتكلم ، كما أضاف الروح إلى نفسه فى قوله : ﴿ ونَفختُ فيه مِنْ رُوحِي ﴾ (٣٩) ؛ لرفع منزلته عن هذه الإضافة ؛ لكون الأرض بعيدة الرتبة عنه تعالى ، بخلاف الروح . واختير اسم الأرض من بين أسمائها ؛ لأنه الموضوع للذات الباقية باعتبار الصفات ، والمقصود هنا الذات ، أو لكونه أخفّ وأشهر .

واختير تقديم : (ابلَعِي) على (ماءك) ، لكونه أصلاً ، ولا موجب لتأخيره .

---

(٣٨) سورة هود آية ٤٤ . وانظر فى تحليل هذه الآية مفتاح العلوم للسكاكى ص ١٩٧ ط. مصطفى الحلبى

(٣٩) سورة الحجر آية ٢٩ .

واختير : (ماءَكِ) على (الماء) ؛ لئلا يلزم ابتلاع باقى المياه ، إذ المراد : الماء الزائد على المعهود . وأضيف إليها ، لكونها مظهرة ، فكأنها أظهرته ، ولهذا السبب أيضاً لم يحذفه ؛ لعدم دلالة ابلعى على خصوصية الماء ، ولم يُضِف الماء إلى نفسه لعين ما تقدم فى « أرض » ، ولئلا يظن عموم ابتلاع المياه .

والقول فى : (يا سَماءُ أَقْلِعِى) كالقول فى يا أرض ابلعى .

واختير : (أَقْلِعِى) على أمسكى ، لتجانس ابلعى ، ولم يذكر متعلق أقلعى ؛ لعدوم إرادَة الخصوصية التى أوجبت ذكر مفعول ابلعى ؛ إذ ليس للسماء غير صنف واحد من المياه .

واختير : (غِيض) على : غيِّض بالتشديد ؛ لِتُوافق قِيل لفظاً ، ولكونه أخف .

واختير : (الماءُ) على : ماء الطوفان ، وماء الأرض ؛ لكونه أخف ، ودالاً عليهما ، لكون اللام للعهد ، ولم يكتف بابلعى عن غيض ؛ لأن حدوث الشئ كما يحتاج إلى العامل ، كذا يحتاج إلى الفاعل ، فأشار إلى نسبة القبول بابلعى ، وإلى نسبة الفعل بغيض .

والقول فى : (قُضِىَ الأمْرُ) كالقول فى غيض الماء .

واختير : (اسْتَوَتْ) على سويت ، لا لتوافق قوله : « وهى تجرى بهم » كما قيل ؛ لأن مراعاة الأقرب أوْلى من الأبعد ، بل لأن خروج نسبة القبول إلى الفعل تستلزم وقوع نسبة الفعل دون العكس ، ولذلك يصح « سويت الشئ فلم يستو » ، دون استوى .

إن قيل : فقد ذكر نسبة الفعل دون / القبول فى : غيض ، ولم يقل : غاض ، فإن غاض يجئ للنسبتين معاً ، يقال : غاضه الله فغاض : /٦٧ ب

قلنا : المرجع مراعاة المجانسة اللفظية ، فإن غيض مثل : قيل ، وليس سوى مثله .

وذكر : (قِيل) الثانية ولم يكتف بالأولى ؛ لأن الثانية كناية عن فعل الطوفان بخلاف الأولى ، ، أى : فعل ما فعل من الطوفان ؛ بعداً للقوم

الظالمين ، وإنما قلنا ذلك لقوله تعالى : ﴿ إنَّما أمْره إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كنْ فيكون ﴾ [٤٠] فبعداً ، مفعول له ، لا مصدراً محذوف الفعل .

واللام فى : (لِلْقَوْمِ) لام تقوّى بها العامل الضعيف مثل : ضربك لزيد ، وضارب لزيد ، وهذه فائدتها اللفظية ، وأما المعنوية : فليدل على استحقاقهم الهلاك ، وذكر القوم ولم يكتف بالظالمين ؛ لأن المراد هم الظالمون المعهودون واللام فى القوم للعهد ، ولا يفهم العهد من الظالمين ، لكون اللام فى المشتقات موصولة .

وأما ترتيب الجمل المذكورة ، فإنه راعى فيها الترتيب الطبيعى ؛ لعدم معارضة ما يوجب خلافه .

فقدَّم (قِيل) تقديم العامل على معموله .

وقدم الجملة الندائية على الجملة الأمرية ؛ لئلا تفوت فائدة النداء ، وهى إزالة غفلة المنادى ؛ ليستعد لفهم ما يورَد عليه .

وكذا القول فى النداء الثانى .

وقدَّم أمرَ الأرض على أمر السماء ؛ لأن الذى أمر به الأرضَ مقصود بالذات ، وما أمر به السماء مقصود بالعرَض ؛ لأن المقصود إذهاب الماء عن وجه الأرض ، والأمر بالإقلاع لأجله .

وأخّر : (غِيض الماءُ) ؛ لأنها واقعة موقع فبلعت ، أى : امتثلت ، والامتثال للأمر بعده ، وإنما أوقعت موقعها للمجانسة اللفظية .

وأخّر : (قضىَ) ؛ لإنه أخبار عن إنجاز الوعد بهلاك قوم نوح الظالمين ، وإنجاء المؤمنين ، والإخبار بالإنجاز بعد الإنجاز .

وأخر : الإخبار عن (استواء السفينة) ؛ لأنه بعد الإنجاز .

وأخر : (بُعْداً للقوم) عن الكل ، لأنه مفعول له ، ولا تذكر العلة الغائية إلا بعد المعلل بها .

---

(٤٠) سورة يس آية ٨٢ .

وأما الكلام فيها باعتبار الاختصار والإطناب ، فنقول :

إن الاختصار كما تقدم ، وهو : أن يعبر عن معانى كثيرة بألفاظ قليلة ، والآية كذلك ، فتكون اختصاراً ، وإنما قلنا ذلك ، لأن معانيها كثيرة بالنسبة إلى ألفاظها .

ومعانيها : أنّا لما أردنا أن نردَّ ما انفجر من الماء من الأرض إلى داخلها ، شبهناها بإنسان مطيع لأوامر ملكه ، وقلنا لها : أن / تبلعه فابتلعت . /٦٨ أ

ولما أردنا أن ينقطع ماء السماء ، شبهناها بإنسان مطيع لملكه ، وقلنا لها : أن تقلع عن الإرسال ، فأقلعت .

ولما أردنا إذهاب ما نزل من السماء من الطوفان عن وجه الأرض ، غضناه فغاض .

ولما أردنا إنجاز ما وعدنا نوحاً من إهلاك قومه الظالمين أنجزناه وقضينا حاجته .

ولما أردنا إنجاء من ركب السفينة من المؤمنين سويناها على جبل الجودى فاستوت . وإنما فعلنا جميع ذلك ؛ ليهلك الظالمون ، ويسلم المؤمنون ، وجميع هذه المعانى مفهومة من الآية منطوقاً ومفهوماً ، ومطابقةً والتزاماً .

المسألة الثانية : فيما يتعلق بعلم البيان :

فنقول . إن القول فى قوله : (قيل) كناية عن إرادة انكشاف وجه الأرض عن الماء ، وذلك أن أرادة الملك المطاع ملزوم لأمر رعيته المطيعة ، والأمر هو القول ، فأطلق اللازم ، وأراد الملزوم .

و (الأرض) مشبهة بإنسان مطيع لأوامر الملك ، أضمر التشبيه ، ولم يذكر المشبه به ، ولا آلة التشبيه ، ولا وجه الشبه ، واقتصر على إعطاء حكم من أحكام المشبه به للمشبه ، وهو النداء ، فهو مثل : زيد يزأر فى خيمته ، وإنما أضمر التشبيه ؛ لأنه فى مقام الاختصار ، ووجه الشبه بين الإنسان المطيع للملك ، والأرض المسارعة إلى المراد : هذه بطبعها ، وذاك باختياره .

و(البلع) استعارة عن النضوب ؛ لأن أصله أن يكون للحيوان ، لكونه حركة أراد به النضوب ، فاستعير لنضوب الماء [٤١] لجامع الستر .

---

(٤١) فى الأصل : لكونه حركة أراد به استعير لنضوب الماء ، وهو غير مستقيم .

وكذا الكلام فى (يا سماء) فى أنه مشبه بإنسان مطيع لملكه ، أضمر التشبيه للغرض المذكور ، ووجه الشبه أيضاً المسارعة إلى مراد الملك .

(والإقلاع) استعارة عن عدم الإرسال ، وإنما قلنا : إن البلع والإقلاع استعارتان ، ولم نقل : ترشيح الاستعارة ؛ لأن الترشيح يتوقف على سبق فى الذكر ، ولم يفعل ، بل ذكر المشبه وهو الأرض ، وأضمر التشبيه .

(وقُضِيَ الأمرُ) كناية عن استجابة دعاء نوح عليه السلام بإهلاك الظالمين من قومه وإنجاء المؤمنين به .

وقوله : (واستوتْ) كناية عن سلامة المؤمنين به من الغرق ؛ لأن سلامتهم تستلزم استواء السفينة ، أى : ارتفاعها .

/٦٨ ب (وَقيلَ بُعْداً) / كناية عن إهلاك الظالمين من فوق ؛ لأن إهلاكهم يستلزم القول ، لقوله تعالى : ﴿ إنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون ﴾ [٤٢] وعلى هذا التفسير لا يكون بُعْداً مفعولاً له ، بل مصدراً لفعل محذوف ، أى : قيل : ابعدوا بعدا ، وهذا وإن صح معنًى ، لكن ينافى مقام الاختصار ، لأن : قضى الأمر ، حينئذ إجمال ، وما بعده تفصيله ، وذكر الإجمال مع التفصيل من باب الإطناب .

المسألة الثالثة : فيما يتعلق بالبديع :

ليس فى الآية من محاسن البديع سوى المطابقة ، والتجنيس اللفظى .

والمطابقة هى : ذكر السماء مع الأرض ، فإنهما باعتبار جهتى فوق وتحت ، من المتقابلات .

والتجنيس ، قوله : ابلعى وأقلعى .

ولكون الآية جامعة لمحاسن العلوم الثلاثة ، مانعة لأضداد الفصاحة والبلاغة المذكورة فى صدر الكتاب ، قيل فى وصفها : إنها عذبة على العذَبات [٤٣] سلسلة على الأسَلات [٤٤] ، كل من كلماتها كالماء فى السلاسة ، وكالعسل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة . والله أعلم بالصواب .

* * *

---

(٤٢) سورة يس آية ٨٢ . (٤٣) العذبات : جمع عذبة والمراد بها طرف اللسان .

(٤٤) الأسلات : جمع أسلة والمراد بها جانبى اللسان أو طرفه .

الفن الثالث
فى البديع
وهو مبنىٌّ على مقدمة وركنين

المقدمة : فى تعريفه :

علم البديع علم يعرف منه [1] وجوه تحسين الكلام ، باعتبار نسبة بعض أجزائه إلى بعض بغير الإسناد والتعلق ، مع رعاية أسباب البلاغة .

وإنما قلنا : باعتبار نسبة بعض أجزائه إلى بعض ؛ ليخرج التحسين لا بهذا الاعتبار ، كالتحسينات التى باعتبار الدلالة ، فإنه من علم البيان .

وإنما قلنا : بغير الإسناد والتعلق ؛ لتخرج التحسينات التى باعتبارها ، فإنها من علم المعانى .

وإنما قلنا : مع رعاية أسباب البلاغة ؛ لأنه مع عدمها لا تكون الصناعة كاملة ، وذلك أن نسبة صناعة البديع إلى صناعتَىْ المعانى والبيان ، نسبة صناعة النقش إلى صناعة النساجة ، إلا أنه يمكن إفراد صناعة النقش ما لم يكن ذاتياً ، عن صنعةٍ ما بغير النقش ، ولذلك قد يتغاير الصانعان ، ولا يمكن إفراد صناعة البديع عن صناعتَىْ العلمين ؛ لأنهما صفة ذاتية للكلام ، ولذلك يمتنع تغاير صناع صناعات العلوم الثلاثة ، ولأجل هذه الدقيقة قلنا فى تعريفه : مع رعاية أسباب الفصاحة والبلاغة .

إن قلتَ : كما يخلو الكلام الفصيح البليغ عن صنعة البديع ، كذلك يخلو الكلام الذى فيه صناعة البديع عن الفصاحة والبلاغة ، فيستحق الصانع المدح باعتبار صنعة البديع ، والذم باعتبار فوات صناعة الفصاحة والبلاغة ، وحينئذ لا يجب ذكر مراعاة أسباب الفصاحة والبلاغة فى التعريف ، كما لا يجب ذكر صناعة النساجة فى تعريف صناعة النقاشة ! .

---

(١) المشهور فى تعريف علم البديع ، أنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة .

قلنا : هذا بالنسبة إلى نوع الكلام ، وأما بالنسبة إلى شخصه . فلا يمكن الامتياز ، اللهم إلا فى الذهن ، ولذلك / امتنع أن يقال : تكلم زيد بكلام فصيح ثم أوقع صناعة البديع فيه ، كما يقال : نسج الثوب ثم نقشه ؛ لأن المتكلم لا يقدر أن يوقع صناعة فى كلامه إلا بعد أن ينقض ما بناه أولاً فلا يكون الكلام الثانى هو الكلام نفسه ، والكلام فى الكلام الشخصى ، ولذلك لا يستحق المتكلم الموقع فى كلامه صناعة البديع المدح بالإطلاق إلا بعد رعاية شرائط البلاغة ، كما أن البناء لا يستحق المدح بالإطلاق على بنائه إلا بعد رعاية دقائق صنعته كلها ، ولذلك قلنا فى تعريفه : مع رعاية أسباب البلاغة ، فبلاغة الكلام تجرى مجرى الجنس لعلم البديع ، والمحسنات المذكورة تجرى مجرى الفصل . وحينئذ الكلام الذى فيه صناعة البديع أقصى مراتب الكلام فى الكمال ، فإذا عرّفنا الكلامَ الكاملَ غاية الكمال ، قلنا : إنه كلام بليغ محسَّن ببعض التحسينات المذكورة .

/٦٩ أ

ومحسنات الكلام : إما معنوية أو لفظية :

* * *

الركن الأول
فى المحسنات المعنوية وهى كثيرة

إشارة : إلى المطابقة

المطابقة : هى أن تجمع فى كلام واحد بين المتقابلين سواء كان التقابل صريحا أو غير صريح ، وسواء كان التقابل بالضدية أو بالسلب والإيجاب أو بغيرهما ، وسواء كان المتضادان : اسمين أو فعلين أو حرفين ، أو مختلفين :

فالأسماء كقوله تعالى : ﴿ وتَحْسَبُهمْ أيْقَاظاً وَهُمْ رقودٌ ﴾ (٢) وكقول تعالى : ﴿ يا أرضُ ابلَعِى ماءَكِ ويا سَمَاءُ أقْلِعِى ﴾ (٣) .

والفعلان كقوله تعالى : ﴿ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تشاء وتَنْزِعُ المُلكَ ممَّنْ تشَاءُ ، وتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاء ﴾ (٤) وقوله عليه السلام : (إنكم لَتَكْثُرون عندَ الرَّوْعِ وتَقِلُّون عند الطَّمَع) (*) ، وقول أبى صخر (٥) :

أما والذى أضحكَ وأبْكَى والذى ... أماتَ وأحيا والذى أمْــرُه الأمْرُ

والحرفان كقوله تعالى : ﴿ لها ما كَسبتْ وعليها ما اكتسبتْ ﴾ (٦) .

وقول الشاعر :

علــى أنَّنــى راضٍ بأنْ أحملَ الهوَى ... وأخلُصُ منه ، لا علىَّ ، ولا لِيا (٧)

---

(٢) سورة الكهف آية ١٨ .
(٣) سورة هود آية ٤٤ .
(٤) سورة آل عمران آية ٢٦
(*) النهاية لابن الأثير ١٩٩/٣
(٥) البيت لأبى صخر الهذلى الشاعر الأموى ولم أعثر عليه فى ديوان الهذليين . والبيت فى الطراز ٣٨٢/٢ منسوب للبحترى .
وجواب القسم :
لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى ... أليفيـــن منها لا يروعها الذعر
(٦) سورة البقرة آية ٢٨٦ .
(٧) البيت لمجنون ليلى وورد فى الديوان هكذا :
فليتكــم لم تعرفونى وليتكم ... تخليت عنكم لا علىَّ ولا ليا
(ديوانه ص ٢٩٧)

والمختلفان كقوله تعالى : ﴿ أوَ مَنْ كان مَيْتاً فأحْيَيْنَاه ﴾ (٨) أى : ضالاً فهديناه .

والمتقابلان بالإيجاب والسلب ، كقوله تعالى : ﴿ فلاَ تَخْشَوا النَّاسَ واخْشَون ﴾ (٩)

وقول الشاعر :

ونُنكر إنْ شئْنا على الناس قولَهم ولا يُنكِرون القولَ حينَ نقول (١٠)

وقول أبى الطيب :

ولقد عُــرِفتَ وما عُــرِفتَ حقيقــةً ولقد جُهلتَ وما جُهلتَ خُمولا (١١)

وقول البحترى :

يُقَيِّضُ لــى مــن حيثُ لا أعلمُ النَّوى ويسرِى إلىّ الشَّوقُ مِن حيثُ أعلمُ (١٢)

وقد تكون مع المطابقة المناسبة كقول ابن رشيق :

/٦٩ ب / وقد أطفأوا شمسَ النهار ، وأوقدوا

نجــومَ العوالــيِ فى سماءِ عَجاجِ (١٣)

بينه مطابقة ؛ لتقابل أطفأوا وأوقدوا ، ومناسبة ، لتناسب الشمس والنجوم والسماء ، ولذلك جاء سحراً فى الحسن والبلاغة .

---

(٨) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

(٩) سورة المائدة آية ٤٤ وفى الأصل : « لا تخشوا الناس .... »

(١٠) البيت للسموءل بن عادياء من قصيدة مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرضه فكــل رداء يرتــديه جميــل

(ديوانه ص ٩١ ط بيروت)

(١١) قالها فى مدح ابن عمار ومطلعها :

فى الخد إن عزم الخليطُ رحيلاً مطــرٌ تزيد به الخدود محولا

(ديوانه ٣٥٤/٣)

(١٢) يقيض لى : يقدر لى ، النوى : الفراق والبعد . والبيت فى الديوان ١١١/١ والتبيان ١٧١ ، والوساطة ٤٦

(١٣) العوالى : أعلى الرمح ، عجاج : الغبار ، البيت لابن رشيق القيروانى صاحب كتاب العمدة ، والبيت فى تحرير التحبير ١١٢ ، نهاية الأرب ١٠٠/٧ ، والطراز ٣٧٢/٢ .

وقد يكون معها إيغال ، كقول الفرزدق [(١٤)] :

لَعــن الإلَهُ بنــى كُليب ؛ إنهم لا يَغْــدرون ، ولا يَفُــون لجارِ
يستيقظون إلى نهيقِ حمارِهمْ وتنامُ أعينُهُـــمْ عـــن الأوتارِ

فإنّ غرضه وصفُهم بالعجز ، ولذلك جمع بين المتقابلين ، وقد تم غرضه بنفى الغدر والوفاء عنهم بالإطلاق ، ولكنه كمّله بقوله : لجار ، وهو الإيغال .

إشارة : المطابقة : إما ظاهرة أو خفية أو ما بينهما :

فالظاهرة : أن تكون بين السلب والإيجاب ، كما تقدمت أمثلتها .

أو تكون بين المتضادين تضاداً حقيقياً ، كما فى الألوان ، ويسمى « التدبيج » مأخوذ من الديباج ؛ لاختلاف ألوانه ، كقول ابن حيّوس [(١٥)] :

إن تُـــرد عِلـــمَ حالهـــم عن يقين فالْقَهُـــم يـــومَ نائـــل أو نِزال
تَلْقى بيضَ الوجوه ، سودَ مُثار النقع خُضْـــرَ الأكنـــاف حمـــرَ النصـــالِ

وقول الحريرى : « فمذ ازورّ المحبوبُ الأصفُر ، واغبّر العيشُ الأخضُر ، واسْود يومى الأبيضُ ، وابيضّ فَودى الأسودُ ، حتى رثى لى العدوُّ الأزرق ، فيا حبّذا الموتُ الأحمرُ » [(١٦)] .

والخفية : أن تكون ملزوما للتقابل ، لتعلقهما بالمفعول به ، كقوله تعالى : ﴿ مّما خطيئاتِهِمْ أُغرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً ﴾ [(١٧)] فإنه لولا تعلق الفعلين بمفعوليهما ، لما تحقق بينهما تقابل .

---

(١٤) لا يغدرون : لا يضربون ، لا يفون لجار : لا ينفعون أى ليسوا بشئ ، والأوتار : جمع وتر وهو الثأر . والبيت من قصيدة يهجو فيها جريرا مطلعها :

يا ابن المراغة انما جاريتنى بمستبقين لدى الفعال قصار

(ديوان ١/ ٣٦٠، والبديع لابن المعتز ص ٨٠ ، والصناعتين ٣١٣)

(١٥) ابن حيوس : هو أبو الفتيان محمد بن سلطان شاعر من الشام وتوفى سنة ٤٧٣ هـ .، والبيت ليس فى الديوان ط دمشق .

(١٦) المحبوب الأصفر ، الدينار ، واغبر العيش الأخضر : خشن عيشه اللين . وأسود يومى الأبيض : كثرت همومه ، فودى : جانب الشعر ، العدو الأزرق : العدو اللدود ، الموت الاحمر : الذى تسيل فيه الدماء .

(١٧) سورة نوح آية ٢٥ .

أو لتعلقهما بطرفين متقابلين ، كتقابل السماء والأرض ، لتقابُل طرفيهما ، وهما جهتا فوق وتحت .

أو لتقابل لازم آخر غيرهما ، كقوله تعالى : ﴿ أشِداءُ على الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١٨) فإن الرحمة تقابل الشدة ؛ لاستلزامها اللين .

وما عدا القسمين هو ما بين الظهور والخفاء ، وقد تقدمت أمثلتهما .

إشارة : إلى المقابلة :

وهى أن يؤتى بمعنيين أو معانى متوافقة ، ثم يؤتى بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب ، وهى إما ثنائية كقوله تعالى : ﴿ فلْيضحكوا قليلاً وليبكُوا كثيراً ﴾ (١٩) وقول النبى ﷺ : « إن الرِفْقَ لا يكونُ فى شئ إلا زانه ، والخرقَ لا يكونُ فى شئٍ إلا شَانَه » (٢٠) . وقول الذبيانى (٢١) :

فتـــى تَـــمَّ فيه ما يسرُّ صديقَهُ ... على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا

أو ثلاثية كقول أبى دلامة (٢٢) :

/٧٠ أ / ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرجلِ !!

وقول أبى الطيب (*) :

فلا الجودُ يُفنى المال والجَدُّ مُقْبلٌ ... ولا البخلُ يُبقى المالَ والجَدُّ مُدْبرُ

أو رباعية كقوله تعالى : ﴿ فأمّا من أعْطى واتقَى ، وصدَّقَ بالحُسْنى ، فسنيسّره لليسْرى ، وأما مَن بَخل واستَغْنَى ، وكذَّب بالحُسْنَى ، فسنيسّرُهُ

---

(١٨) سورة الفتح آية ٢٩ . (١٩) سورة التوبة آية ٨٢ .

(٢٠) الحديث روته عائشة ونصه « ان الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ، ولا ينزع من شئ إلا شانه » أخرجه مسلم ٢٠٠٤/٣ ط عيسى الحلبى .

(٢١) الشطرة الثانية من البيت جاءت فى الديوان : « على أن فيه ما يسوء المعاديا » . ديوانه ص ١٥١ والتبيان ١١/١ منسوب للجعدى والصناعتين ٣٣٨

(٢٢) اسمه زيد بن الجون وهو من الشعراء العباسيين توفى سنة ١٦١ هـ . تحرير التحبير ١٨١ .

(*) الأغانى ٤٣/٦ منسوب لعبد الله بن طاهر ، وللمتنبى فى الايضاح ، وغير موجود فى ديوانه . والجد : الحظ .

للعُسْرى ﴾ [٢٣] وذلك أن استغنى معناه : استغنى بنعيم الدنيا عن نعيم الآخرة ، فيكون فى مقابلة « اتقى » الذى بعكس ذلك .

وقيل : أو خماسية كقول أبى الطيب [٢٤] :

أزورهـمْ وسَوادُ الليلِ يَشْفعُ لي   وأنْثني وبياضُ الصبح يُغرِى بى

بناء على أن « لى » و « بى » متقابلين .

وفيه نظر ؛ لأنهما من تتمة الفعلين ، فلا يتعدد التقابل بهما ، فتكون رباعية .

ورجح بيت أبى الطيب على بيت أبى دلامة بكثرة المقابلة ، وأن قافيته ممكنة ، وقافية أبى دلامة مستدعاة ؛ لعدم اختصاص الحكم بالرجل دون المرأة .

ورجح بيت أبى دلامة بحسن المقابلة ؛ فإن الصبح فى بيت أبى الطيب لا يقابل الليل ، وإنما يقابله النهار .

إشارة : إلى المناسبة :

هى أن يجمع فى الكلام بين كلمات متناسبة ، كقوله تعالى : ﴿ الشمسُ والقمرُ بحُسْبان ، والنَجمُ والشجرُ يَسْجدان ﴾ [٢٥] فإن القمر يناسب الشمس ، والشجر يناسب النجم ؛ لأن النجم نبات ليس له ساق . وفيها أيضا مطابقة خفية.

ومنه أيضا قول من يمدح الوزير المهلبى [٢٦] نثراً : « أنت أيها الوزير اسماعيليُ الوعد ، شُعَيبيُ التوفيق ، يوسُفيُ العفو ، محمدى الخُلُق » .

---

(٢٣) سورة الليل آية ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢٤) من قصيدة يمدح فيها كافورا مطلعها :

مـــن الجآذر فى زى الأعاريب   حمر الحلى والمطايا والجلابيب ؟

(ديوانه ١٦١/١ ، وأنوار الربيع ٩٦)

(٢٥) سورة الرحمن آية ٥ ، ٦ .

(٢٦) المهلبى شاعر وكاتب ينتهى نسبه إلى المهلب بى أبى صفرة ، وكان وزيراً لمعز الدولة البويهى ، توفى سنة ٣٥٢ هـ

وقول الشاعر [٢٧] :

كـأن الثـريا عُلِّقَتْ فـي جبينه ... وفي خدِّه الشعْرَى ، وفي وجهه القَمَرُ

جمع بين الكواكب المتناسبة ، كما جمع المادح بين أسماء الأنبياء .

وقول الآخر في وصف فرس [٢٨] :

مِن جُلّنارٍ ناضرٍ خدُّه ... وأذْنه منِ ورق الآسِ

وقول البحترى فى صفة الإبل الأنضاء :

كالقِسِـيِّ المعُطَّفـاتِ ، بـل الأ ... سـهم مَبـرِيةً ، بل الأوتارِ [٢٩]

ومن أحسن ما قيل فيها قول ابن رشيق [٣٠] :

أصحّ وأقوى ما سمعناه فى الندى ... مـن الخبـر المأثـور منـذُ قديمِ

أحـاديثُ ترويها السيولُ عن الحَيَا ... عـن البحر ، عن كَفّ الأميرِ تميمِ

فإنه أوقع المناسبة فيه بين الصحة والقوة ، والسماع والخبر المأثور ، والأحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا ، والبحر وكف تميم ، مع الترتيب الطبيعى المعنعن كسند الأحاديث .

---

(٢٧) البيت لأسيد بن عنقاء الفزارى من قصيدة مطلعها :

رآنى على ما بى عسيلة فاشتكى ... إلـى حـاله حالى أسرٌ كما جهر

والثريا : مجموعة من الكواكب ، والشعرى : اسم كوكب . ديوان الحماسة ، الحماسة البصرية ١٥٦/١

(٢٨) البيت لابن خفاجه الأندلس المتوفى سنة ٥٣٣ هـ .

والجلنار : زهر الرمان ، والآس : الريحان . والبيت من قصيدة مطلعها :

وأشقر تضرّم منه الوغى ... بشعلة من شعل الباس

(ديوانه ٤٩ط بيروت)

(٢٩) الإبل الأنضاء : الهزيلة ، القسى المعطفات والأسهم مبرية : هى الأقواس المحنية والنبال المنحوته ، والبيت من قصيدة يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاماً مطلعها :

أبكـاء فـى الدار بعـد الـدار ... وسلواً بـ (زينب) عن « نوار » ؟

(ديوانه ٩٨٧/٢)

(٣٠) الحيا : المطر ، والأمير تميم هو ابن المعز باديس من أمراء الدولة الصنهاجية بأفريقيا ، انظر نهاية الأرب ١٥٨/٧ والطراز ١٤٦/٣

/ ويلحق بالمناسبة ما سمى : بتشابه الأطراف : / ٧٠ ب

وهو إيقاع المناسبة بين كلامين متعاقبين ، كقوله تعالى : ﴿ لا تدْرِكُهُ الأبصارُ وهُو يُدركُ الأبصارَ وهُوَ اللّطيفُ الخَبير ﴾ (٣١) فإن قوله : اللطيف ، يناسب لا تدركه الأبصار ، وكأنه تعليل له ، وقوله : الخبير ، يناسب يدرك الأبصار ، وكأنه تعليل له .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَهُ ما فى السموات وما فى الأرض وإنّ اللّه لَهُوَ الغنىُّ الحميدُ ﴾ (٣٢) وجه المناسبة بين الكلامين : أن الثانى تنبيه على أن كونه مالك ما فى السموات وما فى الأرض ، ليس لحاجته إليه ، بل لكونه غنيا حميدا ، أى : غنيا يجود بماله ، ليُحمَد ، لا غنياً يبخل بماله ، ليذم .

وقد تخفى المناسبة فيظن خلافه ، كقوله تعالى : ﴿ إن تُعَذّبْهمْ فإنهمْ عبادُك وإنْ تغْفر لهم فإنّك أنتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ (٣٣) فإنه يظن أنه لا مناسبة بين كونه غافرا وكونه عزيزا حكيما ، والظن فاسد ؛ لأن وجه المناسبة أنّ ترك المجازاة على الفعل القبيح فى الشاهد لأحد أمرين : إما للخوف من حاكم آخر ، أو للجهل بالسياسة ، فأزال السبب الأول فى : - الغالب - بقوله : العزيز ؛ لأن العزيز بمعنى : الغالب ، ومنه المثل : (مَن عَزَّ بَزَّ) (٣٤) أى من غلب سلب ، وأزال السبب الثانى بقوله : الحكيم ؛ لأن الحكيم هو العالم الذى يضع الأشياء مواضعها .

إشارة : قد يُركب الكلام من المطابقة والمناسبة ، فيختص باسم « التفويف » ، كقول من يصف سحاباً (٣٥) :

تسربلَ وشْياً من خُزُور تطرزتْ ... مطارفُها طُرْزا من البرق كالتِّبر

فوشىٌ بلا رقْمٍ ، ونقشٌ بلا يدٍ ... ودمعٌ بلا عينٍ ، وضحك بلا ثَغْرِ

---

(٣١) سورة الانعام آية ١٠٣ .

(٣٢) سورة الحج آية ٦٤

(٣٣) سورة المائدة آية ١١٨ .

(٣٤) مثل يضرب فى الغنيمة والنجاة من الهلكة ، تهذيب مجمع الأمثال ٥١١ .

(٣٥) تسربل وشيا : ارتدى ملابس مزركشة ، خزور : حرير مخلوط بالصوف ، المطارف : أردية من خز ، والبيتان لأبى العباس الناشئ أحد شعراء سيف الدولة الحمدانى .

فإن الرقْمَ واليد والعين والثغر متناسبة ، وسلبها يستلزم سلب الوشى والنقش والدمع والضحك ، فيكون بينهما وبين وجودها (*) المذكور مطابقة .

ومنه قول عنترة (٣٦) :

إن يلحقــوا أكرُرْ وان يُستلحقوا　　　أشْدُدْ ، وإن نزلوا بضَنْكٍ أنزلِ

فإن بين الإلحاق والاستلحاق مناسبة وبين لازمَيهما ، وهما كونهم طالبين وكونهم مطلوبين مطابقة ، وكذا بين الكرِّ والشد مناسبة .

ومنه قول ابن زيدون (٣٧) :

تِهْ أحتملْ ، واحتكم أصبرْ ، وعزّ أهُنْ　　　ودِلَّ أخضع ، وقل اسمع ، ومُرْ أطِعْ

فإن بين كلماتها مطابقة ومناسبة على ما لا يخفى ، ومنه قول ديك الجن (٣٨) :

/ ٧١ أ / أحْلُ ، وامْرُرْ ، وضُر ، وانفع ، ولِنْ ، واخـ

شُــن ، ورِش ، وانتــدِبْ للمعــالــى (*)

والمطابقة فيه أظهر ؛ لتقابل كل مزدوج .

إشارة : إلى المشاكلة :

هى ذكر الشئ بغير لفظه اعتماداً على معموله أو عامله :

(*) فى الاصل : فيكون بينهما وبين وجوداتها المذكورة مطابقة

(٣٦) البيت فى الديوان : « إن يلحقوا أكرر ، وإن يستلحموا أشدد ، وإن يُلفَوا بضنك أنزل » والبيت من قصيدة يعرِّض فيها بقيس بن زهير مطلعها :

طال الثواء على رسوم المنزل　　　بين اللكيك وبين ذات الحرمل

(ديوانه ص ٥٧)

(٣٧) يتيه : يختال ويتكبر ، احتكم : تحكم . دل : تمنع المرأة فى لطف . والبيت لابن زيدون الشاعر الأندلسى صاحب ولادة وفى الديوان : « ووَلِّ أقبل » بدلا من « ودل أخضع » ديوانه ص٢٧٩ ، ط مصطفى الحلبى .

(٣٨) ديك الجن هو عبد السلام بن رغبان شاعر شعوبى اشتهر بالوصف وتوفى سنة ٢٣٥ هـ .

(*) رش : العناية بالسهم بلصق الريش بها ، وابر : انحت ، وانتدب للمعالى : لَبِّ دعوتهم .

أما الأول ، فكقول الشاعر [٣٩] :

فقالوا : اقترح شيئا نُجِدْ لكَ طبخه ... فقلت اطبخـوا لـى جُبَّةً وقميصا

أقام : « اطبخوا » مقام « خيطوا » ؛ لدلالة المعمول عليه ، لقصد المشاكلة بين الكلامين .

ومنه قول أبى تمام [٤٠] :

مَـنْ مُبلِـغٌ أفناء يعربَ كلَّها ... أنى بنيتُ الجارَ قبل المنزلِ ؟

أقام : بنيت مقام حصلت ، لقرينة المعمول ، لقصد مشاكلة المنزل .

ومنه قولُ بعض من ردَّ القاضى شهادَته فى هلال العيد [٤١] :

أترَى القاضِىَ أعْمَى ... أم تُـراه يتعامَـى ؟

سـرق العيدَ كـأنَّ الـ ... عيـدَ أموالُ اليتامى

أقام : « سرق » مقام « سترَ » ؛ لتشاكل أموال اليتامى ، لقرينة العيد .

وأما الثانى ، فكقوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ ما فى نَفْسِى ولا أعلمُ ما فى نَفْسك ﴾ [٤٢] أقام : نفسك مقام ذاتك ؛ لتشاكل نفسى . وقوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِئةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [٤٣] أقام : سيئة مقام عقوبة ؛ [٤٤] لتشاكل السيئة الأولى .

---

(٣٩) البيت لأحمد بن محمد الأنطاكى المعروف بأبى الرقعمق توفى سنة ٣٣٩ هـ . البغية ٢٢/٤

(٤٠) الأفناء : الجماعات ، ويعرب : أبو العرب . وفى الديوان : أنى ابتنيت .. والبيت من قصيدة يمدح فيها أبا الوليد بن أحمد بن أبى دواد الإيادى . ومطلعها :

بـوأت رحلى فى المراد المبقل ... فرتعت فى أثر الغمام المسهل

(ديوانه ٤٩/٣)

(٤١) البيتان للصاحب بن عباد وفى الديوان :

إنَّ قاضينا لأعمـى ... أم على عمدٍ تعامى

سرق العيد كأن العيد من مال اليتامى (ديوانه ص ٢٨٦ ط بغداد واليتيمة ٢٤٥/٣ ط القاهرة) .

(٤٢) سورة المائدة آية ١١٦ . (٤٣) سورة الشورى آية ٤٠ .

(٤٤) فى الأصل : « أقام سيئة مقام حسنة » ، رالمعنى لا يستقيم ، فأثبتنا الصواب .

وقد تقدَّر المشاكلة ، لعدم التلفظ بالمُشاكل ، كما حُكِى أن بعض الولاة كان يغرس سيالا (٤٥) فى جامع بغداد ، فوقف عليه وأنشد :

إن الولايــــة لا تـــدوم لواحـــد إنْ كنتَ تُنكـــره فأيـــن الأُوَلُ ؟

واغرس من الفعل الجميل غرائسا فإذا عُـــزِلتَ فإنهـــا لا تُعـــزَلُ

أقام : اغرس مقام اصنع ؛ ليشاكل فعل الوالى .

ومنه قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللّهِ ﴾ (٤٦) أراد : تطهير الله ، فأقام : الصبغ مقام التطهير ؛ ليشاكل صبغ النصارى ؛ فإنهم كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه بالمعمودية ؛ تطهيراً لهم ، يدل عليه سبب نزول الآية ، والباب كله استعارة لقصد المشاكله لا للمبالغة ، ولذلك ليست من مسائل علم البيان .

إشارة : إلى الاستطراد :

وهو الانتقال من مقصود إلى آخر من غير أن يكون الأول وصلة إلى الثانى كقول الحماسى :/(٤٧) /٧١ ب

وانّا لقومٌ لا نرى القتلَ سُبّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلــولُ

وقول الآخر (٤٨) :

إذا ما اتّقــى اللّهَ الفتى وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من جَرْمِ

قال الزمخشرى : ومن الاستطراد قوله تعالى : ﴿ يا بنى آدمَ قد أنزلْنا عليكم لباساً يوارى سؤاتكم وريشاً ، ولباسُ التقوى ذلكَ خيْر ، ذلك من آياتِ اللّهِ لعلّهمْ يذكّرون ﴾ (٤٩) .

---

(٤٥) فى الأصل : يغرس سالا ، والسيال : شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه مثل اللبن (اللسان مادة سيل) . (٤٦) سورة البقرة ١٣٨ .

(٤٧) البيت للسموءل من قصيدته اللامية المعروفة ومطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكـــل رداء يـــرتديـــه جميـــل

(ديوانه ١/ ١٣٠ ، الحماسة ١/ ١٤٤ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر والصناعتين ص ٣٩٩)

(٤٨) البيت لزياد الأعجم ، وليس به بأس : ليس به حرج . جرم : قبيلة . وفى الصناعتين ٣٩٩ .... وإن كان من عكل . (٤٩) سورة الأعراف آية ٢٦ وانظر الكشاف ٢/ ٧٦ .

وفيه نظر ؛ لعدم انتقاله فيها من معنى إلى آخر ؛ لأنها كلها فى معنى اللباس .

وقد أغرب أبو إسحق الصابى فى قوله (٥٠) :

إن كنتُ خُنتُكَ فى المودّةِ ساعةً فذممتُ سيفَ الدولة المحمودا

وزعمتُ أنَّ له شريكاً فى العلا وجحدتُه فى فضله التوحيدا

قسماً لو أنّى حالفٌ بغموسِها لِغريم دَيْنٍ ما أراد مزيدا

حيث إن المعنى الثانى هو المقصود ، والأول وصلة إليه .

إشارة : إلى العكس :

هو أنْ يوصل كلام بآخر ويُعكس كلمتاه ، كقولهم : « عاداتُ السادات ساداتُ العادات ، وكلام الملك مَلكُ الكلام » ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجِ الحىَّ من الميّتِ ويُخرج الميتَ من الحيِّ ﴾ (٥١) .

وقول الشاعر (٥٢) :

فردَّ شعورَهُنّ السودَ بيضاً وردّ وجوهَهُنَّ البيضَ سودا

وقول الحسن البصرى : « إنّ مَن خَوَّفك حتى تلقَى الأمْنَ ، خيرٌ ممن أمَّنك حتى تلقَى الخوف » .

وقول أبى الطيب (٥٣) :

فلا مَجْدَ فى الدنيا لمن قلَّ مالُه ولا مالَ فى الدنيا لمن قلّ مجدُه

---

(٥٠) اليمين الغموس : هى اليمين الكاذبة التى يتعمدها صاحبها ، وأبو اسحق الصابى : هو إبراهيم بن هلال .

(٥١) سورة الروم آية ١٩

(٥٢) البيت لعبد الله بن الزبير الأسدى . ديوانه ١٤٤ وفى الحماسة ، ٩٤١/٢ وزهر الآداب ٥٧/٢ ، وفى عيون الأخبار منسوبة إلى فضالة بن شريك ٦٧/٣ .

(٥٣) البيت من قصيدة يمدح فيها كافوراً ومطلعها :

أودُّ من الأيام ما لا توده وأشكو اليها بيننا وهى جنده

(ديوانه ٢٣/٢)

وقول الآخر (٥٤) :

إنّ الليالِـــىَ للأنامِ مناهــلٌ ... تُطْوَى وتُنشَرُ دونها الأعمارُ

فقِصارُهن مع الهموم طويلةٌ ... وطِوالُهــن مع السرور قِصارُ

إشارة : إلى الإرصاد والنقض :

الإرصاد : أن ينبه صدرُ الكلام على عَجُزه بعد معرفة الفِقرة أو الروىّ كقوله تعالى : ﴿ وما كانَ اللّهُ لِيظْلِمَهُمْ ولكنْ كانوا أَنفسَهُمْ يَظْلِمُون ﴾ (٥٥)

وقول زهير (٥٦) :

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ ... ثمانين حَوْلاً - لا أبا لك - يسْأَمِ

وقول البحترى (٥٧) :

أبكيكُمَا دمْعــاً ، ولو أنىّ على ... قدْرِ الجَوَى أبكى ، بكَيْتُكُمَا دمَا

والنقض : أن ينقض أخيراً ما أثبته أولاً ، كقول زهير (٥٨) :

قِفْ بالدّيار التــى لم يَعْفُها القِدمُ ... بلَــى ، وغيّـــرها الأرواحُ والدِيَمُ

/٧٢ أ / وقول الحماسى (٥٩) :

أليس قليـــلاً نظـــرةٌ إنْ نظرتُها ... إليـــك ؟ وكـــلّ ليس منك قليل

---

(٥٤) البيتان لعتاب بن ورقاء . والمناهل : أماكن النهل التى يشرب منها أولاً .

(٥٥) سورة العنكبوت آية ٤٠ .

(٥٦) البيت من معلقته ومطلعها :

أمِن أم أوفى دمنة لم تكلمِ ... بحومانـــة الدراج فالمتثلَّمِ

(٥٧) الجوى : الحزن والوجد ، والبيت من قصيدة يمدح فيها أحمد وابراهيم بن المدبر مطلعها :

أملحتى سلمى بكاظمة اسلما ... وتعلما ان الجــوى ما هجتما

(ديوانه ١٩٥٨/٣)

(٥٨) لم يعفها : لم يبلها ، والأرواح : الرياح ، والديم : المطر الدائم فى سكون . وهذا مطلع قصيدة يمدح بها هرم بن سنان المرى . ديوانه ص ١٤٥ .

(٥٩) البيت ليزيد بن الطثرية ، ولأعرابى من بنى عقيل ، الأغانى ٣١٨/٥

إشارة : إلى التورية :

هى أن يراد من لفظ له معنيان : أبعدهما .

إما لقرينة عقلية كقوله تعالى ﴿ الرحمنُ على العَرْشِ استَوى ﴾ (٦٠)

وقوله : ﴿ والسماءَ بنيناهَا بأَيْدٍ ﴾ (٦١)

أو لقرينة لفظية ، كقول بعض القضاة فى ربيع بارد (٦٢) :

كـأنَّ كانـونَ أَهْدى مِن ملابسه لشهـرِ آذارَ أنـواعاً مـن الحُلَلِ

أو الغزالة من طول المدى خَرِفتْ فما تفـرِّق بيـن الجدْىِ والجمَل

وقول الآخر :

حملناهـمُ طراً على الدُهْم بعد ما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا (٦٣)

وقول ابن الربيع (٦٤) :

لولا التطيُّـرُ بالخلاف ، وأنهمْ قالـوا : مريضٌ لا يعودُ مريضا

لقضيتُ نحْبى فى فِنائِكَ خدمةً لأكـون مندوباً قضـى مفروضا

وقد ظن بعضهم أن قول الحماسى (٦٥) :

فلمـا نـأت عنّا العشيرةُ كلّها أنخْنا ، فحالفْنا السيوفَ على الدهرِ

فما أسلمْتنا عنـد يـوم كريهة ولا نحن أغضيْنا الجفونَ على وِتْرِ

---

(٦٠) سورة طه آية ٥ . (٦١) سورة الذاريات ٤٧ .

(٦٢) هو القاضى الامام أبو الفضل عياض السبتى كما ورد فى الإيضاح للقزوينى ، وتحرير التحبير ص ٢٧٠ . (٦٣) الدهم : قيود الحديد .

(٦٤) ابن الربيع : هو عبد الله بن العباس بن الفضل المعروف بابن الربيع .

(٦٥) البيتان ليحيى بن منصور ، وأنخنا : أقمنا وكان حليفنا السيف بدلاً من العشيرة والأقارب . والوتر : الثأر .

قال أبو رياش : البيت لموسى بن جابر الحنفى . الحماسة ٣٢٦/١ .

من التورية ، وليس كذلك ، بل هو من الكناية ؛ فإن الجفون - جفون العين - كناية عن إغماد السيوف ، لا أنه أراد جفون السيف ووَرّى (*) .

إشارة : إلى المزاوجة ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم :

أما الأول : فهى : أنْ تزاوج بين معنيين فى الشرط ، ويبنى الجزاء عليهما كقول البحترى :

إذا ما نَهَـــى الناهى فَلَجَّ بى الهَوَى   أصاختْ إلى الواشى فلجَّ بها الهجْرُ (٦٦)

وقوله أيضا :

إذا احتـــربتْ يـــوما ففاضتْ دماؤُها   تذكَّرَتِ القربى ففاضتْ دموعُها (٦٧)

وأما الثانى : فهو أن يجمع بين شيئين فى حكم واحد ، كقوله تعالى : ﴿ المالُ والبنونَ زينةُ الحياة الدنيا ﴾ (٦٨) وقول الشاعر :

إنْ الشبابَ والفـــراغَ والجِـــدَة   مفسدةٌ للمرء أىُّ مفسدة (٦٩)

وأما الثالث : فهو ايقاع التفرقة بين أمرين من نوع واحد ، كقول الشاعر :

ما نـــوالُ الغمامِ وقتَ ربيـــعٍ   كنوال الأمير يومَ سخاءِ (٧٠)

(*) يقصد بذلك الخطيب القزوينى صاحب الايضاح حيث اعتبر البيتين من المشاكلة ص ٥٠٠ ط بيروت .

(٦٦) لج بى الهوى : استبد . والبيت من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان مطلعها :

متى لاح برق ، أو بدا طلل قفر   جـرى مستهل لا بكئ ولا نزر

(ديوانه ٢/٨٤٤)

(٦٧) البيت من قصيدة للبحترى فى مدح المتوكل حين قام بالصلح بين بنى تغلب ومطلعها :

مُنى النفس فى أسماء لو تستطيعها   بها وجـــدتها مـــن غـــادة وولوعها

(ديوانه ٢/١٢٩٩)

(٦٨) سورة الكهف آية ٤٧ .

(٦٩) الجدة : الغنى . ديوان أبى العتاهية ٤٩٣ ط بيروت سنة ١٩٨٦

(٧٠) البدرة : كيس به ألف دينار أو عشرة الاف درهم ، والعين : الذهب أو الفضة . والبيتان لرشيد الدين المعروف بالوطواط واسمه محمد بن محمد بن عبد الجليل البلخى توفى سنة ٥٧٣ وله ديوان شعر حدائق السحر ١٧٨ .

/ فنـــوالُ الأميـــر بَـدْرةُ عينٍ ونـــوال الغمام قطـــرةُ ماءِ /٧٢ ب

وقول الآخر :

مَـــن قاس جَـــدْواكَ بالغمـــام فما أنصف فى الحكْم بين شكلين (٧١)

أنت إذا جُـــدتَ ضاحِـــكٌ أبـداً وهُـــوَ إذا جـــاد هامِـل العيـــن

وأما الرابع : فهو ذكر متعدد ثم ذِكر كل واحد منه بصفة كقول أبى تمام (٧٢) :

فما هـو الا الوحىُ أو حدُّ مُرهِفٍ تُميـــل ظُباه أخدَعَـــىْ كـــلِّ مائلِ

فهـــذا دواء الداء مـــن كل عالمٍ وهـــذا دواء الداء من كل جاهلِ

وأما الخامس : فهو أن يُجمع معنيان فى لفظ واحد ، ثم يفرِّق ، كقوله تعالى : ﴿ وجعلنا الليلَ والنهار آيتين ، فمحَونا آية الليلِ ، وجعلنَا آية النهارِ مُبْصِرَةً ﴾ (٧٣) .

وقول الشاعر (٧٤) :

فوجهكَ كالنار فى ضوئها وقلبِـــىَ كالنار فـــى حَرِّها

وأما السادس : فهو أن يجمع متعدد فى حكم ثم يقسم ، أو يقسم ثم يجمع : فالأول كقول أبى الطيب (٧٥) :

---

(٧١) الجدوى : العطاء ، والبيتان للوأواء الدمشقى محمد بن أحمد ، ديوانه ٢٢٢ .

(٧٢) الظباة : جمع ظبة وهى حد السيف ، والأخدعان : عرقان فى صفحتى العنق . والبيت من قصيدة يمدح فيها المعتصم والآفشين مطلعها :

غـــدا الملك معمور الحرا والمنازل منور وحف الروض عذب المناهل

(ديوانه ٨٦/٣)

(٧٣) سورة الإسراء آية ١٢ .

(٧٤) البيتُ لرشيد الدين الوطواط (حدائق السحر ١٧٩ وأنوار الربيع ١٧١/٥ ، ومعاهد التنصيص ٤/٣) .

(٧٥) الأرباض : ما يكون حول المدينة من الضواحى ، الخرشنة : بلدة بالروم ، والبيع : معابد النصارى . والبيت من قصيدة للمتنبى يمدح فيها سيف الدولة مطلعها :

غيـــرى بأكثـــر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدَّثوا شجعوا

(ديوانه ٢٢٤/٢)

حتى أقام على أرباضِ خَرْشَنةٍ تشقَى به الرومُ والصُّلْبانُ والبِيَعُ

للسَّبْيِ ما نكحوا ، والقتلِ ما ولدوا والنهبِ ما جمعوا والنارِ ما زرعوا

أجمل فى البيت الأول شقاء الروم ، ثم فصّله فى الثانى .

والثانى كقول حسان (٧٦) :

قومٌ إذا حاربوا ضَرّوا عدوهمُ أوْ حاولوا النفْعَ فى أشياعهم نَفَعوا

سجيّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثَةٍ إن الخلائق - فاعلم - شرُّها البِدَعُ

قسّم فى البيت الأول صفة الممدوحين ، ثم جمعها فى الثانى حيث قال : سجية تلك .

وأما السابع : فكقوله تعالى : ﴿ يومَ يأتِى لا تَكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذنه ، فمنهمْ شقىٌّ وسعيد ، فأما الذين شُقُوا ففى النارِ لهم فيها زفير وشَهيق ، خالدين فيها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ إلا ما شاء ربّك ، إنّ ربكَ فَعّال لما يُريد ، وأما الذين سُعِدوا ، ففى الجنة خالدين فيها ما دامتِ السمواتُ والأرض إلا ما شاءَ ربُّك ، عَطَاءً غَيرُ مَجْذوذٍ ﴾ (٧٧) .

فإن فيها الجمع ، وهو قوله : لا تُكلم نفس ، فإن (نفس) لوقوعها فى سياق النفى تعمّ .

والتفريق ، وهو قوله : فمنهم شقى وسعيد .

والتقسيم ، وهو قوله : فأما الذين شقوا إلى آخر الآية الثانية .

إشارة : إلى اللف والنشر :

وهو أن يُذكر متعدد ، ثم يُتمّ بمتعدد آخر إما على ترتيبه ، كقوله تعالى :

---

(٧٦) الأشياع : الأتباع ، السجية : الخلق والطبع . والبيتان من قصيدة مطلعها :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنةً للناس تتبع

ديوان حسان ص ٢٣٨ ط الهيئة المصرية . دلائل الإعجاز ص ٧٤

(٧٧) سورة هود آية ١٠٥ - ١٠٨

﴿ وَمِنْ رحمته جعلَ لكمُ الليلَ والنهارَ لتسكنُوا فيه ولتَبتغوا مِنْ فَضْله ﴾ (٧٨)

وقول ابن حيّوس (٧٩) :

فعْلُ المدام ، ولونُها ومذاقها ... فى مقلتيه ووجنتيه ، وريقهِ

/ أو على غير ترتيبه ، كقول ابن حيّوس : /٧٣ أ

كيف أسلو وأنت حِقْفٌ ، وغُصنٌ ... وغزال : لحظاً ، وقَدّاً ، وردِفا ؟ (٨٠)

وقول الفرزدق (٨١) :

لقد خنتَ قوماً لو لجأت إليهمُ ... طريدَ دمٍ ، أو حامـلاً ثِقْلَ مَغرمِ

لألْفيْتَ فيهم مُعطياً أو مُطاعنا ... وراءك شَزْرا بالوشـيج المقوّمِ

إشارة : جاء التقسيم على وجهين آخرين :

أحدهما : أن يُذكر لشئ أحوال ، ثم يوصف باعتبار كل حال بصفة . كقول أبى الطيب (٨٢) :

سـأطلب حقى بالقَنا ومشـائخٍ ... كأنهمُ من طول ما التثموا مُرْدُ

ثقالٍ إذا لاقَوا ، خِفافٍ إذا دُعُوا ... كثيرٍ إذا شَدُّوا ، قليلٍ إذا عُدُّوا

---

(٧٨) سورة القصص آية ٧٣ .

(٧٩) المدام : الخمر ، مقلتيه : عينيه ، وابن حيوس : هو أبو الفتيان محمد ابن سلطان .

(٨٠) الحقف : كثيب الرمل ، والردف : العجيزة . والبيت للعسكرى فى الصناعتين ٣٤٦ ، ولابن حيوس فى الإيضاح ٣٥٦/٢

(٨١) طريد دم : قاتلاً مطارداً ، حاملا ثقل مغرم : وما لا طاقة له به ، شزرا : الضرب يمينا وشمالا ، الوشيج المقوم : الرماح المعتدلة المنتصبة . والبيتان للفرزدق من قصيدة مطلعها :

وقائلـة ، والدمـع يحـدر كحلها ... لبئس المدى أجرى اليه ابن ضمضم

والشطرة الأولى من البيت الثانى كما فى الديوان : « لألفيت فيهم مطعنا ومطاعنا » .

(٨٢) القنا : الرماح ، التثموا : لبسوا لثام الحرب ، مرد : جمع أمرد ، وهو الشاب الذى لم تنبت لحيته . شدوا : حملوا على أعدائهم . والبيتان من قصيدة يمدح فيها محمد بن سيار مطلعها :

أقـل فعـالى ، بله أكثره مجد ... وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد

(ديوانه ٣٧٣/١)

وقوله أيضا (٨٣) :

بدتْ قمراً ، ومالتْ خُوطَ بانٍ   وفاحتْ عنبراً ، ورنتْ غزالاً

وثانيهما : استيفاء أقسام الشئ ، كقوله تعالى : ﴿ ثم أورَثْنا الكتابَ الذين اصطَفينَا من عبادِنا فمنهمْ ظالمٌ لنفسِه و منهمْ مُقْتَصِدٌ ومنهم سابِقٌ بالخَيراتِ بإذن اللّهِ ﴾ (٨٤)

وكما حُكى عن أعرابى وقف على حلقة الحسن فقال : « رحم اللّه من تصَدَّق من فَضْل أو آسى (٨٥) من كَفاف أو آثر من قُوت » فقال الحسن : « ما ترك لأحد عذرا » .

وقول زهير : (٨٦)

وأعلمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قبلَه   ولكننى عن عِلْمِ ما فى غدٍ عَمِى

إشارة : إلى التجريد :

هو أن يقدِّر لشئ صفاتٌ ثم يُنزع منها صفة ، كقولك : « لى من فلان صديقٌ حميم » أى : له صفات مِن جملتها الصداقة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لهم فيها دارُ الخُلْدِ ﴾ (٨٧) أى : من جملة صفات جهنم أنها دار الخلد للكفار ، أى يخلدون فيها . وقول الحماسى (٨٨) :

---

(٨٣) الخوط : القضيب ، والعنبر : ضرب من الطيب . والبيت من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار مطلعها :

بقائى شاء ليس هُمُ ارتحالا   وحُسْنُ الصبر زمّوا لا الجِمالَ

(ديوانه ٣/٢٢١)

(٨٤) سورة فاطر آية ٣٢ .

(٨٥) فى الأصل : أو واسى من كفاف .

(٨٦) البيت من معلقة زهير ، وفى الديوان : « وأعلم ما فى اليوم » ص ٢٨ .

(٨٧) سورة فصلت ٢٨ .

(٨٨) البيت لقتادة بن مسلمة الحنفى ، وفى الحماسة ص ٧٧٠ :

فلئــن بقيت لأرحلن بغزوة   نحو الغنائم أو يموتَ كريم

(نهاية الأرب ٧/١٥٦)

فلئن بقيتُ لأرحلنّ بغزوة تحوِى الغنائمَ أو يموتَ كريمُ

أى : أو يموت منى رجل كريم من جملة صفاتى .

وقد يُذكر المنتزع منه ويضمر المنتزع كقولك : « لئن سألتَ فلانا لتسألنّ به بحرا » أى : جرّدْ وانتزع حاجتك من صفاته ، فإنه بحر ، والبحر يوجد فيه كل الحوائج .

إشارة : إلى المبالغة :

الوصف المبالَغ فيه : إما أن يكون ممكنا أوْ لا .

والأول إن كان ممكنا فى العادة ، سمى : التبليغ ، كقول امرئ القيس (٨٩) :

/ فعادَى عِداءً بين ثَور ونعْجةٍ دراكاً ولَمْ يُنْضَحْ بماء فيُغْسَلِ /٧٣ ب

وصف فرسه بأنه أدرك ثوراً ونعجة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق ، وهذا ممكن عادةً وعقلاً .

وإن لم يمكن فى العادة وأمكن فى العقل ، سمى : بالإغراق ، كقوله (٩٠) :

ونكـــرِمُ جــارَنا ما دام فينا ونُتبعه الكــرامةَ حيثُ مالا

والثانى : يسمى بالغُلُوِّ ، كقول أبى الطيب (٩١) :

عقدتْ سنابكُها عليــه عَثْيرا لو تبتغى عَنَقاً عليه لأمكنا

---

(٨٩) البيت من معلقته ، ديوانه ص ٢٢ ، لم ينضح بماء : لم يعرق .

(٩٠) البيت لعمير بن الأهتم التغلبى وهو الملقب بأعشى تغلب . وفى نقد الشعر حيث سار . حماسة أبى تمام شرح البرقوقى ١٣٨٥ . نقد الشعر ص ٨٤ قدامه ط ١ .

(٩١) عثيرا : غبارا ، عنقا : السير السريع ، وفى الديوان « لو تبتغى عنقاً عليه أمكنا » والبيت من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ويعتذر له عن تخلفه . ومطلعها :

الحب ما منع الكلامَ الألسنا وألذُّ شكوى عاشق ما أعلنا

(ديوانه ٤/٢٠٤)

وقول أبى نواس (٩٢) :

وأَخَفتَ أهلَ الشرك حتى إنه لتخافُك النُطَفُ التى لم تُخْلَقِ

وقول الآخر : (*)

أسكرُ بالأمس إن عزمتُ على الشرب غدا ، إنَّ ذا من العجَبِ

بالغ الأول فى شدة الغبار ، وبالغ الثانى فى شدة الإخافة ، وبالغ الثالث فى شدة الإسكار ، بأوصاف ممتنعة عادةً وعقلا .

وقد يخرج من حد الغلوّ : إما بلفظة يكاد ، كقوله تعالى : ﴿ يكادُ زيْتُها يُضىءُ ولوْ لمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (٩٣) وقول الشاعر فى وصف فرسه (٩٤) :

ويكادُ يخرج سُرْعةً عن ظله لو كان يرغب فى فِراق رفيقِ

أو بنوع من التخييل ، كقول القاضى الأرّجانىّ يصف طول ليلته :

يُخَيّلُ لى أنْ سُمِّرَ الشهْبُ فى الدجى وشدّت بأهدابــى إليهن أجفانى (*)

إشارة : إلى المحاجّة :

وهى ادعاء شئ مع الحجّة عليه ، وهى كثيرة فى القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ ولَوْ شَاءَ ربُّكَ لجَعلَ الناسَ أُمَّةً واحدةً ولا يزالون مُخْتَلفين ﴾ (٩٥) هى مقدمة شرطية وملزوم المقدمة الاستثنائية ، والنتيجة : لم يشأ ربك أن يكون الناس أمة واحدة ، بل جعل بعضهم فوق بعض درجات ؛ لاقتضاء الحكمة ذلك ، وبينتُ ذلك فى رسالة : (الرحمة فى اختلاف الأمة) على وجهٍ لا مزيد عليه .

---

(٩٢) من قصيدة يمدح بها هرون الرشيد مطلعها :

خلق الشبابُ وشرتى لم تخلق ورميتُ فى غرض الزمان بأفوق

(ديوانه ٢٥٨ ط الاستقامة)

(*) البيت لا يعلم قائلة ، وقد أخرجه مخرج الهزل والخلاعة ، وهو منسوب لأبى نواس فى نفحات الأزهار ٢٠٧ .

(٩٣) سورة النور آية ٣٥ .

(٩٤) البيت لابن حمديس الصقلى : أبى محمد عبد الجبار بن أبى بكر .

(*) الشهب : الكواكب ، أراد أن الكواكب لا تبرح مكانها ولا تختفى . والتعبير كناية عن الليل الطويل . [ديوانه ٣ /١٤١٧ بغداد] .

(٩٥) سورة هود آية ١١٨ .

وكقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فيهمَا آلهةٌ إلا اللّه لفَسدتا ﴾ (٩٦) « وهى مقدمة شرطية ، والاستثنائية هى نقيض التالى ، أى : لكن لم تفسد السموات والأرض، تنتج : ليس فيها إله غير اللّه . وبيان الملازمة ما ذكره المتكلمون ، وسموه « برهان التمانع » .

/ وكقوله تعالى : ﴿ قالوا ما أنزلَ اللّه على بشرٍ من شئٍ قلْ مَنْ أنزلَ الكتابَ الذى جاءَ بهِ موسى ﴾ (٩٧) ناقض السالبة الكلية بالموجبة الجزئية . ٧٤/أ

وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِم يُعَذّبُكُمْ بِذُنوبِكُمْ ﴾ (٩٨) أراد : أنتم تعذّبون ، والبنون لا يعذّبون ، ينتج من الشكل الثانى : أنتم غير بنين .

وكقوله تعالى : ﴿ فلمَّا أفَل قال لا أحبُّ الآفلين ﴾ (٩٩) أراد : القمر أفل ، وربى ليس بآفل ، فالقمر ليس بربى .

إشارة إلى التعليل :

هو أن يذكر لوصف علة مناسبة لا فى نفس الأمر ، وهو أربعة أقسام :

الأول : ما لا يظهر له فى العادة علة ، كقول أبى تمام (١٠٠) :

لا تُنكرى عَطلَ الكريمِ مِنَ الغِنى فالسيلُ حربٌ للمكان العالى

جعل كون السيل حرباً للمكان العالى ، علةً لكون الغنى حرباً للكريم ، فإن نسبة الغنى إلى الكريم كنسبة السيل إلى المكان العالى كالجبال والتلال .

الثانى : ما يظهر له علة غير المذكورة ، كقول أبى الطيب (١٠١) :

ما به قتْل أعاديه ، ولكن يَتّقى إخْلافَ ما ترجو الذئابُ

---

(٩٦) سورة الانبياء آية ٢٢
(٩٧) سورة الانعام آية ٩١
(٩٨) سورة المائدة آية ١٨
(٩٩) سورة الأنعام آية ٧٦ .

(١٠٠) عطل الكريم من الغنى : خلوه وفقره . والبيت من قصيدة يمدح فيها الحسن بن رجاء مطلعها :

كفى وغاك فإننى لك قالى ليست هوادى عزمتى بتوالى

{ ديوانه ٧٧/٣ }

(١٠١) البيت من قصيدة للمتنبى فى مدح بدر بن عمار مطلعها :

إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب

{ شرح ديوانه ١٤٤/١ ، والأسرار ص ٣٣٧ }

جعل علة قتل الممدوح أعداءه ما فيه من طبيعة الكرم حتى يقصد فى قتله الأعداء ضيافة الذئاب ، لا الانتقام من الأعداء .

ومنه قول أبى طالب المأمونى (١٠٢) فى مدح بعض الوزراء ببخارى :

مُغْرَمٌ بالثناء ، صَبٌّ بكسْبِ الـ ... مجـد يهتـز للسماح ارتياحَا

لا يـذوق الإغفـاءَ إلا رجـاءً ... أن يَـرى طيفَ مستميحٍ رواحا

جعل علةَ نوم الممدوح رؤيته طيف المستميح ؛ لما فى طبيعته من ملكة الكرم .
ومنه قول ابن المعتز (١٠٣) :

قالوا اشتكت عينُه ، فقلت لهم : ... مِـن كثـرة القتل نالها الوصَبُ

حُمْـرَتُها مِـن دماء مَن قتلتْ ... والدم فـى النصـل شاهدٌ عجَبُ

وقول الآخر (١٠٤) :

أتتنـى تـؤنِّبنـى بالبُكا ... فأهـلاً بهـا وبتـأنيبها

وتقول : - وفى قولها حشمةٌ - ... أتبكـى بعيـنٍ ترانى بها ؟

فقلت : إذا استحسنتْ غيـركمُ ... أمـرتُ الدمـوع بتـأديبها

الثالث : أن يراد إثباتُ صفة ممكنة بعلة غير معهودة ، كقول مسلم بن الوليد (١٠٥) :

يا واشياً حَسُنتْ فينا إساءتُهُ ... نجّى حِذارُكَ إنسانى مِن الغرق (١٠٦)

---

(١٠٢) فى الأصل : قول أبى طالب المانوى وصحته المأمونى نسبة إلى الخليفة المأمون وهو عبد السلام بن الحسين المتوفى سنة ٣٨٣ هـ . والصب : المحب ، السماح : الجود والعطاء . المستميح : طالب العطاء . رواحا : ليلاً . والبيتان فى أسرار البلاغة ٣٣٨ ط الاستقامة .

(١٠٣) الوصب : الألم والمرض ، النصل : السيف .

(١٠٤) الأبيات مذكورة فى أسرار البلاغة وغير منسوبة إلى قائل ص ٣٤٢ ، والأنوار ٧٥٥ .

(١٠٥) هو مسلم بن الوليد من أبناء الأنصار عرف بالمدح ولقب بصريع الغوانى ، وتولى بريد جرجان فى خلافة المأمون الشعر والشعراء ص ٨٣٢ .

(١٠٦) الواشى : الذى يفشى الأسرار . الحذار : الخوف . إنسانى : العين أو سوادها . والبيت فى ذيل الديوان ص ٣٢٨ ط دار المعارف . وفى الشعر والشعراء ٨١٥/٢ وفى طبقات الشعراء ص ١١١ .

/ يريد اثبات إحسان الواشى ، وهو صفة ممكنة ، معللة بعلة غير معهودة ، ٧٤/ب وهى : أن حذاره منه كان سبباً لسلامة إنسان عينه من الغرق فى الدموع .

الرابع : أن يراد إثبات صفة غير ممكنة بعلة معهودة ، كقوله (١٠٧) :

لو لم تكن نيّةُ الجوزاء خدمتَهُ   لما رأيت عليها عِقدَ منُتطِقِ

أراد : أن الجوزاء منطوقة على نية خدمة الممدوح ، وهى صفة غير ممكنة ، معَللة بعلة معهودة ، وهى عقد المنطقة فى وسطها ، فإن ذلك هو المعهود من الخدّام .

إشارة : إلى تأكيد المدح بالاستثناء المنقطع ، سواء كان الاستثناء عن سلب ذم ، أو عن إثبات مدح :

والأول : كقول النابغة الذبيانى (١٠٨) :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم   بهـــنّ فُلول من قِراع الكتائبِ

وقوله تعالى : ﴿ لا يَسْمَعُون فيها لَغْواً ولا تأثيماً إلاّ قيلاً سَلاَماً سلاما ﴾ (١٠٩) .

وقوله : ﴿ وما تَنْقِمُ منّا إلاّ أنْ آمنّا بآيات ربّنا ﴾ (١١٠) .

والثانى : كقوله عليه السلام : « أنَا أفْصحُ العرب بَيْد أنّى من قريش » .

وكقول النابغة الجعدى (١١١) :

فتًى كَمُلَتْ أخلاقُه ، غيرَ أنه   جَوادٌ ، فما يُبقِى من المال باقيا

---

(١٠٧) الجوزاء برج فى السماء تحيط به نجوم تسمى نطاق الجوزاء ، والمنتطق : ما يشد فى الوسط من حبل أو عقد أو خلافه . مترجم عن الفارسية وانظر المطول ٤٣٧ .

(١٠٨) الفلول : جمع فل وهو الثلمة والكسر ، قراع الكتائب : مضاربة الجيوش بعضها لبعض . والبيت من قصيدة مطلعها :

كِلينى لهم يا أميمة ، ناصب   وليل أقاسيه ، بطئ الكواكب

[ديوانه ص ١١ . والطراز ١٣٦/٣]

(١٠٩) سورة الواقعة آية ٢٥ ، ٢٦   (١١٠) سورة الأعراف آية ١٢٦ .

(١١١) هو عبد الله بن قيس المعروف بالنابغة الجعدى ، وهو شاعر مخضرم مات وعمره ٢٢٠ سنة ، ديوانه ١٧٤

ووجه التأكيد فى الكل أمر واحد ، وهو : ألاّ تدل بمفهومه على استيفاء جزئيات المستثنى منه ، فإذا ذُكر بعدها ما يُظن أنه داخل فيه ، وليس بداخل فى الحقيقة ، عُلم أنه لو كان صفة ذم ، لكان أولَى بالذكر مما يشبه الذم ، فيعلم المدح بطريقتين : منطوق ومفهوم ، وهو التأكيد ، ولهذه النكتة قيل : إنّ قول عمر فى على : (للّه درّه لولا دعابةٌ فيه) إنه تأكيد المدح فى الحقيقة ؛ لأن الدعابة لا تنافى الخلافة ، على خلاف ما اعتقده القائل ، فيدل بالمفهوم على أنه لو كان فى علىّ صفة ذم بالإطلاق ، لكان أولى بالذكر مما يُظن أنه ذم .

إشارة : إلى الاستتباع ، والإدماج ، والتوجيه :

أما الأول : فهو مدح الرجل بشئ على وجه يستلزم مدحاً آخر ، كقول أبى الطيب (١١٢) :

نهبْتَ من الأعمارِ ما لوْ حويتَهُ   لهُنِّئَت الدنيا بأنــــك خــــالدُ

/٧٥ أ / مدحه بالشجاعة بسبب استلزام كثرة القتل إياها ، ثم أتبعه بأنه لو حوى تلك الأعمار المنهوبة لنفسه لعُمِّر فى الدنيا تعميراً يهنئ به الدهر ؛ لأنه سبب صلاح الدهر بقتل مفسديه .

وأما الثانى : فهو تضمين الكلام معنًى غيرَ ما سيق له ، وهو أعمُّ من الأول ، كقول أبى الطيب (١١٣) :

أقلّبُ فيه أجفانِى ، كأنى   أعُدُّ بها على الدهر الذّنوبا

يصف طول الليل ، وضمنه الشكاية عن الدهر . وقول ابن المعتز (١١٤) :

قد نفض العاشقون ما صنع الـ   هجــرُ بألوانهـــم علـى ورقَهْ

---

(١١٢) هو من قصيدة للمتنبى فى مدح سيف الدولة مطلعها :

عواذل ذات الخال فىّ حواسد   وإن ضجيْع الخود منى لماجد

{ ديوانه ١/ ٢٧٧ }

(١١٣) فى الديوان : أعد به ، والبيت من قصيدة يمدح فيها على بن محمد بن سيار مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضروبا   فأعــذَرُهـــم أشفهم حبيبا

{ ديوانه ١/ ١٤٠ }

(١١٤) لم أعثر على البيت فى ديوان ابن المعتز ط بيروت ١٩٦١ .

يصف الخيريّ [115] بلون الصفرة ، وضمنه فعل الهجر بالعاشقين .

وقول ابن نباته :

ولا بــدَّ لـــى من جَهلةٍ فى وِصاله   فمنْ لى بِخِلٍّ أودِعُ الحِلم عندهُ ؟ [116]

ذكر العزل وضمَّنه افتخاره بالحلم ، وأنه لو وجد من يصلح للودائع ، أودع عنده حلمه ريثما ينقضى وطره من جهالات العشاق .

وأما الثالث : فهو أن يكون الكلام محتملاً لوجهين مختلفين كقوله لأعور [117] :

خاط لى عَمْرو قَباءً   ليت عينيــه ســواء

قال الزمخشرى : ومنه قوله تعالى : ﴿ واسمعْ غَير مُسْمَعٍ وَراعنَا ﴾ [118] يحتمل المدح أى : اسمع حال كونك غير مسمع مكروهاً من قولهم : أسمعت فلانا مكروها ، ويحتمل الذم أى : اسمع مدعواً عليك بلا سمعتَ ، وكذا قوله (راعنا) يحتمل معنيين :

أحدهما : أقبِل علينا بقلبك .

والآخر : أن تكون كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابّون بها [119] .

إشارة : إلى التجاهل :

وهو إما للتوبيخ ، كقول الخارجية :

أيا شجَــرَ الخابـورِ ما لكَ مُورقا ؟   كأنك لم تجزع على ابن طريفِ [120]

---

(115) الخيرى : ورد أصفر .

(116) الخِل : الصديق . والبيت لابن نباتة السعدى : أبى نصر عبد العزيز بن عمر . ديوانه 1/338

(117) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب ، والبيت لبشار بن برد ، وهو أحد بيتين قالهما فى خياط أعور اسمه عمرو . { ديوانه ص 12 } .

(118) سورة النساء آية 47 .   (119) الكشاف 1/400 .

(120) الخابور : نهر بديار بكر فى العراق . والخارجية : ليلى بنت طريف ترثى أخاها الوليد . { الحماسة البصرية 1/229 }

أو للمدح ، كقول البحترى (١٢١) :

أَلَمْعُ برقٍ سَرَى ، أم ضَوْءُ مصباح   أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى ؟

أو للذم ، كقول زهير (١٢٢) :

وما أدرى - وسوف إخال أدرى -   أقــومٌ آلُ حصـــن أم نساءُ ؟

أو للتشبيه كقول ذى الرمة (١٢٣) :

أيا ظبية الوعساءِ بين جلاجل   وبين النقا ، أأنت أمْ أمُّ سالم ؟

/٧٥ ب /أو للتعريض ، كقوله تعالى : ﴿ وإنّا أوْ إياكُمْ لعلى هُدًى أوْ فى ضَلَالٍ مبينٍ ﴾ (١٢٤) .

أما وأنكم لو افتكرتم فى أنفسكم وطرحتم الهوى والعوائد فيما أنتم عليه من ارتكاب الفواحش والمحرمات ، وفيما النبى وأصحابه عليه من أعمال الخير والأمور النافعة فى الدين والدنيا ، لعلمتم أنكم على الضلال ، ونحن على الهداية .

إشارة : إلى القول بالموجب :

هو : تصديق كلام الغير وحَمْله على وجه آخر ، كقوله (١٢٥) :

قلتُ : ثَقَّلْتُ إذْ أتيتُ مِـرارا   قـال : ثقّلتَ كاهلى بالأيادى

قلتُ : طوَّلْتُ ، قال : لا ، بـل تطَوّلتَ   وأبرمتُ ، قال : حبـلَ وِدادى (١٢٦)

---

(١٢١) والبيت مطلع قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان . { ديوان ١/٤٤٢ } .

(١٢٢) من قصيدة مطلعها :

عفا مِن آل فاطمة الجواء   فيمْــنُ فالقوادم فالحساء

{ ديوانه ص ٧٣ }

(١٢٣) الوعساء : الرابية اللينة من الرمل ، وجلاجل والنقا : موضعان .

(١٢٤) سورة سبأ آية ٢٤ .

(١٢٥) البيتان للحسن بن أحمد المعروف بابن حجاج الشاعر الهازل ، وينسبان لمحمد بن إبراهيم الأسدى اليتيمة ٣/١٨٠ . والكاهل : مقدم أعلى الظهر . بديع القرآن ٣١٥ ونهاية الأرب ٧/١٧١

(١٢٦) ذكر المؤلف أن صواب البيت الثانى :

قـــال : طـوّلتُ ، قلت : أوليتَ طولا   قال : أبرمتُ ، قلت : حبل ودادى

والاستشهاد فى : ثقّلت وأبرمت ، لا فى طولت وتطولت .

وقول القاضى الأرّجانّى :

غالطتْنــى إذ كستْ جسمــىَ الضنا كُســوةً عــرَّتْ مــن اللحم العظاما

ثــم قالت : أنت عنــدى فى الهوى مثلُ عينى ، صدقتْ ، لكنْ سَقاما (*)

ومنه قول ابن دويدة المغربى من أبيات يخاطب بها رجلاً أودع بعضَ القضاة مالاً فادَّعى القاضى ضياعه :

إن قال : قد ضاعت ، فيصدق ؛ إنها ضاعت ، ولكن منك يعنى لَوْ تعى

أو قال : قــد وقعتْ ، فيصدق ؛ إنها وقعتْ ولكــن منــه أحسنَ موقـع

وقول الآخر (١٢٧) :

وإخـــــوانٍ حسبتهـــمُ دُروعـــا فكانـــوها ، ولكـــن للأعـــادى

وخلتهــــمُ سهــــاما صائبـــاتٍ فكانــوها ، ولكــن فــى فؤادى

وقالــوا : قــد صفـت منا قلوبٌ لقد صدقــوا ولكــن مِن ودادى

إشارة : إلى الاطراد :

هو ذكر نسب إنسان على الترتيب ، كقول النبى ﷺ (*) . (الكريمُ بن الكريم بن الكريم : يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم) وقول دريد (١٢٨) :

قتلنــا بعبـــد الله خيـــرَ لِداته ذؤابَ بن اسماعيل بن زيد بن قارب

قيل : لما سمعه عبد الملك بن مروان ، قال : لولا القافية لبلغ به آدم .

وقول الآخر :

إن يقتلوك فقد ثَلَلْتَ عروشَهم بعُتَيْبَةَ بنِ الحارث بن شهابِ (١٢٩)

(*) نهاية الأرب ١٧١/٧

(١٢٧) الأبيات منسوبة لاكثر من شاعر ، فقد نسبت لابن الرومى وأبى العلاء ، ولعلى بن فضالة القيروانى (معاهد التنصيص ١٨٥/٣) .

(*) رواه عبد الله بن عمر عن النبى عليه السلام ، شرح صحيح البخارى للكرمانى ١٦٠/١٧ ط ١

(١٢٨) البيت لدريد بن الصمة ، وعبد الله المذكور فى البيت هو أخو دريد ، ولداته : أترابه . الأصمعيات ١١٨ .

(١٢٩) ثللت عروشهم : قوضتَ وهدمتَ ، والبيت لربيعة بن سعد ، وقيل لداود بن ربيعة الأسدى البغية ٧٢/٤

/٧٦ أ

الركن الثاني
/ في المحسنات اللفظية

وهي سبعة أقسام :

الجناس التام - الجناس الناقص - الملحق بالجناس - ردُّ العجز إلى الصدر - الأسجاع - التصريع - لزوم ما لا يلزم .

إشارة : الى الجناس التام :

وهو أن تتفق الكلمتان في الحروف عدداً وهيئةً وترتيباً .

فإن كانا من نوع واحد ، سمي : مماثلا ، كقوله تعالى : ﴿ ويومَ تقُومُ الساعةُ يُقسم المجرمون ما لَبِثُوا غيرَ ساعة ﴾ (١) . وقول أبي تمام (٢) :

إذا الخيلُ جابتْ قسطلَ الحربِ صدّعوا　　　صدورَ العوالي في صدور الكتائب

وقول الآخر :

حـــدقُ الآجـــالِ آجـالُ　　　والهوَى للمرء قَتَّالُ (٣)

الآجال الأول : جمع إجْل بكسر الهمزة ، وهو القطيع من بقر الوحش .

والثاني : عمر الحيوان أو منتهى عمره .

---

(١) سورة الروم آية ٥٥ .

(٢) جابت : قطعت واخترقت ، قسطل الحرب : غبارها ، صدعوا : حطموا . العوالي : الرماح، الكتائب : الجنود . والبيت لأبي تمام من قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلي مطلعها :

علـــى مثلها مـــن أربع وملاعب　　　أذيبت مصونات الدموع السواكب

{ ديوانه ٢٠٧/١ ، والصناعتين ص ٣٣٤ ، والطراز ٣٥٨/٢ }

(٣) حدق : جمع حدقة وهي سواد العين ، فاستعار حدق الآجال لعيون النساء التي تقتل من تصوَّب إليه سهامها . والبيت لأبي سعد عيسى بن خالد المخزومي . شعره /٤٨ . والبيت في التبيان ص ١٦٨ .

وإن كانا من نوعين ، سمى مستوفى ، كقول أبى تمام [٤] :

ما ماتَ مِن كرمِ الزمانِ فإنّه   يَحيَى لدى يحيى بن عبدِ اللّه

وقول الآخر [٥] :

وسميتهُ يحيى لِيحيى فلم يكنْ   إلى ردّ أمرِ اللّه فيه سبيلُ

وينقسم أيضا الجناس التام إلى بسيط ومركب :

فالبسيط قد تقدم ، والمركب على نوعين :

الأول : أن تكون إحدى الكلمتين مركبة من كلمة وبعضِ كلمةٍ أخرى ، ويسمى : مرفُواً ، كقول الحريرى [٦] :

ولا تلْه عن تَذكار ذنبك ، وابكه   بدمعٍ يُحاكى الوبْل حال مَصابِه

ومَثّل لعينيك الحُمامَ ووقعَهُ   وروعَةَ ملقاه وَمطعَم صابِه

والثانى : أن تتركب من كلمتين ، وتُشابه الأخرى فى الخط كقول أبى الفتح البستىّ [٧] :

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هِبهْ   فدعْه ، فدولته ذاهبه

والثالث : أن تتركب من كلمتين ولا تشابه الأخرى فى الخط ، كقول أبى الفتح أيضاً [٨] :

---

(٤) الشطر الأول فى الديوان : « من مات من حدث الزمان فإنه » . والبيت من قصيدة يمدح فيها يحيى بن عبد الله مطلعها :

احدى بنى بكر بن عبد مناه   بين الكثيب الفرد فالأمواه

{ ديوانه ٣٤٧/٣ ، والأسرار ص ٢٣ ، والتبيان ١٦٦ }

(٥) البيت لمحمد بن عبد الله بن كناسة الأسد فى رثاء ابنه يحيى . البديع لابن المعتز ٢٦ والصناعتين ٣٢٨ .

(٦) هو أبو محمد القاسم بن عبد الله المعروف بالحريرى صاحب المقامات المتوفى سنة ٥١٠ هـ . الوبل : المطر الشديد ، وقع الحمام : أثر الموت ، صابه : شجره المر . المقامة الرازية ١٥٨ .

(٧) البستى هو أبو الفتح على بن محمد ، وذا هبه : صاحب هبة وعطاء وذاهبة : بائدة . والبيت فى اليتيمة ٢٠٢/٤ وفى الطراز ٣٦٠/٢ ، ٣٦١ والاكسير فى علم التفسير ص ٣٢٤ ، والديوان ٢٢٨ .

(٨) الجام : الكأس ، مدير الجام : الساقى . الاكسير فى علم التفسير ص ٣٢٤ ، ومعاهد التنصيص ٢٢١/٣

كلّكُم قد أخذ الجا   مَ ، ولا جامَ لَنا

ما الذى ضرّ مديرَ الجامِ لو جاملَنا

وقول الآخر (٩) :

لا تَعرضنّ على الرواة قصيدةً   ما لم تبالغ قبلُ فى تهذيبها

فمتى عرضتَ الشعرَ غير مهذّبٍ   عدّوه منك وساوساً تهذِى بها

/٧٦ ب / **إشارة : إلى الجناس الناقص :**

وهو أن يختل قيد من القيود المذكورة فى التام .

فإن اختلفت الكلمتان فى الهيئة فقط ، سمى الجناس : مُحَرَّفا .

سواء كان فى الحركة فقط ، كقولهم : « جُبّةُ البُرد ، جُنّة البَرْد » (١٠) ومنه قوله تعالى : ﴿ ولقد أرْسَلْنَا فيهم منْذِرين ، فانظر كيفَ كان عاقبةُ المنذَرين ﴾ (١١) وأما قولهم : « الجَهول إما مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ » فليس من هذا الباب ، خلافاً للسكاكى (١٢) .

أو فى الحركة والسكون معاً ، كقولهم : « البدعةُ شَرَك الشِرْك » . وقول أبى العلاء (١٣) :

الحُسنُ يظهرُ فى شيئين رونقُهُ   بيتٌ من الشعرِ ، أو بيتٌ من الشَعر

وإن كان الاختلاف بزيادة الحرف فقط ، سمى : ناقصا .

سواء كان بحرف واحد ، إما فى أولها ، كقوله تعالى : ﴿ والتفّتِ الساقُ

---

(٩) البيتان لأبى حفص عمر بن على المطوعى . التهذيب : التنقيح ، الوساوس : المشاعر الشريرة الناتجة عن التخليط فى الكلام ، والهذيان : التخريف .

(١٠) البرد : ثوب مخطط ، جنة : وقاية .

(١١) سورة الصافات آية ٧٢ ، ٧٣ .   (١٢) المفتاح ص ٢٢٧ .

(١٣) البيت لأبى العلاء المعرى من قصيدة مطلعها :

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر   لعل بالجزع أعواناً على السهر

{ سقط الزند ص ٥٧ }

بالساق إلى ربّك يومئذٍ المساق ﴾ (١٤) .

أو فى وسطها كقولهم : « جَدّى جهْدى » .

أو فى آخرها ، كقول أبى تمام (١٥) :

يمّدون مــن أيدٍ عواصٍ عواصمٍ   تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ

وقول البحترى (١٦) :

لئن صدفتْ عنا فربُّت أنفسٍ   صوادٍ إلى تلك الوجوه الصوادفِ

ويسمى هذا : مطرّفا .

أو بحرفين ، كقول الخنساء (١٧) :

إن البكاء هو الشفا   ءُ من الجوى بين الجوانحِ

ويسمى هذا مذّيلا .

وإن كان الاختلاف فى نوع الحرف والوزن واحد ، سُمِّىَ مضارعا ، ويشترط أن يكون ذلك الحرف الواحد يقارب الآخَر فى المخرج .

أما فى الأول ، كقول الحريرى : « بينى وبين كِنّى ليلٌ دامس وطريق طامس »(١٨) .

أو فى الوسط ، كقوله تعالى : ﴿ وهمْ يَنْهَوْن عنه وينأون عنه ﴾ (١٩) .

---

(١٤) سورة القيامة آية ٢٩ ، ٣٠

(١٥) عواص : أبيّات ، عواصم : حوافظ ، قواض ، قواضب : مانعة قاطعة . والبيت لأبى تمام من قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلى مطلعها :

علــى مثلها مـِـن أربُــع وملاعب   أذيلت مصونات الدموع السواكب

{ ديوانه ٢٠٦/١ والصناعتين ٣٣٤ ، والأسرار ٢٣ ، والطراز ٣٦٢/٢ }

(١٦) صدفت : انصرفت ، صواد : عطشى ، الصوادف : المنصرفة . والبيت من قصيدة يمدح فيها إسحق بن يعقوب البريدى مطلعها :

إلى أى سر فى الهوى لم أخالف   وأى غـــرام عنــده لم أصادف ؟

{ديوانه ١٣٩١/٣ }

(١٧) الجوى : شدة العشق ، الجوانح : الضلوع ، والبيت لتماضر بنت عمرو الشريد المشهورة بالخنساء . والبيت لم أعثر عليه فى الديوان ط بيروت ، معاهد التنصيص ٢٣٠/٣ .

(١٨) كنى : بيتى ، طامس : خفى المعالم .   (١٩) سورة الأنعام آية ٢٦ .

أو فى الآخرِ ، كقول النبى عليه السلام : « الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخيرُ الى يوم القيامة » [٢٠] .

وإن لم يكن بينهما التقارب ، سمى لاحقاً ، سواء كانا فى الأول ، كقوله تعالى : ﴿ ويلٌ لكلّ هُمَزَةٍ لُمَزةٍ ﴾ [٢١] ، وقول الحريرى : « لا أعطى زِمامى لمن يخفِر ذِمامى » [٢٢] .

أو فى الوسط ، كقوله تعالى : ﴿ ذلكم بما كنتم تَفْرحون فى الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تَمْرحون ﴾ [٢٣] وقوله : ﴿ إنّه على ذلك لشهيدٌ ، وإنه لحُبِّ الخير لشديدٌ ﴾ [٢٤] .

أو فى الآخرِ : كقوله : ﴿ وإذا جاءهم أمرٌ مِن الأمْن ﴾ [٢٥] .

وقول البحترى [٢٦] :

هل لما فات مَن تلاقٍ تلافى أو لشاكٍ من الصبابةِ شافِ

وإن اختلفا فى ترتيب الحروف ، سُمِّىَ : جناسَ القلب :

/٧٧ أ أما قلب الكلّ ، كقولك : « حسامُه فتحٌ لأوليائه ، / حَتْفٌ لأعدائه » [٢٧] .

أو قلب البعض ، كما جاء فى الخبر : « اللّهم استر عَوْراتِنا وآمِن رَوْعاتنا » (*)

---

(٢٠) معقود : مربوط ، بنواصيها : مقدم رأسها . والمراد أن الخير ملازم لها كأنه معقود فيها، رواه مسلم ٦٨٣/٢ ، والمجازات النبوية ص ٤٩ ، والصناعتين ٣٣٢ .

(٢١) سورة الهمزة آية ١ .

(٢٢) الزمام : القياد ، الذمام : العهد .

(٢٣) سورة غافر آية ٧٥ .

(٢٤) سورة العاديات آية ٧ ، ٨

(٢٥) سورة النساء ٨٣ .

(٢٦) الصبابة : شدة الشوق . والبيت مطلع قصيدة يمدح فيها أحمد بن على الاسكاكى . وفى الديوان : « ألما فات من تلاق تلافى » ديوانه ١٣٨٥/٣ ، والطراز ٣٦٧/٢ .

(٢٧) الحتف : الهلاك .

(*) أنوار الربيع ١٩٦/١ ، جامع الأحاديث للسيوطى ١٠٦/٢

وقال بعضهم : « رحم الله امرءاً أمسكَ ما بين فكّيه ، وأطلقَ ما بين كفّيه ».
وقول أبى الطيب (٢٨) :

مُمَنَّعَــةٌ مُنَعَّمَــةٌ رَداحٌ ... يكلِّفُ لفظُها الطَيرَ الوقوعا

وإذا جاء القلب فى طرفَىْ بيتٍ واحد سمى : مُجَنَّحاً .

وإن اقترنا ، سمى : مزدوجا ، كقوله تعالى : ﴿ وجئتك من سَبَأٍ بِنَبأٍ يقين ﴾ (٢٩) وفى الخبر : « المؤمنون هَينون لَينون » (*) . وقولهم : « من طلب وجَدّ ، وجد ، ومن قرع باباً ولجّ ، ولجَ » وقولهم : « النبيذ بغير النغم غمّ ، وبغير الدسم سمّ » .

إشارة : إلى ما يلحق بالجناس : وهو نوعان :

الأول : أن يَجمع اللفظين اشتقاقٌ ، كقوله تعالى : ﴿ فأقِمْ وجهَك للدين القَيِّم ﴾ (٣٠) وقوله : ﴿ فَرَوْحٌ ورَيْحان ﴾ (٣١) وقول النبى ﷺ : « الظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامة » (٣٢) وقول أبى تمام (٣٣) :

فيا دمعُ أنْجِدنى على ساكنى نجدِ

وقول البحترى (٣٤) :

---

(٢٨) المنعة : المصونة ، الرداح : الضخمة العجز الثقيلة الأوراك . والبيت من قصيدة يمدح فيها على بن ابراهيم التنوخى مطلعها :

مُلِثُّ القطر اعطشها ربوعا ... وإلا فاسقها السم النقيعا

{ ديوانه ٢/ ٢٥٠ }

(٢٩) سورة النمل آية ٢٢ ... (*) الايضاح : ٥٤٢

(٣٠) سورة الروم آية ٤٣ . ... (٣١) سورة الواقعة آية ٧٩ .

(٣٢) رواه عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ ، شرح صحيح البخارى للكرمانى ١١/ ٢٠ ط ١

(٣٣) وصدر البيت : « وأنجدتم من بعد إتهام داركم » وهو من قصيدة يمدح فيها أبا المغيث الرافقى مطلعها :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى ... ومحت كما محت وشائع من برد

{ ديوانه ٢/ ١١٠ }

(٣٤) يعشى : يعمى . سؤدد : رفعة المكانة ، أريب : عاقل . والبيت من قصيدة يمدح فيها اسحق بن اسماعيل بن نوبخت مطلعها :

كم بالكثيب من اعتراض كثيب ... وقــوام غصن فى الثياب رطيب

{ ديوانه ١/ ٢٤٧ }

يعْشَى عن المجد الغبىُّ ولن تَرَى   فــى سُــــؤدَدٍ أرَبًا لغير أريب

وقول محمد بن وهيب [٣٥] :

قسمْتَ صروفَ الدهرِ بأساً ونائلاً   فمالُك موتــورٌ ، وسيفُـــك واترُ

الثانى : ما يجمعهما شبه الاشتقاق ، كقوله تعالى : ﴿ أثّاقلتُم إلى الأرض ، أرَضيتمْ بالحياة الدنيا مِن الآخرة ﴾ [٣٦] وقوله : ﴿ قال : إنّى لِعَمَلكمْ من القالِين ﴾ [٣٧] وقوله : ﴿ وجَنَى الجنتيْن دانٍ ﴾ [٣٨] .

إشارة : إلى رَدّ العَجُز إلى الصدر :

وهو أنْ يجئ فى بيت واحد لفظ مكرر ، أو تجنيس ، أو ملحق به . وأقسامه اثنا عشر :

(أ) أن يتكرر لفظ واحد فى طرفى بيت واحد كقوله [٣٩] :

سُكرانِ : سكْرُ هوًى ، وسكْر مُدامةٍ   أنّـــى يُفيـــق فتـــى به سُكرانِ

(ب) أن يكون أحدهما فى وسط المصراع الأول ، وثانيهما فى آخر المصراع الثانى كقول الحماسى :

تمتّعْ مِن شميمِ عَرارِ نجدٍ   فما بعد العشيّةِ من عَرارِ [٤٠]

(ج) أن يكون أحدهما فى آخرِ المصراع الأول ، والآخَر فى آخر المصراع الثانى ، كقول أبى تمام [٤١] :

---

(٣٥) البيت من قصيدة فى مدح الحسن بن سهل مطلعها :

ودائع أسرار طوتها السرائر   وباحت بمكنوناتهـــن النواظر

(٣٦) سورة التوبة آية ٢٨ .   (٣٧) سورة الشعراء آية ١٦٨ .

(٣٨) سورة الرحمن آية ٥٤ .

(٣٩) الهوى : العشق ، والمدامة : الخمر ، والبيت للخليع الدمشقى . اليتيمة ٢٨٧/١ وهو مذكور فى التبيان ص ١٧٩ والاكسير ص ٣٢٨ والطراز ٣٩٢/٢ .

(٤٠) العرار : نبت طيب الرائحة . والبيت للصمة بن عبد الله القشيرى .

(٤١) البيض القواضب : القواطع . والبيت من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف مطلعها :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما   وان تعتب الأيـام فيهم فربما

{ ديوانه ٣٣٦/٣ والاكسير ٣٢٩ }

وَمَن كان بالبِيض الكواكب مُغْرماً ... فما زلتَ بالبيضِ القواضبِ مغرما

(د) أن يكونا فى طرفَىْ المصراع الثانى ، كقول الحماسى [٤٢] :

وإن لم يكــن إلا مُعَرَّجَ ساعةٍ ... قليلا ، فإنّى نافعٌ لى قليلُها

(هـ) أن يكون لفظان / متجانسين فى طرفى بيت واحد كقوله : ٧٧/ ب

سَـــلْ ســـبيلا فيهـــا إلى را ... حة النفس براحٍ كأنها سلسبيل

وكقول الآخر [٤٣] :

ذوائبُ ســـودٌ كالعناقيد أرسِلتْ ... فمِن أجلها منّا النفوسُ ذوائبُ

(و) أن يكون فى طرفى بيت ، وفى وسط المصراع الثانى ، كقوله [٤٤] :

وإذا البلابل أفصحتْ بلغاتها ... فانْفِ البلابلَ باحتساء بلابلَ

(ز) أن يكون أحدهما فى آخر المصراع الأول ، والآخر فى آخر الثانى ، كقول الحريرى [٤٥] :

فمشغوفٌ بآيات المثانِى ... ومفتـــونٌ برنّـاتِ المثانِى

(ح) أن يكون فى بيت واحد جناسان أحدهما فى أول المصراع الثانى ، والآخر فى آخره ، كقول القاضى الأرّجانىّ [٤٦] :

---

(٤٢) التعريج : الوقوف واللبث . والبيت لذى الرمة غيلان بن عقبة ، وفى الديوان « إلا تعلل ساعة » بدلاً من « إلا معرج ساعة » والبيت من قصيدة مطلعها :

أخرقاء للبين استقلت حمولها ... نعم غربة فالعين يجرى مسيلها

{ ديوانه ٩١٢/٢ ط دمشق والاكسير ٣٣٠ }

(٤٣) ذوائب الأولى بمعنى شعر الرأس ، والثانية بمعنى سائلة ، والبيت لأبى الحسن نصر المرغينانى دمية القصر ٧٩/٢

(٤٤) البلابل الأولى : الطيور المعروفة بحسن الصوت ، والبلابل الثانية : الوساوس ، والبلابل الثالثة : ابريق الخمر ، والبيت لأبى منصور الثعالبى عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، انظر حدائق السحر ١١٤ وأنوار الربيع ٢٢٧/١ ، ١٠١/٣ ومعاهد التنصيص ٢٢٩/٣ .

(٤٥) آيات المثانى : القرآن ، ورنات المثانى : المزامير ، والبيت للحريرى القاسم بن على والبيت مذكور فى المقامة الحرامية من مقامات الحريرى ص ٥٢١ والإكسير ٣٢٩ .

(٤٦) أملتهم : عقدت عليهم آمالى ، تأملتهم : فكرت فى سلوكهم وأحوالهم . والبيت من قصيدة يمدح فيها شمس الملك بن نظام الملك . ديوانه ٢٩٦/١

أمّلتُهُــــمْ ثـــم تأمّلتهـــــمُ   فلاحَ لى أن ليس فيهمْ فلاحُ

(ط) أن يكون فى طرفى بيت واحد ملحق بالجناس كقول البحترى (٤٧) :

ضرائبُ أبدعتَها فى السماح   فلسنا نـرى لك فيها ضريبا

(ى) أن يكون أحدهما فى وسط المصراع الأول ، والثانى فى آخر الثانى كقول امرئ القيس (٤٨) :

إذا المرءُ لم يَخْزُنْ عليه لسانَه   فليس علـى شىءٍ سواه بخزّانِ

(ك) أن يكون أحدهما فى آخر المصراع الأول ، وثانيهما فى آخر الثانى ، كقول الآخر (٤٩) :

فدعْ الوعيدَ ، فما وعيدُك ضائرى   أطنيـــنُ أجنحـة الذباب يُضير ؟

(ل) أن يكونا فى المصراع الثانى ، كقول أبى تمام (٥٠) :

وقد كانت البيضُ القواضبُ فى الوغَى   بواتِـــرَ فهـى الآن مــن بَعْـدهِ بُتْرُ

وأما ردُّ العَجُز على الصدر فى النثر ، فمثله أقسام :

الأول : أن يتكرر فى طرفى كلام واحد ، كقوله تعالى : ﴿ وتخشَى الناسَ واللّهُ أحقُّ أنْ تخشاه ﴾ (٥١) وقولهم : « الحيلة تركُ الحيلة » .

---

(٤٧) البيت ليس للبحترى وإنما هو للسرى الرفاء وقد أخذه من قول البحترى :

بلونا ضرائب مَن قد نرى   فما إن رأينا لفتح ضريبا

ديوانه ١/١٥١ والتبيان ١٧٩ والإكسير ٣٢٨ والطراز ٢/٣٩٣ .

(٤٨) البيت من قصيدة مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان   ورسـم عفت آياتـه منذ أزمان

(ديوانه ص ٩٠ والإكسير ٣٢٩)

(٤٩) البيت لعبد الله بن محمد بن عيينة المهلبى ، والوعيد : التهديد ، ضائرى : مؤذينى . البغية ٤/٩١ ومعاهد التنصيص ٣/٢٢٨

(٥٠) بواتر : قواطع ، بتر : مقطوعة عاجزة ، والبيت من قصيدة يرثى بها محمد بن حميد الطائى ، والبيت فى الديوان : « وقد كانت البيض المآثير فى الوغى » . ومطلع القصيدة :

كذا فليجل الخطبُ وليفدح الامر   فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(ديوانه ٤/٨٣)

(٥١) سورة الأحزاب آية ٢٧

الثانى : أن يكون فيه جناس فى طرفيه ، كقولهم : « سائلُ اللئيم يرجع ودمعه سائل » .

الثالث : أن يكون فى طرفيه ملحق بالجناس ، كقوله تعالى : ﴿ استغفروا ربَّكُم إنه كان غفّاراً ﴾ (٥٢)

إشارة : إلى الأسجاع :

الأسجاع فى النثر كالقوافى فى الشعر ، وهو ثلاثة أقسام :

مطّرف ، ومرصّع ، ومتواز :

فالمطرف : هو أن يختلفا فى الوزن ، كقوله تعالى : ﴿ ما لكم لا تَرجُون للّه وقَاراً ، / وقد خلقكمْ أطْواراً ﴾ (٥٣) /٧٨ أ

والمرصّع : أن تكون ألفاظ القرينتين متساوية فى الوزن والتقفية ، كقول الحريرى : « فهو يطبع الأسجاعَ بجواهر لفظه ، ويقْرع الأسماع بَزواجر وعظه » . وقول البديع الهمذانى : « إنَّ بعد الكَدر صفْوا ، وبعد المطر صحْوا » وقول أبى الفتح البستّى : « ليكن إقدامُك توكُّلا وإحجامُك تأمّلا » .

والمتوازى : هو ما عدا القسمين ، كقوله تعالى : ﴿ فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ ، وأكوابٌ موضوعةٌ ﴾ (٥٤) .

والقرائن : إما قصيرة ، كقوله تعالى : ﴿ والمرسَلات عُرْفاً ، فالعاصفات عَصْفاً ﴾ (٥٥) .

أو طويلة ، كقوله تعالى : ﴿ إذ يريكهمُ اللّه فى منامكَ قليلاً ، ولو أراكَهُمْ كثيراً لفشِلْتم ولتنازعْتُمْ فى الأمر ، ولكنَّ اللّه سلّم ، إنه عليمٌ بذات الصُدور ، وإذ يريكموهمْ إذِ التقيتمْ فى أعينكم قليلاً ، ويقلّلكمُ فى أعيُنهِمْ ليَقضِيَ اللّهُ أمراً كان مفعولاً ، وإلى اللّه تُرجَعُ الأمور ﴾ (٥٦) .

---

(٥٢) سورة نوح آية ١٠

(٥٣) سورة نوح آية ١٣

(٥٤) سورة الغاشية آية ١٣ ، ١٤ .

(٥٥) سورة المرسلات آية ١ ، ٢ .

(٥٦) سورة الأنفال آية ٤٣ ، ٤٤ .

أو متوسط بينهما ، كقوله تعالى : ﴿ اقتربتِ الساعةُ وانشَقَّ القمر ، وإن يَروْا آيةً يُعْرضوا ويقولوا سِحْرٌ مستمّر ﴾ (٥٧)

وشرط حُسْنِ الجميع : اختلاف القرينتين فى المعنى ، لحكم البلغاء على ركاكة قول ابن عبّاد فى وصف جماعةٍ مهزومين : « طارُوا واقينَ بظهورهم صَدورَهم ، وبأصلابهم نحورَهم » .

وأحسنُ السجعِ : ما تساوت قرائنه ، كقوله تعالى : ﴿ فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ وطَلْحٍ منَضْود وظلٍ ممدود ﴾ (٥٨)

وبعدُه ، ما كانت الثانية أطول ، كقوله تعالى : ﴿ والّنجمِ إذا هَوى ، ما ضلّ صاحبُكم وما غَوى ﴾ (٥٩) . أو الثالثة ، كقول أبى الفضل الميكالى : (له الأمر المطاع ، والشرف اليَفاع (٦٠) والعِرْض المصون ، والمال المُضاع) .

ولا يحسُن أن تكون الثانية أو الثالثة أقصر ؛ لأن السامع ينتظر تمامها ، فإذا قُطع دونه ، صار كأنه عثر دون المقصد ، والطبع السليم شاهد عدلٍ له .

ومن أحسن الأسجاع ما كتبه البديع (٦١) الى ابن فريغون : (كتابى والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقه ، تصورتُ خَلْقه ، والملك العادل وإن لم أكن لقيتُه ، فقد لَقِيَنِى صِيته ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره) (٦٢) .

إشارة : لا يشترط فى حسن الأسجاع الإعراب ، ويكتفى فى المقصود بالوقف على السكون ؛ لئلا يلزم الحرج فى الكلام ، ألا ترى أنك لو أعربت ، لفسد أكثر الأسجاع / كقول البستى : (إذا مَلكٌ لم يكن ذا هبة ، فدعه فدولته ذاهبة) وقولهم : (ما أبعد ما فاتَ ، وما أقرب ما هو آت) (*) ولا ينكَرُ /٧٨ ب

---

(٥٧) سورة القمر آية ١ ، ٢ . (٥٨) سورة الواقعة ٢٨ - ٣٠ .

(٥٩) سورة النجم آية ١ ، ٢ . (٦٠) اليفاع : السامى .

(٦١) هو أبو الفضل احمد بن الحسين يحيى بن سعيد الهمذانى المعروف ببديع الزمان صاحب المقامات المشهورة ، والرسائل المعروفة .

(٦٢) انظر ص ٣٥٨ من رسائله ط بيروت .

(*) نهاية الأرب ١٠٣/٧

ذلك ، فإنه إذا جاز إخراج الكلمة عن وصفها للازدواج ، كصرف ما لا ينصرف في نحو قوله تعالى : ﴿ قواريراً ، قواريرا ﴾ و ﴿ سلاسلً وأغلالا ﴾ [(٦٣)] وقولهم : (إنى آتيه بالغَدايا والعشَايا) مع امتناع الغدايا ، فعدم شرط الإعراب في الفواصل أوْلى ، لعدم كون الإعراب شرطاً فى حسن الكلام .

واعلم أن قوماً حصروا اسم السجع فى غير القرآن والشعر ، وقالوا : بدل السجع فى القرآن الفواصل ، وقوم جوَّزوا السجع فى الشعر ، وأسقطوا اشتراط التقفية فى العَروض والضرب [(٦٤)] مثاله قول أبى تمام [(٦٥)] :

تجلّى به رُشدى ، وأثْرَتْ به يدى ... وفاض به ثُمدى ، وأورَى به زَندى

وقول الخنساء [(٦٦)] :

حامى الحقيقة ، محمودُ الخليقة ... مهدِىُّ الطريقة ، نفّاعُ وضَرار

وقول الآخر :

ومكارم أوليتَها متبرّعا ... وجرائم ألقيتَها متورِّعا [(٦٧)]

وقول الآخر [(٦٨)] :

وَزنْدُ نَدى فواضِله ورِىٌّ ... ورَندُ رُبَى فضائِله نضيرُ

ومن السجع على هذا القول ما يسمى : التشطير :

---

(٦٣) سورة الانسان آية ١٥ ، ١٦ ، وآية ٤ .

(٦٤) العروض : الجزء الاخير من الشطر الأول فى البيت ، والضرب : الجزء الاخير من الشطر الثانى فى البيت .

(٦٥) ثمدى : الثمد : الماء القليل الذى يتجمع شتاء ويختفى صيفا ، والمراد بالثمد هنا : المال القليل . والبيت من قصيدة لأبى تمام فى مدح نصر بن منصور مطلعها :

أطلال هند ساء ما اعتضت من هند ... أقايضت حور العين بالعون والريد

(ديوانه ٢/٦٦)

(٦٦) الخليقة : السجية ، والبيت فى رثاء أخيها صخر (ديوانها ص ٧٠) .

(٦٧) أوليتها : صنعتها ، متورعا : متعففا .

(٦٨) الزند : العود الأعلى الذى تقدح به النيران ، الفواضل : العطايا ، والرند : نبات له رائحة طيبة ، الربى : جمع ربوة وهى المكان المرتفع من الأرض . والبيت لأبى الفتح المطرزى ناصر ابن عبد السيد . وفيات الأعيان ٥/٢٧ ، ونهاية الأرب ٧/١٠٥

وهو أن يُجعل كل من شطرى البيت سجعةُ مخالفاً لأختها ، كقول أبى تمام [٦٩] :

تدبيرُ معتصمٍ ، بالله منتقم   لله مرتقب ، فى الله مرتغب

إشارة : إلى التصريع وما يقابله :

التصريع : جعلُ العَروض مقفّاة كالضرب ، وعلى وزنه ، كقول امرئ القيس [٧٠] :

قفا نَبْك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ   بسِقْطِ اللّوى بين الدَخولِ وحَوْمَلِ

فإن وزنها (مفاعلن) . وقوله أيضا [٧١] :

ألا انعم صباحا أيها الطللُ البالى   وهل ينعمنْ من كان فى العُصُر الخالى ؟

جعلها (مفاعيلن) ولا يجوز ذلك إلا مع التصريع ؛ ولذلك أخذ على أبى الطيب قوله [٧٢] :

تَفكّرهُ علِم ، ومنطقُه حكْمُ   وباطنه دِينٌ ، وظاهرهُ ظَرْف

حيث جعل العروض والضرب (مفاعيلن) مع عدم التصريع .

وإن تساوت الفاصلتان فى الوزن دون التقفية سميت موازنة ، كقوله تعالى : ﴿ ونَمارِقُ مصفوفَةٌ ، وزرابىّ مبثوثةٌ ﴾ [٧٣] .

---

(٦٩) البيت لأبى تمام فى مدح المعتصم بن هارون الرشيد ووصف حريق عمورية من قصيدة مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حدّه الحد بين الجدّ واللعب

(ديوانه ١/٥٨)

(٧٠) البيت مطلع معلقة امرئ القيس ديوانه ص ٨ .

(٧١) البيت مطلع قصيدة لامرئ القيس . وصحة البيت :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى   وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

(ديوانه ٢٧)

(٧٢) البيت من قصيدة للمتنبى فى مدح أحمد بن الحسين القاضى مطلعها :

لجنية أم غادة نفرة ، فتجاذبت   سوالفها والحلى والخصر والردف

(ديوانه ٢/٢٨٧)

(٧٣) سورة الغاشية آية ١٥ ، ١٦ . النمارق : الوسائد الصغيرة ، الزرابى : البسط الراقية ، مبثوثة : مفروشة .

وإن كانت جميع ألفاظ القرينتين أو أكثر متساوية في الوزن تُخص باسم المماثلة ، كقوله تعالى :/ ﴿ وآتيناهما الكتاب المُستبِين ، وهَديناهما الصراطَ المستقيم ﴾ (٧٤) . /٧٩ أ

وقول أبي تمام (٧٥) :

مَها الوحشِ إلا أنّ هاتاً أوانسٌ   قنا الخطّ ، إلا أن تلك ذوابــلُ

وقول البحترى (٧٦) :

فأحجمَ لمّا لم يجدْ فيك مطمعاً   وأقــدمَ لما لم يجدْ عنك مهرَباً

إشارة : إلى لزوم ما لا يلزم :

وهو أن يلتزم بحرف واحد قبل الروى أو شبهه ، كقوله تعالى : ﴿ فأمّا اليتيمَ فلا تقهْر ، وأمّا السائلَ فلا تَنْهَرْ ﴾ (٧٧) . وقول الشاعر (٧٨) :

سأشكــر عَمْــراً إن تراختْ منيّتــى   أيــادىَ لــم تُمنَــنْ وإن هـــى جلّتِ

فتى غيرُ محجوب الغنَى عن صديقه   ولا مُظهــرُ الشكـوى إذا النعلُ زلّتِ

وقول الآخر (*) :

---

(٧٤) سورة الصافّات آية ١١٧ ، ١١٨ .

(٧٥) مها الوحش : البقرة الوحشية ، أوانس : المنسوب إلى الإنس . القنا : الرمح ، الخط : مرفأ بالبحرين . ذوابل : : يابسات ، والبيت من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبد الملك الزيات ويعاتبه ومطلعها :

متى أنت عن هذيلة الحى ذاهل   وقلبــك منها مــدة الدهر آهل

(ديوانه ٣/١١٦)

(٧٦) البيت من قصيدة للبحترى فى وصف مبارزة بين الفتح بن خاقان والأسد من قصيدة مطلعها:

أجدك ما ينفعك يسرى لزينبا   خيــال إذا آب الظــلام تأوّبا

(ديوانه ١ / ٢٠٠)

(٧٧) سورة الضحى آية ٩ ، ١٠ .

(٧٨) ينسب البيتان لأبى الأسود الدؤلى فى عمرو بن سعيد بن العاص ديوانه ١٥١ ، كما ينسبان لعبد الله بن الزبير الاسدى فى عمرو بن أبان بن عثمان بن عفان . شعره ١٤٢ . وتراخت منيتى : امتد بى العمر ، زلت النعل : كناية عن سوء الحال .

(*) البيتان بلا عزو فى دقائق السحر ١١٩ ، ونهاية الأرب ١١٣/٧

يقولـــون : فـــى البستان للعين لذّة   وفـــى الخمرِ والماء الذى غيْرُ آسنِ
إذا شئتَ أن تَلْقَـى المحاســنَ كلها   ففى وجه من تهوَى جميعُ المحاسنِ

إن قيل : تسمية هذا القسم بلزوم ما لا يلزم غير مطابق لمعناه من وجهين :

الأول : أنه كان يجب أن يسمَّى بالتزام ما لا يلزم ، لئلا يلزم التناقض .

وثانيهما : أنهم إن أرادوا بـ « لا يلزم » ، لا يلزم من حيث القافية ، فجميع المحسنات كذلك ، فتسميته به ترجيح من غير مرجِّح ، وإن أرادوا أنه لا يلزم من حيث حسن الكلام ، فهو ممنوع ؛ لأنه من المحسنات .

فالجواب عن الأول : أنه لا يلزم من حيث القافيه ، ويلزم اطراده بعد الإلزام به ، فلا تناقض .

ومن الثانى : أن المختار هو الأول ، والمرجح كونه قبل الروى أو شبهه ، والداعى إليه هو الداعى إلى اتحاد حرف الروى ، فإن المماثلة فيه إذا كان محبوبا للطبع ، فكمالها أحب .

وهمٌ وتنبيه :

قال الشيخ عبد القاهر [(٧٩)] : وأصل الحسن فى جميع المحسنات اللفظية ، هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى ؛ فإن المعانى إذا أرسلت على سجيتها ، وتُركت وما تريد ، طلبت لأنفسها الألفاظ ، ولم تكتس إلا ما يليق بها ، فإن كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب [(٨٠)] :

إذا لم تشاهد غَيْرَ حُسْنِ شياتها   وأعضائها فالحسنُ عنك مغيَّب

وفيه نظر ؛ لأن وجهَ حسن الكلام غير وجه تحسينه للمعانى ، ومطلوبه هو الأول / وما ذكره هو وجه التحسين ، فإن الشئ إذا كان حسناً ، يجب أن يكون /٧٩ ب

---

(٧٩) أسرار البلاغة ص ١٣ .

(٨٠) الشية : العلامة الظاهرة ، والضمير هنا يعود على الخيل ، والبيت من قصيدة يمدح فيها كافوراً مطلعها :

مـــن الجآذر فـــى زى الأعاريب   حُمْر الحلى والمطايا والجلابيب ؟

(ديوانه ١/ ١٨٠)

جميع ما يتعلق به أيضاً حسنا ، وإلا لكان الحسن كالضائع ، وكان يجب أن يطابق دعواه ما احتج به عليها ، فإذاً الحق أن يقول : وجه حُسن جميع ما تقدم من المحسنات اللفظية ، هو وجه حسن الشعر ، وهو التناسب ، فإن الجنس ميّال إلى الجنس ، والطبع ميّال إلى إيقاع المناسبة بين الأشياء ، ونفاره عن المتنافرات ؛ فإن التناسب من الاعتدال ، والنفس الكاملة مفطورة على محبته ، وليس هذا موضعه .

هذا آخر الفن الثالث ، ولنذكر الآن الخاتمة الموعود بها :

* * *

الخاتمة

وتشتمل على مسائل

الأولى : فى سرقات الشعراء ، وهى أقسام ثلاثة : الانتحال ، والإغارة ، والإلمام .

الأول : الانتحال ، ويسمّى : نسخاً ، وهو مذموم جدا ، وهو : سرقة المعنى بألفاظه من غير تغيير ، أو بعض تغيير .

فالأول وجد فى قصيدتى زهير ، وأوس هذا البيت [1] :

إذا أنت لم تُعرِض عن الجهل والخَنا أصبتَ حليما ، أو أصابك جاهلُ

وأنشد عبد اللّه بن الزبير عند معاوية بن أبى سفيان [2] :

إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدتَهُ على طرف الهِجران إنْ كان يعقلُ

ويركب حدَّ السيف من أن تَضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَلُ

فقال معاوية : لقد شعرتَ بعدنا يا أبا بكر . ولم ينفضّ المجلس حتى دخل مَعْنُ بن أوس ، وأنشد قصيدته التى أولها :

لعَمْرِكَ ما أدرى ، وإنى لأوْجَلُ على أينَا تعدو المنيةُ أوّلُ ؟

---

(١) الجهل : السفاهة والطيش ، الخنا : الفحش .
والبيت من قصيدة زهير التى مطلعها :

لِسلمى بشرقىِّ القنان منازل ورسمٌ بصحراء اللبيين حائل

ومن قصيدة أوس التى مطلعها :

أيا راكبا إما عرضْتَ فبلغن يزيدَ بن عبد اللّه ما أنا قائل

(٢) ومعنى البيت الثانى : إذا ظلمت أخاك فلا بد له من ارتكاب الصعب من الأمور كى يحفظ كرامته ويصون كبريائه . وعبد اللّه بن الزبير بن العوام ولد عام الهجرة وتوفى ٧٣ هـ ، ومعاوية بن أبى سفيان ولد قبل البعثة بخمس سنين على الأرجح ومات سنة ٦٠هـ . الإصابة فى تمييز الصحابة . ٣٠٩/٢ ، ٤٣٤/٣ . ومزحل : مبعد .

وفيها البيتان ، فقال معاوية لعبد الله : ألم تخبرني بأنهما لك ؟ فقال : المعنى لي [٣] ، واللفظ له ، وبعد فهو أخي من الرضاعة ، وأنا لاحقٌ بشعره .

والثاني : كقول الأُبَيْرد اليربوعيّ [٤] :

فتـــى يشتـــرى حسنَ الثناء بماله إذا السنةُ الشهباءُ أعوزَها القَطْرُ

وفي شعر أبي نواس [٥] :

فتـــى يشـــترى حسنَ الثناء بماله ويعلـــمُ أنّ الدائـــراتِ تـــــدورُ

وكقول بعض القدماء :

أجـــاد طُويسٌ والسريجـــيُّ بعده وما قصباتُ السَّبْقِ إلا لَمعْبدِ [٦]

وفى شعر أبى تمام :

محاســـن أصنـــاف المغَنِّينَ جَمَّةٌ وما قصباتُ السبق إلا لَمعْبَدِ [٧]

---

(٣) فى الأصل : المعنى له واللفظ له ، وهو غير مستقيم .

(٤) الابيرد اليربوعى هو : الأبيرد بن قيس بن المعذر ، والبيت من قصيدة يرثى فيها أخاه مطلعها :

تطـاول ليلـى لـم أنمـه تقلبا كأن فراشى حالٌ من دونه الحجر

الشهباء : الشديدة القحط ، القطر : المطر

(٥) فى الأصل أن البيت لأوس وليس كذلك ، بل لأبى نواس من قصيدة له فى مدح الخصيب مطلعها :

أجـــارة بيتينا أبـــوكِ غيـــور وميسورَ ما يرجَى لديك عسير

والدائرات : النوائب والأحداث .

ديوانه ص ١٨٦ ط الاستقامة .

(٦) طويس : رجل اشتهر بالغناء فى عهد عثمان بن عفان . والسريجى تلميذ طويس فى الغناء . معبد : مغن مشهور كان فى صدر الدولة الأموية . وقصبات السبق : كناية عن فوزه وتفوقه عليهم .

(٧) البيت لأبى تمام من قصيدة له فى مدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى مطلعها :

سرت تسجير الدمع خوف نوى غد وعـــاد قتـــادا عنـــدها كل مرقد

(ديوانه ٢/٢٩)

/ ٨٠ أ وفى الأغانى : /

لهْفِى على فتية ذلَّ الزمانْ لهمْ   فما يصيبهمُ إلا بما شاءوا (٨)

وفى شعر أبى نواس :

دارتْ على فتية ذلَّ الزمان لهم   فما يصيبهم إلا بما شاءوا (٩)

واعلم أن ما ذكرناه هو قول نقاد الشعر ، ولم أرَ لهم مخالفا .

وفيه نظر ؛ لأن الشاعر الثانى إن كان عالما بأن غيره قد سبقه إليه ، فحَمْل كلامه على التضمين أولى من حمله على السرقة ، اللهم إلا أن يُعلم قصده ، سبحان من يعلم الغيب . وإن لم يكن عالماً به ، كان ذلك من قبيل الاتفاقات كما حكى ابن ميادة ، أنشد لنفسه :

مفيــدٌ ، ومتــلافٌ إذا ما أتيتَهُ   تهلَّلَ واهتز اهتزاز المهنّد (١٠)

قيل له : هذا للحطيئة ! قال : الآن علمتُ أنى شاعر ، حيث وافق شعرى شعره . والإنصاف يقتضى هذه التسمية ، وتحسين العبارة ، بأن يقال : سبقه إليه فلان ، دون سرقه .

الثانى : الإغارة ، ويسمى : مسخا :

وهو أخذُ المعنى بتغيير نظمه ، وهو محمود إن اختص بفضلة ، كحسن السبك أو الاختصار ، أو الإيضاح ، أو زيادة معنى ، كقول بشار :

من واقب الناس لم يظفر بحاجتهِ   وفاز بالطيبات الفاتكُ اللَّهِجُ (١١)

---

(٨) اللهف : التحسر . ذل الزمان لهم : خضع ، ولم يذكر فى الأغانى اسم قائله .

(٩) فى الديوان : دارت على فتية دار الزمان بهم ، والبيت من قصيدة فى الخمر مطلعها :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء   وداونى بالتى كانت هى الداء

(ديوانه ٨١)

(١٠) فى الإيضاح : تهلل بدلا من تهلك .

(١١) اللهج : الدءوب على شئ الملحّ فى طلبه . والبيت لبشار بن برد من قصيدة ينسب فيها بخشابة مطلعها :

لو كنت تلقين ما نلقى قسمت لنا   يــوماً نعيش بــه منكم ونبتهج

ديوانه ص ٦٠ ، والمختار من شعر بشار ط ١٣٥٣ هـ

وقول سلم الخاسر :

مَــــن راقــب الناس مــات هَمًّا   وفـــــاز باللـــــذة الجَســـورُ

وبيت سلم أجودَ سبكاً وأخْصَر .

وكقول الآخر [١٢] :

خلقنا لهـــم فـى كل عَيْن وحاجب   بِسُمرِ القنا والبيِض عيناً وحاجباً

وقول ابن نباتة بعده :

خَلقنا بأطراف القنا فى ظهورهم   عيــوناً لها وقْعُ السيوف حواجبُ

وبيت ابن نباته أجود سبكاً وبه زيادة معنى ، وهو الإشارة إلى انهزامهم .

وإن كان أدْوَن فى البلاغة : فهو مردود ، كقول أبى الطيب [١٣] :

أعْدى الزمانَ سخاؤُه ، فَسخا به   ولقــد يكــــون به الزمانُ بخيلا

أخذه من أبى تمام [١٤] :

هيهـــاتَ ، لا يأتى الزمانُ بمثلهِ   إنّ الزمـــانَ بمثلـــهِ لبخيـــلُ

وأفسده بلفظتى : (قد ، ويكون) فإن (قد) فى المضارع للتقليل ، فتفيد بالمفهوم على عدم بخل الزمان بمثله ، و(يكون) للزمان المستقبل ، فتفيد بالمفهوم على عدم بخله به فى الماضى .

---

(١٢) سمر القنا : الرماح ، البيض : السيوف ، العين والحاجب : العلامات الغائرة والسطحية من أثر ضربات السيوف . والبيت منسوب إلى أبى إسحق إبراهيم الغزى . ريحانة الألبا ١٣٣ ط بولاق .

(١٣) من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار مطلعها :

فى الخد إن عزم الخليط رحيلا   مطــر يزيــد به الخدود محولا

(ديوانه ٣/٣٣٦)

وإن كان الثانى قبل الأول ، فخَطْبه أهون ، والفضل للمتقدم ، هذا إذا لم يكن بينهما اتفاق فى الوزن والقافية معاً ، كقول بشار (١٥) :

يا قــومُ أذْنى لبعض الحىّ عاشقةٌ والأذْن تعشَــقُ قبـل العين أحياناً

وقول ابن الشّحْنة (١٦) :

وإنــى امــرؤٌ أحبتكــم لمكارمٍ سمعتُ بها ، والأذْنُ كالعين تعشَق

وقول القاضى الأرّجَانّى (١٧) :

لـم يبْكنـى إلا حـديثُ فراقهم لمّا أسَـرَّ بـه إلـىّ دموعى

هـو ذلـك الدرُّ الذى أودعتُـمُ فى مسمعى ، ألفيته فى مدمعى

وقول الزمخشرى (١٨) :

وقائلـةٍ : مـا هـذه الدرر التى تساقطها عينـاك سِمْطَين سمطين

فقلت : هى الدرُّ التى قد حشـا بها أبو مُضرٍ أذنى ، تَساقَطُ من عين

/ وإن كان بينهما اتفاق فى الوزن والقافية ، فمذموم ، كقول أبى تمام (١٩) : /٨٠ ب

مقيـمُ الظـن عنـدك والأمانى وإن قلقتْ ركابـى فـى البـلادِ

ولا سافـرتُ فـى الآفـاقِ إلا ومِـن جـدواك راحلتـى وزادى

---

(١٥) البيت من مقطوعة قالها فى عبدة مطلعها :

قالوا بمن لا ترى تَهذى ؟ فقلت لهم الأذن كالعين توفى القلب ما كان

(ديوانه ص ٢٢٦)

(١٦) ابن الشحنة الموصلى عمر بن محمد .

(١٧) در المسامع : الألفاظ ، ودر المدامع : الدموع .

(١٨) البيتان من قصيدة للزمخشرى يرثى فيها أستاذه أبا مضر : محمود بن جرير الضبى . والسمط : الخيط الذى تنتظم فيه حبات اللؤلؤ .

(١٩) من قصيدة يمدح فيها احمد بن أبى داود مطلعها :

سعدت غربة النوى بسعاد فهـى طوع الأنهام والانجاد

وفى الديوان ذكر البيت الثانى قبل الأول (١/٣٧٤) .

وقول أبى الطيب [٢٠] :

وإنـــى عنـــكَ بعـــد غَدٍ لغادٍ　　وقلبِـــى عن فِنائكَ غُير غادى

مُحبّكَ حيث ما اتجهتْ ركابى　　وضيفُـكَ حيث كنتُ فى البلاد

الثالث : الإلمام ، ويسمى : سَلْخا :

وهو أخذ المعنى من غير التعرُّض لِلَّفظ ، كقول البحترى [٢١] :

تصـــدُّ حيـاءً أن تراك بأوجهٍ　　أتى الذنبَ عاصيها ، فَلِيـمَ مطيعُها

وقول أبى الطيب [٢٢] :

وجُـــرمٍ جَـــرّهُ سفهاءُ قومٍ　　وحَـــلَّ بغيـــر جـــارمه العذابُ

وهو أجود من الأول بحسن السبك ، كأنه اقتبسه من قوله تعالى : ﴿ أتُهلكُنا بما فعَل السفهاءُ منّا ﴾ [٢٣] . وكقول الخنساء [٢٤] :

وما بلغ المُهْدون للناس مِدحةً　　وإن أطنبوا إلا و ما فيك أفضلُ

---

(٢٠) البيت من قصيدة يمدح فيها على بن ابراهيم التنوخى من قصيدة مطلعها :

أحاد أم سداس فى آحاد　　ليلتنا المنـــوطـــة بالتناد

(ديوانه ١/٣٦٥)

(٢١) البيت من قصيدة للبحترى يمدح فيها المتوكل ومطلعها :

منى النفس فى أسماء لو تستطيعها　　بهـــا وجـــدها مـــن غادة وولوعها

(ديوانه ٢/١٣٠١)

(٢٢) الجرم : الإثم والذنب ، والمراد كم جرم جناه السفهاء فعم عقابه القبيلة كلها ، والبيت من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ، حين خرج عليه بنو كلاب فأوقع بهم وملك حريمهم ومطلعها :

بغيرك راعيا عبث الذئاب　　وغيرك صارما ثلم الضراب

(شرح الديوان ٣٩٩ لليازجى)

(٢٣) سورة الأعراف آية ١٥٥ .

(٢٤) البيت فى الديوان :

ولا بلغ المهدون فى القول مدحة ولا صدقوا إلا الذى فيك أفضل . والبيت من قصيدة ترثى فيها أخاها صخرا . الديوان ص ١٠٧ والوساطة ٣١٨ والصناعتين ٢٠٨ .

وقول أشجع [٢٥] :

ومــا تــرك المدّاحُ فيك مقالةً   ولا قال إلاّ دون ما فيك قائلُ

وقول الأعرابى [٢٦] :

ومــا إنْ كــان أكثرهم سَواماً   ولكــن كــان أرحبهــمْ ذراعا

وقول أشجع :

وليس بأوســـعهِمْ فى الغِنى   ولكــــنّ معـــروفه أوسَـــعُ

المسألة الثانية : فيما يشبه السرقة ، لخفاء المعنى ، وهو أقسام :

الأول : التشابه وهو : تشابه المعنيين ، كقول الطِرمّاح الطائى [٢٧] :

لقــد زادنــى حُباً لنفسى أننى   بغيضٌ إلى كل امرئٍ غيرِ طائلِ

وقول أبى الطيب [٢٨] :

وإذا أتتْــكَ مذمتى من ناقص   فَهْــيَ الشهادة لِى بأنّى كاملُ

وقول أبى العلاء فى مرثية [٢٩] :

ومــا كُلفــةُ البدر المنير قديمةٌ   ولكنها فــى وجهــه أثرُ اللّطمِ

---

(٢٥) البيت لأشجع بن عمر السلمى يمدح به جعفر بن يحيى البرمكى .

(٢٦) الأعرابى هو أبو زيادة يزيد بن الحر فى مدح العباس بن محمد ، وأرحبهم . ذراعا : أكثرهم جودا . وفى الإيضاح للقزوينى :

ولــم يــك أكثر الفتيان مالا   ولكــن كــان أرحبهــم ذراعا

والسوام والسائمة بمعنى وهو المال ، (اللسان مادة سوم) .

(٢٧) غير طائل : غير كامل ، خسيس : لا قيمة له .

(٢٨) من قصيدة يمدح فيها القاضى الانطاكى مطلعها :

لك يا منازل فى القلوب منازل   أقفرتِ أنت وهنَّ منكِ أواهل ؟

(ديوانه ٣/ ٢٦٠)

(٢٩) كلفة البدر : حمرة يشوبها سواد ، والبيت من قصيدة يرثى فيها المعرى أبا ابراهيم العلوى وفى الديوان : « أثر اللوم » واللوم واللطم بمعنى واحد . ومطلع القصيدة :

بنــى الحســب الوضاح والشرف الجم   لسانى - إن لم أرث والدكم - خصمى

(سقط الزند ص ٢٣)

وقول القيسرانىّ (٣٠) :

وأهوَى الذى أهوَى له البدرُ سَاجداً   ألستَ ترى فى وجهه أثَر التُربِ ؟

الثانى : النقل :

وهو أن ينتقل المعنى عن محله ، كقول البحترى (٣١) :

سُلبوا ، وأشرقتْ الدماء عليهمُ   مُحمرّةً ، فكأنهم لم يُسلبوا

وقول أبى الطيب (٣٢) :

يبسَ النجيعُ عليه و هْو مجردٌ   عن غِمدهِ ، فكأنما هو مُغْمَدُ

فإنه نقل المعنى من الإنسان إلى السيف .

الثالث : المبالغة :

وهو أن يكون المعنى الثانى أبلغ من الأول : كقول جرير :/(٣٣)

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ   وجدتَ الناسَ كلَّهُمُ غِضَابَا

وقول أبى نواس (٣٤) :

---

(٣٠) القيسرانى : هو أبو عبد الله محمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى .

(٣١) البيت للبحترى من قصيدة له فى مدح إسحق بن إبراهيم المصعبى مطلعها :

عارضنا أصلا ، فقلنا : الربرب   حتى أضاء الأقحوان الأشنب

(ديوانه ٧٦/١)

(٣٢) النجيع : الدم القاتم الذى يميل إلى السواد ، والغمد : قراب السيف ، والبيت من قصيدة يمدح فيها شجاع بن محمد الطائى مطلعها :

اليوم عهدكم فأين الموعد ؟   هيهات ليس ليوم عهدكم غد

(ديوانه ٣٣٧/١)

(٣٣) البيت من قصيدة يهجو فيها الراعى النميرى مطلعها :

أقلّى اللوم عاذلَ والعتاب   وقولى ان أصبتُ لقد أصابا

(ديوانه ص ٧٨ والصناعتين ٢١٦ ، إذا غضبت علىّ . ومعنى المبالغة هنا : الشمول كما فى الإيضاح ١٢٦/٤) .

(٣٤) البيت من قصيدة يمدح فيها الفضل بن الربيع والبيت فى الديوان هكذا :

أوجده اللّه فما مثله   أن يجمع العالم فى واحد

(ديوانه ص ١٤٦ وفى الصناعتين ص ٢١٦ والوساطة ٢٥٠)

وليس علـــى اللّـــه بمستنكـــرٍ   أن تجمـــعَ العالـــمَ فـــى واحدِ

وهذا أبلغ من بيت جرير .

الرابع : القلب :

وهو قلب المعنى الأول إلى نقيضه كقول أبى الشّيص (٣٥) :

أجِـــد الملامـــة فى هواكِ لذيذةً   حُبّاً لذكـــركِ ، فليلمنـــى اللُّوَّمُ

فقلب أبو الطبيب هذا المعنى إلى نقيضه ، وقال (٣٦) :

أأحبّـــه وأحِـــبُ فيه ملامةً ؟   إنّ الملامـــةَ فيـــه مِن أعدائهِ

الخامس : التحسين :

وهو أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه ما يحسنه ، كقول الأفْوه (٣٧) :

وتـــرى الطيـــرَ علـــى آثارنا   رأىَ عيـــنٍ ثقـــةً أن سَتُمـــار

وقول أبى تمام (٣٨) :

وقد ظلّلتْ عِقبانُ أعلامه ضُحًى   بعقبان طَيْرٍ فـى الدماء نواهلِ

أقامتْ مع الرايات حتى كأنها   من الجيش ، إلا أنها لم تُقاتلِ

أخذ بعضَ معنى الأفوه وزاد عليه زيادات حسنة لا تخفى .

---

(٣٥) أبو الشيص : هو محمد بن رزين الخزاعى ، والملامة : العتاب ، واللوم : اللائمون .

(٣٦) من قصيدة مطلعها :

عذل العواذل حول قلب التائه   وهوى الأحبة منه فى سودائه

(ديوانه ١/١)

(٣٧) ستمار : ستطعم ، والبيت لصلاءة بن عمرو المعروف بالأفوه الأودى .
ديوانه ١٣٠ ، والأكسير ٣٠١ والصناعتين ٢٢٥ .

(٣٨) العقبان : جمع عقاب وهو طائر قوى المخالب ، نواهل : مرتوية . والبيت لأبى تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم مطلعها :

غدا الملك معمور الحرا والمنازل   منور وحف الروض عذب المناهل

(ديوانه ٨٢/٣)

المسألة الثالثة – فى الاقتباس :

وهو أن يضمنَّ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ، وهو على قسمين :

الأول : ألاّ ينتقل المعنى إلى غير محله ، كقول الحريرى : (فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب ، حتى أنشد وأغرب) [٣٩] وقوله : « أنا أُنَبِّئكُمْ بتأويله ، وأميز صحيح القول من عليله » [٤٠] وقول ابن نباته : (أيها الغفَلَةُ المُطْرِقُون ، أمَا أنتم بهذا الحديث مصدِّقون ؟ ، ما لكم لا تُشفقون ؟ فوربِّ السماء والأرض ، إنه لحقٌ مثْلَ ما أنكم تَنْطِقون » [٤١] . وقول أبى الفضل الهمذانى [٤٢] :

لآل فريغــــونَ فــــى المَكْــــرُماتِ	يـــدٌ أولاً ، واعتــــذار أخيــــراً
إذا مــــا حللـــــت بمغنـــاهــــمُ	« رأيتَ نعيمـــاً ومُلْكــاً كبيراً »

وقول الأبْيَوَرْدى [٤٣] :

وقصـــايدٍ مثـــل الرياض أضعتُها	فـــى باخـــلٍ ضاعتْ به الأحسابُ
فـــإذا تناشـــدَها الرواةُ وأبصـــروا	الممدوحَ ، قالوا : « ساحُر كذَّابُ »

وقول الآخر [٤٤] :

خَلَّــــةُ الغانيــــات خَلَّــــة سُـــوء	« فاتقوا الله يا أولـــى الألباب »
فـــإذا مـــا سألتمـــوهـــنَّ شيئا	« فاسألـــوهنَّ مـــن وراء حجابِ »

---

(٣٩) مأخود من الآية القرآنية سورة النحل آية ٧٧ .

(٤٠) مأخوذ من سورة يوسف الآية ٤٥ .

(٤١) مأخوذ من سورة الذاريات الآية ٢٣ .

(٤٢) أبو الفضل الهمذانى هو بديع الزمان الهمذانى ، والشطرة الثانية من البيت الأخير مأخوذة من سورة الانسان آية ٢٠ .

(٤٣) الأبيوردى : هو أبو المظفر محمد بن أحمد ، والباخل : البخيل ، والأحساب : الحسب والشرف . وهو مقتبس من سورة غافر آية ٢٤ .

(٤٤) خلة : الصفة والطبيعة : الغانيات : المرأة المستغنية بجمالها عن التزين . والبيتان لأبى منصور عبد الرحمن بن سعيد ، والشطرة الثانية من البيت الأول مقتبسه من سورة المائدة آية ١٠٠ ، ومن البيت الثانى من سورة الأحزاب آية ٥٣

وقول الحريرى : « وكتمانُ الفقر زَهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة » وهو لفظ الحديث .

/٨١ ب / والثانى : أن ينتقل إلى غير محله ، سواء كان بغير تغيير اللفظ كقول ابن الرومى :

لئــــن أخطـــأتُ فــى مدحيــ ـكَ ما أخطـأتَ فــى منعِى
لقــد أنـــزلتُ حاجـــاتـــى « بـــوادٍ غيرِ ذى زرعِ »(٤٥)

أو بتغبير يسير ، كقول بعض المغاربة (٤٦) :

قـــد كـــان مـــا خِفتُ أن يكونا « إنّا إلــــى اللّــه راجعـــونا »

وقول عمر الخيام (٤٧) :

سبقتُ العالَميـــن إلى المعالى بصائب فكــرة وعلُــوِ همّهْ
ولاح بحكمتى نورُ الهدى فى ليالٍ للضــلالــة مُــدلَهِمّهْ
يريـــد الجاهلــون ليطفئوهُ « ويأبى اللّه إلا أن يتمّهْ »

وقول القاضى الهرويّ :

فلــو كـانت الأخلاقُ تُحْوَى وراثةً ولــو كـانت الآراءُ لا تتشـعّبُ
لأصبح كلُّ الناسِ قد ضمّهُمْ هوىً كما أن كلَّ الناس قد ضمهم أبُ
ولكنهـا الأقـــدارُ ، كـلٌّ مُيَسَّرٌ لما هـــو مخلـــوقٌ له ومُقَـــرَّبُ

اقتبس من الحديث : « اعملوا كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له » (٤٨)

---

(٤٥) مقتبس من سورة ابراهيم آية ٣٧ .

(٤٦) الشطرة الثانية مقتبسة من سورة البقرة آية ١٥٦ .

(٤٧) البيت الأخير مقتبس من قوله تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ﴾ (سورة التوبة آية ٣٢) .

(٤٨) ونص الحديث : « كل يعمل لما خلق له أو لما ييسر له » (أخرجه البخارى) .
فتح البارى ١٤ /٢٩٤ ط مصطفى الحلبى

المسألة الرابعة : فى التضمين :

هو أن يضمن فى شعره شعر غيره

فإن كان المأخوذ بيتاً أو أكثر ، سمى : استعانة .

وإن كان مصراعاً فما دونه ، سمى : إيداعاً أو رفواً .

ثم قد لا يكون فى كلامه دلالة على ذلك ، كقول ابن التلميذ الطبيب (٤٩) :

كانت بُلَهنية الشبيبة سكرةً ... فصحوتُ واستبدلتُ سيرة مُجملِ

« وقعدت أنتظر الفناء كراكبٍ ... عرف المحلّ ، فبات دون المنزلِ »

البيت الثانى لمسلم بن الوليد الأنصارى (*) .

وكقول الآخر :

كنا معاً أمسِ فى بؤس نكابدهُ ... والعين والقلب فى يأس مع الأذن

والآن أقبلتْ الدنيا عليك بما ... تهوى ، فكن رجلاً فى ذلك الحسنِ

« إن الكرام إذا ما أسْهِلوا ذكروا ... مَن كان يألفهم فى المنزل الخشن »(**)

البيت الأخير لأبى تمام :

وقد يكون فى كلامه دلالة على الأخذ ، كقول ابن العميد (٥٠) :

أشكو إليك زماناً ظلّ يعركنى ... عَركَ الأديم ومن يَعدو على الزمنِ

وصاحبٍ كنتُ مغبوطاً بصُحبته ... دهراً فغادرنى فرداً بلا سكنِ

هَبّتْ له ريحُ إقبالٍ ، فطار بها ... نحو السرور ، وألجأنى إلى الحَزن

نأى بجانبه عنّى وصيَّرنى ... مع الأسى ودواعى الشوق فى قَرنِ

---

(٤٩) البلهنية : رغد العيش ولينه ، المجمل : المترفق فى عمله ، الفناء : الموت . والبيتان لأبى الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ .

(*) البيت ذكر منفردا فى الديوان ص ٣٣٨ ط دار المعارف .

(**) لم أعثر على البيت فى الديوان شرح التبريزى .

(٥٠) الأبيات منسوبة إلى الصاحب بن عباد فى معاهد التنصيص ١٦٣/٤ .

وبــاع صَفْــوَ ودادٍ كنــتُ أقْــرُه   عليــه مجتهــدا فى السر والعلَن

/٨٢ أ / وكـــان غالى به حيناً فأرخَصهُ   يا مـــن رأى صفــو ودٍّ بيع بالغَبْنِ

كأنه كان مطويًا علي إحَنٍ   ولم يكن فى ضروب الشعر أنشدنى :

(إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفهم فى المنزل الخشن)

وأما أخذ المصراع مع الدلالة عليه ، فكقول الحريرى (*) :

علـــى أنـــى سأنشــدُ عند بيعى   « أضاعونى ، وأىَّ فتًى أضاعوا »

المصراع الأخير لأمية بن أبى الصلت حيث قال :

أضاعـــونى وأىَّ فتـــى أضاعوا   ليـــوم كريهـــة وســـدادِ ثَغْـرِ

ومع عدم الدلالة ، كقول صاحب التحبير (٥١) :

إذا الوهـــم أبدى لى لمَاها وثَغرها   تذكـــرتُ مـــا بين العُذيب وبارقِ

ويُذكرنـــى مِـــن قَدّها ومدامعى   مَجَـــرُّ عـــوالينا ومجرى الشقائقِ

المصراعان الأخيران لأبى الطيب (٥٢) :

وقد يضمّن البيت ، مع تغيير يسير كقول بعضهم (٥٣) فى يهودى به داء الثعلب :

أقـــول لمعشـــر غلطـــوا وغضّوا   عـــن الشـــيخ الرشـــيد وأنكروه

هـــو ابـــنُ جـــلا وطـــلاّعُ الثنايا   متـــى يضـــع العمامـــةَ تعرفـــوه

(*) انظر ص ٥٨١ فى الايضاح .

(٥١) صاحب التحبير هو ابن أبى الاصبع المصرى صاحب كتاب تحرير التحبير وكتاب بديع القرآن . وصحة البيت الثانى ومجرى السوابق بدل الشقائق ، انظر تحرير التحبير ص٣٨٢ . ولماها : سمرة شفتيها ، وثغرها : ما يظهر من أسنانها ، والغريب وبارق : مكانان أراد بهما شفتيها وثغرها، القد : القامة ، مجر عوالينا : جر الرماح ، والشقائق : نبت أصفر يقال له شقائق النعمان .

(٥٢) يريد قول المتنبى :

تذكـــرت ما بين العذيب وبارق   مجر عوالينا ومجرى السوابق

(ديوانه ٢/٣١٧)

(٥٣) البيتان لضياء الدين موسى بن ملهم ، واليهودى المصاب بداء الثعلب هو : الرشيد عمر البغوى . والمراد بالثنايا : ما يبرز من الأسنان .

البيت الثانى : لسُحيم [٥٤] ، وقد تصرَّف فيه يسيراً .

المسألة الخامسة : فى العقد والحل والتلميح :

أما العقد : فهو أن يعقد الشاعر نثر قرآن أو غيره .

أما القرآن ، فكقوله :

أنِلْنـــى بالـــذى استقـرضتَ خطّاً   وأشْهِـــدْ معشـــراً قـــد شاهدوهُ

فـــإن اللّـــهَ خـــلاّقَ البـرايا   عنـــتْ لجـــلال هيبتـــه الوجـوهُ

يقـــول : « إذا تداينتـــمْ بدَيـــنٍ   إلي أجلٍ مُسمًّى فاكتبوه » [٥٥]

وأما غير القرآن فكقول أبى العتاهية [٥٦] :

مـــا بـــال مَـــن أولُـــه نطفـــةٌ   وجيفـــةٌ آخِـــره يفخـــر ؟

عقد قول عليٍّ عليه السلام : (وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة وآخِره جيفة)

وقول الآخر :

يا صاحب البغى إنَّ البغى مصرعةٌ   فاربعْ ، فخيُـر فَعال المرء أعدَلُهُ

فلـو بغـى جبـلٌ يوماً علـى جبلٍ   لاندكّ منه أعاليه وأسفله [٥٧]

عقد قولَ ابن عباس : (لو بغى جبل على جبل ، لدُكّ الباغى)

وقول الآخر :

البس جدَيـدك إنـى لابسٌ خَلَقـى   ولا جديـد لمن لا يلبس الخلقا

عقد المثل الذى /أصله لعائشة : (لا جديد لمن لا خلق له) . /٨٢ ب

---

(٥٤) هو سحيم بن وثيل وقد قال :

أنا ابـــن جـلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

(٥٥) مأخوذ من سورة البقرة آية ٢٨٢ والأبيات للحسين بن الحسن الواسانى الدمشقى .

(٥٦) البيت من قصيدة بعنوان المورد الأكبر مطلعها :

يا عجبا للناس لو فكروا   وحاسبوا أنفسهم أبصروا

(٥٧) فاربع : فانتظر ، والبغى : الظلم . اندك : هوى وسقط .

وأما الحَلّ : فهو أن يعبِّر عن معنى النظم بالنثر ، شرط ألا يقصُوَ عنه فى البلاغة ، كقول صاحب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » [٥٨] يصف قلم كاتب : (فلا تحظى به دولة إلا فخرتْ على الدول ، وغنيتْ به عن الخيل والخَول ، وقالت : أعْلى الممالك ما يُبنى على الأقلام لا على الأسَل » حل قول أبى الطيب [٥٩] :

خيرُ الممالك ما يبْنَى على الأسَل

وأما التلميح : فهو أن يشير الشاعر فى نظمه إلي قصة من غير ذكرها . كقول ابن المعتز [٦٠] :

أتـــرى الجيــــرةَ الذيـن تداعَواْ ... عند ســـير الحبيب وقتَ الزوالِ

علمـــوا أننـــى مقيم ، وقلبِى ... راحـــلٌ فيهـــمُ أمامَ الجِمالِ

مثلُ صاع العزيز فى أرْحُل القو ... م ، ولا يعلمون ما فى الرحالِ

أشار إلى ما فى سورة يوسف من قصة عزيز مصر مع إخوة يوسف .

وإذا خفى التلميح التحق باللغز ، كما روى أن تميمياً قال لشريك النميرى : (ما فى الجوارح أحبّ الىّ من البازى) فقال : « إذا كان يصيد القطا »[٦١] أشار التميمى الى قول جرير [٦٢] :

أنا البازى المُطلُّ على نُميرٍ ... أتيحَ مِنَ السماء لها انصبابا [*]

---

(٥٨) هو ضياء الدين ابن الأثير صاحب كتابى المثل السائر والجامع الكبير . والأسل : الرماح . والخول : الحاشية من عبيد وإماء .

(٥٩) والبيت بتمامه :

أعْلى الممالك ما يبنى على الأسل ... والطعـــن عنـــد محبيهـــن كالقبل

(ديوانه ٣٤/٣)

(٦٠) أشار بصاع العزيز إلى قصة يوسف عليه السلام مع إخوته ، والأبيات لم أعثر عليها فى ديوان ابن المعتز ط بيروت سنة ١٩٦١ .

(٦١) الباز : نوع من الصقور ، و القطا : طائر بين العصفور واليمامة .

(٦٢) والبيت من قصيدة يهجو فيها الراعى النميرى مطلعها :

أقلـــى اللـــوم عاذل والعتابا ... وقولى إن أصبت لقد أصابا

(ديوانه ص ٧٢)

(*) البازى : الصقر ، انصبابا : هطولا وانسكابا . وفى الديوان : المدلُّ على نمير .

وأشار شريك إلى قول الطرمّاح [٦٣] :

تميمُ بُطرْق اللؤم أهدى مِن القطا ولو سلكتْ طرْقَ المكارِمِ ضَلّتِ

المسألة السادسة : فيما ينبغى للشاعر أن يحتاط ، ويتأنق فيه وهو ثلاثة أشياء : الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء .

أما الابتداء : فينبغى أن يجتهد فيه عما يُتطير به ، كما روى أن ذا الرمّة أنشد لهشام بن عبد الملك قصيدته التى أولها [٦٤] :

ما بال عينك منها الماء ينَسكبُ ؟

قال هشام : بل عينك .

وروى أن ابن مقاتل الضرير أنشد للداعى العلوى قصيدته التي أولها [٦٥] :

* موعدُ أحبابِك بالفرقة غدْ *

فقال له الداعى : « بل موعد أحبابك ، ولك المثل السوء » .

ودخل عليه فى يوم مهرجان وأنشده :

لا تقـــــل بُشْـــرَى ، ولكنت بشريان غُرَّة الداعـــى ، ويومُ المهرجان [٦٦]

فتطيَّر به وقال : أعْمَى يبتدئ بهذا يوم المهرجان ، وقيل : ضربه خمسين عصا ، وقال : إصلاحُ أدبِه أبلغ فى ثوابه .

ولما بنى المعتصم قصره بالميدان ، وجلس فيه ، أنشده إسحق الموصلى :

يا دارُ غيَّـــرك البِلـــى ومَحـــاكِ ياليتَ شِعْرى ما الذى أبلاكِ ؟ [٦٧]

---

(٦٣) القطا : طائر أكبر من العصفور ، وأصغر من اليمامة ، ويضرب به المثل فى الاهتداء إلى عشه .

(٦٤) تمام البيت : « كأنه من كل مفرية سرب » .
ديوانه ٩/١ والصناعتين ٤٣١ .

(٦٥) ابن مقاتل هو : نصر بن نصر الحلوانى . والداعى هو : محمد بن زيد الحسينى صاحب طبرستان .

(٦٦) غرة الداعى : بياض وجهه ، ويوم المهرجان : عيد من أعياد الفرس يحتلفون به أول فصل الخريف .

(٦٧) البلى : القدم . محاك : أزالك . ليت شعرى : ليت علمى ، وإسحق الموصلى أحد علماء اللغة والغريب وأخبار الشعراء وأيام الناس توفى سنة ٢٣٥ هـ (إنباه الرواه ٢١٨/١) . والبيت فى الصناعتين : ٤٣٢ .

فتطيّر المعتصم من هذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر

....

أحسنُ الابتداءات : ما يُتفاءل به للخير ، أو يكون مناسبا لمضمون القصيدة:

فالأول ، كقول القُطَامى (٦٨) :

إنا مُحَيُّوكَ فاسلم أيها الطلَلُ

وقول أشجع السلمى (٦٩) :

قصْـــرٌ عليـــه تحيـــة وســلام خلعتْ عليـــه جمـــالَهَا الأيامُ

والثانى : كقول أبى تمام فى قصيدته البائية يهنئ المعتصم فى أخذ عّمورية (٧٠) :

السيفُ أصدق أنباءً من الكتُبِ

فإنه مناسب للفتح .

وأما التخلص : فهو الانتقال من التشبيب أو غيره إلى المقصود ، فإنّ السامعين يترصدونه ، فإن كان حسناً مناسب الطرفين ، حركهم النشاط إلى الإصغاء لكلامه ، وإلا أحجمت أسماعهم . ومن التخلصات المختارة قول مسلم ابن الوليد (٧١) :

أجـــدكِ هل تدرين أنْ رُبَّ ليلةٍ كـــأنَّ دُجاها مِنْ قرونك ينُشر

لهـــوتُ بهـــا حتـــى تجلّتْ بغُرةٍ كغـــرة يحيى حين يُذكر جعفرُ

---

(٦٨) القطامى هو : عمرو بن شيم . وتمام البيت :

« وإن بليت وإن طالت بك الطيل » ، والطلل : آثار الديار ، والطيل : طول الدهر .

(٦٩) مستهل قصيدة يمدح بها هرون الرشيد ، والصناعتين : ٤٣٣

(٧٠) وتمام البيت : « فى حده الحد بين الجد واللعب » (ديوانه ١/ ٤٠) .

(٧١) القرون : خصل الشعر ، الغرة : بياض الوجه ، وهما من قصيدة فى مدح يحيى بن خالد البرمكى . والبيتان فى زهر الآداب ٣/ ١٦ ، ومعاهد التنصيص ٦٢٨ . وروى فى الديوان « صبرت لها » بدلاً من « لهوت بها » ديوانه ص ٣١٦ ، والصناعتين : ٣٩٩ .

وقول أبى الطيب يمدح المغيث العِجْلى [72] :

مَّرتْ بنا بين تِرْبَيْها ، فقلت لها ... مِنْ أين جانس هذا الشادنُ العَربا ؟

فاستضحكتْ ثم قال : كالمغيث يُرى ... ليثُ الشَّرَى ، وهْوَ مِن عِجْلٍ إذا انتسبا

وقوله أيضاً [73] :

خليليَّ ، إنى ما أرى غَيْرَ شاعر ... فكم منهم الدعوى ومنّى القصائدُ

فلا تعجبا ؛ إن السيوف كثيرةٌ ... ولكنَّ سيفَ الدولة اليومَ واحدُ

وأما الانتهاء : فإنه إن كان حَسناً ، نسخ ما سبقه من تقصير إن كان ، وإلا أنسى المحاسنَ السابقة . ومن الانتهاءات المحمودة قول أبى نواس [74] :

فبقيتَ للعلم الذى تُهدِى به ... وتقاعستْ عن يومك الأيامُ

وقوله أيضا [75] :

وإنى جدير إذْ بَلغْتك بالمنَى ... وأنت لما أمّلتُ منك جديُر

فإن تُولنى منك الجميلَ فأهلهُ ... وإلا ، فإنى عاذر وشكورُ

....

(72) الأتراب : المتقاربون فى الأعمار ، الشادن : الظبى . ليث الشرى : الأسد المنسوب إلي هذا المكان المعروف بكثرة الأسود ، والعجل : لقب لقبيلة الممدوح . والبيت من قصيدة مطلعها :

دمع جرى فقضى فى الرّبع ما وجبا ... لأهله وشفى أنى ولا كربا

شرح الديوان لليازجى ٩٣ .

(73) من قصيدة للمتنبى فى مدح سيف الدولة مطلعها :

عواذل ذات الخال فى حواسد ... وإن ضجيع الخود منى لماجد

(ديوانه ٢٦٨/١)

(74) رواية الديوان :

فسلمت للأمر الذى ترجى له ... وتقاعست عن يومك الأيام

والبيت من قصيدة يمدح فيها الأمين مطلعها :

يا دار ما فعلت بك الأيام ... ضامتك والأيام ليس تضام

(ديوانه ص ١٨٦ ط الاستقامة)

(75) البيت الأول ليس فى الديوان ، والثانى من قصيدة يمدح فيها الخصيب مطلعها :

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

(ديوانه ص ١٨٦ ط الاستقامة)

والآن حيث وفينا بما وعدنا به ، فلنحمد اللّهَ تعالى على حسن توفيقه وهدايته إلى سواء طريقه .

* * *

وقع الفراغ من تصنيفه يوم الثلاثاء : ثالث صفر سنة ٧٢٩ تسع وعشرين وسبعمائه فى المشهد الشريف الغروى ، ووهبه الملتجئ الى الحرم العلوى : محمد بن علي ابن محمد الجرجانى ، وصلى الله على محمد النبى ، وآله الطاهرين .

* * *

فهارس كتاب
الإشـــارات والتنبيـــهات

لمحمد بن محمد الجرجاني

تحقيق أ.د. عبد القادر حسين

ويشمل

١- فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة
﴿١- سورة الفاتحة﴾	
٤	٤٩
﴿٢- سورة البقرة﴾	
١٨	٣٠
٢،١	٣٤
٧	٣٦
١٧٩	٣٧
٢٢١	٣٨
٥٩	٤٨
١٨٩	٥٠
٢١٥	٥٠
٤٣	٥٩
٢١	٥٩
٢	٦٦،٦١
١٤	٦٣
٣٦	٦٦
٤	٧٢
١٤٣	٧٢
١٧٣	٧٨
١١	١٢٦،٨١
١٢	١٢٦.٨١
٢١١	٩٣
٢٢٣	٩٣
٢١٤	٩٣
٤٤	٩٧
٢٨	٩٧
٢٣	١٢٧،١٠٠
٢٣٣	١٠٣
٢٢٨	١٠٣
١٤،٦	١٠٦
٢٨٦	٢٥٩
١٥،١٤	١٠٨
٦	١١٠
١٣	١٠٨
٤٣	١١٠
٢٥،٢٤	١١٢
٢٢	١١٧
١٨٧	١١٧
١١٤	١٢٢
١٧٩	١٢٨
٥٤	١٣٢
٦٠	١٣٢
٧٣	١٣٢،١١١
٩٨	١٣٨
٢٣٨	١٣٨
٢٢٣	١٤٦
١٨٧	١٦٠
٢٧٥	١٧٢
١٧	٢١٠،١٧٣
١٦	٢٠٢
١٩٤	٢٠٩
٢٤٩	٢١٠
٢٨٢	٢٩١
٩٣	٢١٤
١٩٥	٢٢١
٣،٢	٢٢٥
٢٨٦	٢٣٥
١٣٨	٢٤٤
١٥٦	٢٨٨
﴿٣- سورة آل عمران﴾	
٣٦	٣٥
٧٥	٤٣
١٥٨	٧٢
٦٢	٧٧
١٤٤	٧٧
٣٧	٩٣
٤٠	١٢٢
١٧٤	١٢٣
١٠٤	١٣٣
٢١	١٩٤
٦٤	٢١٣
٥٢	٢١٤
١٩٤	٢١٤
١٠٧	٢١٤
٢٦	٢٣٥
﴿٤- سورة النساء﴾	
١٧١	٥٦،٥٥
٨٦	٦٥
٣٦	٧٣
٧٩	٧٣
٩٠	١٢٢

٢- الأحاديث النبوية

٣- فهرس الأمثال

٤ - فهرس الأبيات الشعرية

تابع فهرس الأبيات الشعرية

تابع فهرس الأبيات الشعرية

٤- فهرس الأبيات الشعرية

تابع فهرس الأبيات الشعرية

تابع فهرس الأبيات الشعرية

تابع فهرس الأبيات الشعرية

تابع فهرس الأبيات الشعرية

٥-أنصاف الأبيات الشعرية

تابع أنصاف الأبيات الشعرية

فهرس الأعلام

تابع فهرس الأعلام

المراجع

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
١- أسرار البلاغة	عبد القاهر الجرجانى	ط الاستقامة
٢-الإصابة فى تمييز الصحابة.	ابن حجر العسقلانى	بغداد
٣- الأصمعيات	الأصمعى	عيسى الحلبى
٤- أعيان الشيعة	محسن الأمين	الإنصاف
٥- أمالى القالى	القالى	دار الكتب
٦- أمالى المرتضي	الشريف المرتضى	عيسى الحلبى
٧- انباه الرواه	القفطى	دار الكتب
٨- الايضاح	القزوينى	ط صبيح، ط الآداب
٩- البديع	ابن منقذ	مصطفى الحلبى
١٠- بغية الايضاح	الخطيب القزوينى	الآداب
١١- بغية الوعاه	السيوطى	عيسى الحلبى
١٢- البيان والتبيين	الجاحظ	الخانجى
١٣- تأويل مشكل القرآن	ابن قتيبة	عيسى الحلبى
١٤- التبيان فى علم البيان.	ابن الزملكان	بغداد
١٥- ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن	(النكت) الرمانى	دار المعارف
١٦- الحيوان	الجاحظ	مصطفى الحلبى
١٧ دلائل الإعجاز	عبد القاهر	دار المنار ط ٥
١٨- ديوان الأعشى الكبير		مكتبة الآداب
١٩- ديوان امرئ القيس		دار المعارف
٢٠- ديوان البحترى		دار المعارف، هندية
٢١- ديوان بشار		لجنة التأليف والترجمة والنشر
٢٢- ديوان أبى تمام		دار المعارف

اسم الكتاب	اسم المولف	الطبعة
٢٣- ديوان جرير		بيروت، الصاوى
٢٤- ديوان جميل		دار مصر
٢٥- دوان حسان بن ثابت		الهيئة المصرية
٢٦- ديوان الحطيئة		مصطفى الحلبى
٢٧- ديوان الحماسة	أبو تمام	لجنة التأليف
٢٨- ديوان الحماسة	البحترى	بيروت
٢٩- ديوان ابن خفاجة الأندلسى		بيروت
٣٠- ديوان الخنساء		بيروت
٣١- ديوان ذى الرمة		دمشق
٣٢- ديوان رؤبة		برلين
٣٣- ديوان ابن الرومى		دار الكتب
٣٤- ديوان زهير		دار الكتب
٣٥- ديوان ابن زيدون		مصطفى الحلبى
٣٦- ديوان السموءل		بيروت
٣٧- ديوان الشنفرى	ضمن الطرائف الأدبية	بيروت
٣٨- ديوان طرفه		بيروت
٣٩- ديوان عباس بن الأحنف		دار الكتب
٤٠- ديوان عبد الله بن قيس الرقيات		بيروت
٤١- ديوان أبى العتاهية		بيروت
٤٢- ديوان العجاج		بيروت
٤٣- ديوان عروة بن الورد		بيروت
٤٤- ديوان عنتره		التجارية
٤٥- ديوان الفرزدق		الصاوى
٤٦- ديوان كثير		بيروت
٤٧- ديوان كعب بن زهير		الدار القومية

اسم الكتاب	اسم المولف	الطبعة
٤٨- ديوان المتنبى	شرح العكبرى	لجنة التأليف
٤٩- ديوان مجنون ليلى		مكتبة الآداب
٥٠- ديوان مسلم بن الوليد		بيروت
٥١- ديوان النابغة الذبيانى		بيروت، دمشق
٥٢- ديوان الهذليين		دار الكتب
٥٣- ديوان ابن هرمة		دمشق
٥٤- زهر الآداب	الحصرى	عيسى الحلبى
٥٥- سر الفصاحة	ابن سنان الخفاجى	صبيح
٥٦- سقط الزند	المعرى	دار الفكر بيروت ٦٥
٥٧- سنن ابن ماجة	ابن ماجه	عيسى الحلبى
٥٨- شروح التلخيص	ابن قتيبة	دار المعارف
٥٩- الشعر والشعراء	الخطيب وآخرون	عيسى الحلبى
٦٠- صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج	عيسى الحلبى
٦١- طبقات الشعراء	الجمحى	السعادة
٦٢- طبقات النحويين واللغويين	الزبيدى	الخانجى
٦٣- الطراز	العلوى	المقتطف
٦٤- العمدة	ابن رشيق	مصطفى الحلبى
٦٥- فتح البارى	ابن حجر	مصطفى الحلبى
٦٦- فن البلاغة	د. عبد القادر حسين	الآداب ط ١، ٢
٦٧- القرآن اعجازه وبلاغته	د. عبد القادر حسين	الآداب ط٣
٦٨- الكتاب	سيبويه	بولاق
٦٩- الكشاف	الزمخشرى	الاستقامة ط٢
٧٠- اللسان	ابن منظور	الأميرية
٧١- المجازات النبوية	الشريف الرضى	مصطفى الحلبى
٧٢- مجمع الأمثال	الميدانى	الخيرية
٧٣- مراتب النحويين	أبو الطيب اللغوى	نهضة مصر
٧٤- مسند أحمد	أحمد بن حنبل	بيروت

اسم الكتاب	اسم المولف	الطبعة
٧٥- المصباح	بدر الدين بن مالك	مكتبة الآداب
٧٦- المطول	التفتازانى	ط. ١٣٣
٧٧- المعارف	ابن قتيبة	ط ١٩٣٤
٧٨- معاهد التنصيص	العباسى	السعادة
٧٩- معجم الأدباء	ياقوت	١٣٥٥ هـ
٨٠- معجم الشعراء	المرزبانى	١٣٥٤ هـ
٨١- معجم المؤلفين	كحالة	الترقى
٨٢- مفتاح العلوم	السكاكى	الأدبية، الحلبى
٨٣- المفصل	الزمخشرى	١٣٢٣ هـ
٨٤- مقامات الحريرى	الحريرى	بيروت ١٩٠٣
٨٥- مقدمة ديوان بشار	محمد العلوى	ط الهند
٨٦- نزهة الألبا فى طبقات الأدبا	الأنبارى	جمعية إحياء مآثر العرب
٨٧- نقد الشعر	قدامة	المليجية
٨٨- الوساطة بين المتنبى وخصومه	الجرجانى	عيسى الحلبى ط٣
٨٩- وفيات الأعيان	ابن خلكان	ط ١٩٤٨
٩٠- يتيمة الدهر	الثعالبي	الصاوى

فهرس الموضوعات

الصفحة

الفن الأول

(فى علم المعانى)

فى الإسناد وما يعرض له (١٧-١٤)

الركن الثانى

في أحوال المسند إليه (١٨-٥٢)

الصفحة

الركن الثالث

فى أحوال المسند (٥٣-٦٦)

الصفحة

الركن الرابع

فى متعلقات الفعل (٦٧-٧٥)

الركن الخامس

فى القصر (٧٥-٨٤)

الركن السادس

فى الإنشاء (٨٥-١٠٣)

الصفحة

الركن السابع

فى الوصل والفصل (١٠٤-١٢٣)

الصفحة

الركن الثامن

فى الإيجاز والاطناب والمساواة (١٢٤ - ١٤٨)

الفن الثانى

فى علم البيان (١٤٩ - ٢٣٢)

الركن الأول فى التشبيه (١٥٢- ١٨١)

الركن الثانى فى المجاز (١٨٢- ١٨٦)

الاستعارة (١٨٧- ١٨٦)

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الركن الثانى

فى المحسنات اللفظية (٢٦٢- ٢٧٧)

الخاتمة (٢٧٨- ٢٩٥)

وتشتمل على مسائل

الصفحة

فهارس الكتاب

رقم الإيداع	١٠٨٠٩ لسنة ١٩٩٧
الترقيم الدولي	I.S.B.N 977 : 241 - 220 - 9